

الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام)

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الجزء الرابع

تأليف

السيد جعفر مرتضى العاملي

هذا الكتاب

نشر إلكترونياً وأخرج قتيلاً برعاية وإشراف

شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي

بانتظار أن يوفقنا الله تعالى لتصحيح نصه وتقديمه بصورة أفضل في فرصة أخرى قريبة إنشاء الله تعالى .

الصحيح من سيرة الإمام عليّ (عليه السلام)

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الجزء الرابع

السيد جعفر مرتضى العاملي

الباب الخامس:
حتى الحديبية..

الفصل الأول:

علي (عليه السلام) في حرب الخندق ..

موجز عن حرب الخندق:

وفي السنة الرابعة أو الخامسة كانت غزوة الخندق، وكان حامل لواء رسول الله (ﷺ) فيها علي بن أبي طالب (عليه السلام).. وحين بلغ النبي (ﷺ) خبر مسير قريش استعد (ﷺ) لها، وحفر الخندق. فوافى المشركون، ونزلوا في الجهة الأخرى منه، وكان المسلمون من جهة المدينة.

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) على العسكر كله بالليل يحرسهم، فان تحرك أحد من قريش نابذهم.. وقد حاول أكثر المسلمين النأي بانفسهم عن الحرب، حتى قيل: إنه لم يبق مع النبي (ﷺ) سوى اثني عشر رجلاً.. وقد تحدثت سورة الأحزاب عن هؤلاء الفارين..

وانتدب فوارس من المشركين، فأتوا مكاناً ضيقاً من الخندق، وأكروها خيلهم على عبوره، فعبره عكرمة بن أبي جهل، وعمر بن عبد ود، وضرار بن الخطاب الفهري، وهبيرة بن أبي وهب، وحسل بن عمرو بن عبد ود، ونوفل بن عبد الله المخزومي.

فخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) في نفر من المسلمين، حتى أخذوا

عليهم تلك الثغرة، وطلب عمرو بن عبد ود البراز، فلم يبرز إليه أحد من المسلمين، وخافوا خوفاً شديداً وكان يعد بألف فارس.

وانتدب النبي (ﷺ) المسلمين لمبارزة عمرو، وضمن لهم الجنة، فلم يقم منهم أحد سوى علي (عليه السلام)، فلم يأذن له.

ثم كرر عمرو النداء، وأنشد بعض الأرجاز، وعيّر المسلمين المحجمين، فعاود علي طلبه من النبي (ﷺ) أن يأذن له بمبارزته، فلم يأذن له أيضاً..

ثم أذن له في المرة الثالثة، وعممه، ودعا له، وقال: برز الإيمان كله إلى الشرك كله.. فبارز علي (عليه السلام)، عمرواً، فقتله، وقتل ولده حسلاً، ونوفل بن عبد الله، وفر الباقون..

ثم ألقى الله في قلوب المشركين الرعب، وهربوا ليلاً، وكفى الله المؤمنين القتال (بعلي) (عليه السلام). وحينئذ قال رسول الله: الآن نغزوهم ولا يغزونا..

هدف الأحزاب قتل النبي وأهل البيت (عليهم السلام):

تقول النصوص: بأن هدف الأحزاب من مهاجمتهم المدينة هو استئصال محمد ومن معه..

وقد ورد هذا في كلماتهم مباشرة حيث قال اليهود لهم: سنكون معكم عليه (أي على محمد) حتى نستأصله ومن معه^(١).

١ - راجع: المغازي للواقدي ج ١ ص ٤٤١ والثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٦٥ وعون = المعبود ج ٨ ص ١٦٥ وجامع البيان ج ٢١ ص ١٥٦ وتفسير الثعلبي ج ٨ ص ١٣ وتفسير البغوي ج ٣ ص ٥٠٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٠٨ وإمتاع الأسماع ج ٨ ص ٣٧٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٠٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٢٩.

غير أن من الواضح: أن هذا لم يكن بمقدورهم، لأن الذين مع النبي (ﷺ) أصبحوا يعدون بالملئتين والألوف بما فيهم الأوس والخزرج، وكثير من قبائل العرب.. فاستنصاهم يكلف غالباً.. ولم يكن المشركون مستعدين لدفع اثمان كبيرة إلى هذا الحد، ولا سيما في الأرواح..

وهذا يدلنا على أن النص الأصح، والأقرب إلى الإعتبار هو ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث قال: "إن قريشاً والعرب تجمعت، وعقدت بينها عقداً وميثاقاً لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله، وتقتلنا معه معاشر بني عبد المطلب"^(١)..

وهذا هو الأسهل والأيسر لهم بزعمهم، وبه يشفون غليل صدورهم، ولكن هذا يدل على غباء قريش، وقصر نظرها، فقد رأت من المعجزات والكرامات، والتأييدات الإلهية لرسول الله (ﷺ)، ما يبهر

١- الخصال ج ٢ ص ٣٦٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٤ وج ٣٨ ص ١٧٠ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٨٧ والإختصاص ص ١٦٦ و١٦٧ ومصباح البلاغة ج ٣ ص ١٢٥ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٣٦٣ وغاية المرام ج ٤ ص ٣١٨.

العقول، ويحتم حصول اليقين بأنها إنما تحارب الله تبارك وتعالى، ولا يمكن أن يتوهم عاقل أنه قادر على تحقيق أي نصر في هذا الحال.. إلا إذا كان على جانب كبير من قلة العقل، وعمى البصيرة.

النبي (ﷺ) والوصي (عليه السلام) في حفر الخندق:

وقد صرح القمي: بأن رسول الله (ﷺ) كان هو البادئ في حفر الخندق، فهو يقول: وأخذ معولاً، فحفر في موضع المهاجرين بنفسه، وأمير المؤمنين (عليه السلام) ينقل التراب من الحفرة، حتى عرق رسول الله (ﷺ) وعبي، وقال:

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم اغفر للأنصار والمهاجرة

فلما نظر الناس إلى رسول الله (ﷺ) يحفر اجتهدوا في الحفر، ونقلوا التراب، فلما كان في اليوم الثاني بكروا إلى الحفر، وقعد رسول الله (ﷺ) في مسجد الفتح^(١).

عناء علي (عليه السلام) وشيعته:

قال القاضي النعمان: "وكان علي صلوات الله عليه وشيعته أكثر الناس عناء، وفيه عملاً. وكان في ذلك من الأخبار ما يطول ذكره"^(٢).

١- تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ و ١٧٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٨ والصافي ج ٤ ص ١٧١ وج ٦ ص ٢١ ونور الثقلين ج ٤ ص ٢٤٤.

٢- شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٢.

ونقول:

١ . ليس غريباً أن يشارك ويتشارك النبي والوصي، والقائد والوزير، في العمل في حفر الخندق، ولا يكتفيان بالأمر والنهي..

ولم يكن عملهما صورياً وشكلياً، بل كان معاناة حقيقية، وبذل جهد، ونصب وتعب إلى حد الإعياء.. وهذا يعطي درساً في ممارسة القيادة دورها، فإنها ليست هي القيادة التي نعتادها، بل هي قيادة النبوة الخاتمة، والإمامة العظمى، المتمثلتين بأكرم وأشرف وأفضل خلق الله..

٢ . كما أن هذا القائد النبي، يحدد للناس الدوافع والغايات، ويضع نصب أعينهم الهدف الأقصى، وهو الآخرة، ليكون جهدهم هذا هو الذي يهيء لهم سبيل العيش الكريم في الآخرة.. ولذلك قال (ﷺ): لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم اغفر للأتباع والمهاجرة..

٣ . إن هذا قد أثر في الناس، فاجتهدوا في الحفر، ونقل التراب، ودعاهم ذلك إلى التبكير في اليوم التالي إلى العمل.

٤ . إن علياً (عليه السلام) وشيعته كانوا أعظم الناس عناء، وأكثرهم عملاً في حفر الخندق.. ولعل ذلك من أجل نيل شرف التأسّي والمواساة للرسول وللوصي.. ومن منطلق التفاني في حب الله ورسوله، وأخيه ووصيه. عثمان في مآزق:

روى الشيخ بإسناده يرفعه إلى جابر بن عبد الله، قال: كنت مع رسول

الله (ﷺ) في حفر الخندق، وقد حفر الناس وحفر علي (عليه السلام)، فقال النبي (ﷺ): "بأبي من يحفر وجبرائيل يكنس التراب بين يديه وميكائيل يعينه، ولم يكن يعين أحداً قبله من الخلق".

ثم قال النبي (ﷺ) لعثمان بن عفان: "إحفر"، فغضب عثمان، وقال: لا يرضى محمد أن أسلمنا على يده حتى يأمرنا بالكذب، فأنزل الله على نبيه: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^(١))^(٢).

وروى علي بن إبراهيم: قوله تعالى: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا)، نزلت في عثمان يوم الخندق، وذلك أنه مرّ بعمار بن ياسر وهو يحفر الخندق، وقد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع عثمان كفه على أنفه ومرّ، فقال عمار:

لا يستوي من يعمّر المساجدا يظللّ فيها راکعاً وساجدا

كمن يمرّ بالغبار حائدا يعرض عنه جاهداً مُعاندا

فالتفت إليه عثمان، فقال: يا بن السوداء، إياي تعني؟

ثم أتى رسول الله (ﷺ)، فقال له: لم ندخل معك لتسبّ أعراسنا، فقال له رسول الله (ﷺ): "قد أقلتك إسلامك فاذهب".

فأنزل الله تعالى: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمُ

١- الآية ١٧ من سورة الحجرات.

٢- البرهان (تفسير) ج ٧ ص ٢٧٦ عن الشيخ في مصباح الأنوار.

بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أَي لستم صادقين (إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ غَيْبَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (١).

ونقول:

قد دلت هذه الرواية على:

١ - إنه (ﷺ) يفدي علياً (عليه السلام) بأبيه.. مع أن لآبائه من منازل الكرامة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله،
وإن كانت لا تبلغ منزلة علي (عليه السلام)، وربما يكون عبد الله بن عبد المطلب من الأنبياء أيضاً كما دل عليه
حديث: ما زال الله ينقلني من صلب نبي إلى صلب نبي حتى صرت نبياً، أو أخرجه نبياً، أو نحو ذلك (٢).
وعن أبي جعفر (عليه السلام) في تفسير الآية قال: في أصلاب النبيين (٣).
أو قال: من صلب نبي إلى صلب نبي (٤).
أو قال: يرى قلبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح
(٥).

١ - الآية ١٨ من سورة الحجرات. تفسير القمي ج ٢ ص ٢٩٧ عن مصباح الأنوار.

٢ - مجمع الزوائد ج ٧ ص ٨٦ وج ٨ ص ٢١٤ وتفسير السمعاني ج ٤ ص ٧١ وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٦٥.

٣ - إختبار معرفة الرجال ج ٢ ص ٤٨٨.

٤ - معجم رجال الحديث ج ١٨ ص ١٣٢ وبحار الأنوار ج ١٦ ص ٣٧٤.

٥ - الصراط المستقيم ج ١ ص ٣٤١.

ومثله عن الإمامين الباقر والصادق " عَلَيْهِمَا السَّلَام " (١) .

وروى البيضاوي عن الثعلبي في تفسير الآية: أن مُحمّداً لم يلد له إلا نبي أو وصي نبي أو مؤمن (٢) .

٢ . تقول الرواية: ان جبرائيل، وهو أفضل الملائكة وميكائيل، وله فضل عظيم فكان أحدهما يكنس التراب بين يديه والآخر يعينه. والملائكة هم قالوا حين خلق الله تعالى آدم، وجعله خليفة في الأرض (..) **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ..** (٣) .

٣ . إن ميكائيل لم يكن يعين أحداً من الخلق قبل علي (عليه السلام) . وهذه ميزة فريدة له (عليه السلام) .. أن يتقرب ميكائيل إلى الله، ويطلب رضاه بمعونته لعلي (عليه السلام) . ولو أن ميكائيل وجد أن ذلك يحصل له مع أحد من الخلق غير علي (عليه السلام) لما تردد في معونته .

٤ . إن النبي حين امر عثمان: بأن يحفر، لم يكن يريد الإساءة إليه، بل أراد الإحسان إليه لأنه يأمره بطاعة الله، والتقرب إليه، وطلب رضاه ..

فلماذا أجب عثمان بذلك الجواب الجائي، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

٥ . إن الشعر الذي ردّه عمار:

١- بحار الأنوار ج ٦٥ ص ١١٨ .

٢- بحار الأنوار ج ٦٥ ص ١١٨ .

٣- الآية ٣٠ من سورة البقرة .

لا يستوي من يعمر المساجد الخ..

يروى أنه أنشده حين بناء المسجد، لا عند حفر الخندق. وإن كان لا شيء يمنع من تكرار الحادثة في المقامين..

٦. لم يكن هناك أي مبرر لأن يذكر عثمان دخوله في الدين، ويجعله سبباً لتعرضه للسب، والأمر في السب وعدمه تابع لأسبابه ودوافعه، التي قد تكون شخصية، وقد لا تكون.. وقد تكون مبررة، وقد لا تكون.. قد تكون عدوانية، وقد تكون على سبيل رد الإعتداء.

فقد قال رجل من الخوارج عن علي (عليه السلام): قاتله الله كافراً ما أفقعه!، فوثب القوم ليقتلوه، فقال (عليه السلام): "رويداً، إنما هو سب بسب، أو عفو عن ذنب"^(١).

٧. إن المؤمن الحقيقي يدخل في الدين لقناعته به، وطمعاً بالحصول على رضا الله تعالى.. وهو يضحى بأهله وماله وولده، ويتعرض لمختلف أنواع الأذى ولا يتراجع ولا يندم.. بل يزداد بصيرة وإصراراً وتصلباً في دينه.. فما معنى أن يكون اختلاف إنسان مع آخر محققاً أم مبطلاً سبباً في إظهار ندامته على الدخول في هذا الدين.. فإن الدين لا يقايض عليه بين الأشخاص.. ولا يوضع في سوق العرض والطلب، فيؤخذ تارة ويعطى أخرى..

١ - نهج البلاغة (الخطب): ج ٤ ص ٩٩.

علي (عليه السلام) يروي لنا:

عن علي (عليه السلام)، قال: "كنا مع النبي (صلى الله عليه وآله) في حفر الخندق إذ جاءته فاطمة، ومعها كسرة خبز، فدفعتها إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وقال النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام: ما هذه الكسرة؟! قالت: قرصاً خبزتها للحسن والحسين، جئتك منه بهذه الكسرة. فقال النبي (صلى الله عليه وآله): أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث^(١). ونقول:

قد دلنا هذا الحديث على أمور عديدة، نذكر منها:

- ١ - إنه حين يروي أمير المؤمنين لنا أمراً ما، فلا بد أن يكون له أهمية بالغة، ودلالات هامة، يريد لنا أن نلتفت إليها ونقف عليها..
- ٢ - إن ذلك يشير إلى إهتمام فاطمة الزهراء بأبيها، حتى إنها لتؤثره بكسرة من قرص خبزتها للحسن والحسين (عليه السلام)، الذين كان

١- عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٤٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ١ ص ٤٣ وذخائر العقبى ص ٤٧ وبحار الأنوار ج ١٦ ص ٢٢٥ وج ٢٠ ص ٢٤٥ ومستدرک سفينة البحار ج ٢ ص ١٣٣ وينابيع المودة ج ٢ ص ١٣٦ وصحيفة الإمام الرضا (عليه السلام) (ط دار الأضواء) ص ٧١ و ٧٢ ومسنند الإمام الرضا للعطاردي ج ١ ص ١٤٣ و ٣٣٠ ومسنند زيد بن علي ص ٤٦١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٠ ص ٢٨٦.

عمرهما في حدود سنة وأزيد منها بأشهر قليلة..

٣. إن جهره (ﷺ) بأن هذه الكسرة هي أول طعام دخل فمه منذ ثلاثة أيام يعطي أنه يريد أن يواسى أولي الحاجة من أصحابه، على قاعدة: هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جسعي على تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو باليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحوالي بطون غرثي، وأكباد حري، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت بطننة وحوالك أكباد تحن إلى القند
أفنع من نفسي أن يقال أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوية العيش؟!^(١).

لمن لواء المهاجرين؟!:

قالوا: كان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة، ولواء الأنصار بيد سعد بن عباد^(٢).

١ - نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٣ ص ٧٢ ومستدرک الوسائل ج ١٦ ص ٣٠١ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٤٧٤ وج ٤٠ ص ٣٤١ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٣ ص ٢٧٣ ونهج السعادة ج ٤ ص ٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٨٧.
٢ - إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٧١ ص ١٧٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٦٧.

ونقول:

لماذا أهمل هؤلاء الإشارة إلى صاحب الراية العظمى، مع تصريحهم باسم حامل لواء المهاجرين، وباسم حامل لواء الأنصار، مع أننا:

١ . قدمنا في حرب أحد أن علياً (عليه السلام) كان صاحب لواء (وراية) النبي (صلى الله عليه وآله) في بدر وفي كل مشهد.

٢ . ورد في احتجاج الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) على معاوية وابن العاص، والوليد الفاسق قوله: "ثم لقيكم يوم أحد، ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله، ومعك ومع أبيك راية الشرك"^(١).

٣ . روى الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: "كانت راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع علي (عليه السلام) في المواقف كلها: يوم بدر، ويوم أحد، ويوم حنين، ويوم الأحزاب، ويوم فتح مكة. وكانت راية الأنصار مع سعد بن عباد في المواطن كلها، ويوم فتح مكة، وراية المهاجرين مع علي (عليه السلام)"^(٢).

وهذا يدل على أن قولهم: كانت راية المهاجرين يوم الأحزاب مع زيد

١ - كفاية الطالب ص ٣٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٢٨٩ والغدير ج ١٠ ص ١٦٨ عنه، وجمهرة الخطب ج ٢ ص ٢٣ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٥٧٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٢١٢ وج ٢٦ ص ٥٤١.
٢ - إعلام الوري (ط دار المعرفة) ص ١٩١ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٣٧٤ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٧٢.

بن حارثة غير صحيح.

الغطسة القرشية، والحكمة المحمدية:

وعن علي (عليه السلام) قال: "فقدت قريش، فأقامت على الخندق محاصرة لنا، ترى في أنفسها القوة وفيها الضعف، ترعد وتبرق، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يدعوها إلى الله عز وجل، ويناشدها بالقرابة والرحم، فتأبى، ولا يزيدنا ذلك إلا عتوا"^(١).

ونقول:

ليس غريباً على قريش هذا العتو، وهذه الغطسة، ما دامت تقيس الأمور بمقاييس مادية، وترى القوة في أنفسها، والضعف في المسلمين، الذين جاءت لاستئصالهم، وإبادة خضرائهم، ولكن هذا العتو وتلك الغطسة سرعان ما تلاشت، ليحل محلها الضعف والخنوع، والخيبة القاتلة، كما سنرى.

وليس غريباً أيضاً: أن نجد النبي (صلى الله عليه وآله) ومن موقع الشعور بالمسؤولية يعتمد الأسلوب الإنساني، ويستثير العاطفة الناشئة عن صلوات القرى ولحمة النسب، والتي تكون لها هيمنة حقيقية على الإنسان، ولا بد أن تجتاح لمعاتها وهزاتها الجامحة كل كيانه، وكل وجوده. ثم هو

١- الخصال ج ٢ ص ٦٨ باب السبعة، و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ٣٦٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٤ وج ٣٨ ص ١٧٠ ومصباح البلاغة (مستدرک نخب البلاغة) ج ٣ ص ١٢٥ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٣٦٣ وغاية المرام ج ٤ ص ٣١٩.

(ﷺ) يقرن ذلك بالدعوة إلى الله عز وجل، الذي هو مصدر الخير والقوة والبركات.
وحين لا تستجيب لداعي الرحم، ولا لداعي الله، وتصرّ على الإستجابة للهوى وللشيطان، فلا يبقى
خيار سوى التصدي لها، وإسقاط هذا العنفوان الرديء والردل، وتمريغ أنفها برغام الذلة والخزي والهوان..
وهكذا كان.

حراسة العسكر:

قال القمي: "كان رسول الله (ﷺ) أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام)
على العسكر كله بالليل يحرسهم، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم.
وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يجوز الخندق، ويصير إلى قرب قريش حيث يراهم، فلا يزال الليل كله قائماً
وحده يصلي، فإذا أصبح رجع إلى مركزه..
ومسجد أمير المؤمنين (عليه السلام) هناك معروف، يأتيه من يعرفه، فيصلي فيه، وهو من مسجد الفتح إلى
العقيق أكثر من غلوة نشابة"^(١)^(٢).

١ - غلوة نشاب: أي مقدار رمية سهم.

٢ - راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٣٠ ومستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٢٠٠ وجامع أحاديث الشيعة
ج ١٢ ص ٢٧٤ والصابي ج ٤ ص ١٧٨ وح ٦ ص ٢٨ ونور الثقلين ج ٤ ص ٢٥٤.

ونقول:

إن لنا مع هذا النص وقفات هي التالية:

ضرورة الحراسة:

إن من البديهيات ضرورة الحذر من العدو المحارب، وحرمانه من فرصة تسديد ضربات هنا وهناك، من شأنها إرباك الجيش الإسلامي، أو إحداث ثغرات خطيرة فيه، وإلحاق الأذى بمعنوياته، وثقته بقدراته، وطمأنينته إلى حسن تدبير القائمين على الأمور فيه.

ولم يكن يتولى الحراسة في حرب الخندق أشخاص عاديون، بل كان يتولاها قائد الجيش كله، وحامل لوائه وأميره الذي لم يكن فقط قادراً على اتخاذ القرار المناسب، ثم يأمر وينهى، بل كان يقرر ثم يباشر التنفيذ بنفسه، ثم هو في نفس الوقت لا يترك الفرصة تمر، ولا يمنح العدو أية قدرة على إتخاذ أي قرار آخر سوى الفرار، أو مواجهة الموت المحتم..

وكان لا بد لهذه الحراسة من أن تتواصل لتستغرق الزمان كله، لأن ذلك يعطي العدو الفرصة السانحة، ويجعل من الغفلة العارضة أو المنظمة منفذاً وسبباً لتضييع الجهد، وحمل النصر للعدو.

ولذلك كان لا بد من مواصلة الحراسة في الليل كله، لأن الليل هو وقت المهجعة اللذيذة، والغفلة القاهرة، لا سيما بعد أن يأخذ الملل والتعب مأخذهما.

والليل أيضاً هو الذي يمنح العدو الغطاء والوقاء، ويمكنه من تسديد ضرباته وفق ما يحلو له، وفي المكان الذي يختاره.

من أجل ذلك نقول:

إنها لا بد أن تكون حراسة غير خاضعة لحدود الزمان والمكان، فلا تستقر في نقاط بعينها، لأنها في هذه الحال تمنح العدو فرصة التخطيط لإختراقها، أو لتحاشيها..

كما أن إطلاقها هذا يضيع على العدو الإحساس بالأمن، في أي من حالاته، ويجعله يتوقع المفاجآت، فيشغله ذلك بالعمل على تحاشيها، والإهتمام بحفظ نفسه قبل أن يفكر بأي تحرك خارج هذا النطاق، حيث لا بد أن يتوقع أن يفاجأ بدوريات الحراسة في كل اتجاه..
رصد العدو قتالياً:

كما أن المهمة التي اضطلع بها علي (عليه السلام) لم تقف عند حدود الحراسة، بل تعدت ذلك إلى الرصد الدقيق لتحركات العدو..

ولم يكن ذلك مجرد رصد يهتم بنقل مشاهداته إلى القيادة لكي تتخذ هي القرار، بل هو الذي يرصد، ثم يقرر، ثم يباشر التنفيذ..

والذي يتولى الرصد ليس إنساناً عادياً، بل هو قائد الجيش كله، الذي لن يجد معلومات أصح مما يحصل هو بنفسه عليه، ويراه بعينه، ويسمعه بأذنيه.. ولن يحسن أحد تنفيذ ما يريده، ويرسم خطته أكثر منه، ولا يحتاج في المستجدات إلى انتظار القرار من أحد.. وهو أيضاً رصد دائم ومتواصل.

وكان الموضع الذي يستقر فيه لممارسة مهمته، موقِعاً متقدماً جداً، قد لا يجروء على الوصول إليه أحد سواه.. وإن بلغه أحد، فلن يجروء على الإستقرار فيه طوال الليل.

مسجد في موضع صلاة علي (عليه السلام):

وقد بقي المسجد في ذلك المكان الذي كان علي (عليه السلام) يرصد ويصلي فيه طوال الليل . بقي ذلك الشاهد الصادق على هذه التضحيات الجسام من أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد صمد هذا المسجد عشرات أو مئات الأعوام.

ولكن هل تركته الفئة الوهابية، أم هدمته متذرة بأعدار واهية، لممارساتها المتواصلة لمحو آثار الإسلام، حيث هدمت قبور أهل البيت، وأزلت المساجد، ومحت الآثار الدالة على جهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجهاد وصيه، والشاهدة على تضحيات الأخيار من أصحابه، والصفوة من أهل بيته؟! وإذا كان لا يزال باقياً، فهل سيستمر بمراى ومسمع منهم، ولا سيما إذا علموا أن لعلي (عليه السلام) أي أثر فيه؟!

الراصد المصلي:

ويواجهنا هنا سؤال يقول:

ذكروا: أن علياً (عليه السلام) أصاب رجله في غزوة أحد سهم صعب، فأمر (صلى الله عليه وآله) بإخراجه منها حين اشتغال علي (عليه السلام) بالصلاة، فأخرجوه من رجله، فقال بعد فراغه من الصلاة: إنه لم يلتفت لما جرى^(١).

١ - إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦٠٢ عن المناقب المرتضوية الكشفي الحنفي ص ٣٦٤.

وفي نص آخر: كانوا إذا أرادوا إخراج الحديد والنشاب من جسده الشريف تركوه حتى يصلي، فإذا اشتغل بالصلاة، وأقبل على الله تعالى أخرجوا الحديد من جسده ولم يحسن، فإذا فرغ من صلاته يرى ذلك، فيقول لولده الحسن (عليه السلام): إن هي إلا فعلتك يا حسن^(١).

وفي نص ثالث: أن الزهراء "عليها السلام" هي التي أشارت عليهم بذلك^(٢).

وفي نص آخر: أن ذلك كان في حرب صفين، وأنهم أخرجوه حال سجوده^(٣).

ولا مانع من أن تتكرر الواقعة، فإنه (عليه السلام) قد خاض حروباً كثيرة، لعلها تعد بالعشرات، ولم يكن يجرؤ أحد على الإقتراب منه، فكان رشقه بالسهم هي الطريقة الممكنة لإلحاق الأذى به (عليه السلام)..

فلنا بعد هذا أن نسأل: كيف يمكن رصد حركة العدو من قبل من هو مشغول بالصلاة، إذا كان هذا هو حال الراصد في صلاته؟! هو

ونجيب:

أولاً: بأن الله تعالى قد أجاب عن ذلك في آية قرآنية مباركة، هي قوله

١- إرشاد القلوب ص ٢١٧ وحلية الأبرار ج ٢ ص ١٧٩.

٢- المحجة البيضاء ج ١ ص ٣٩٧ و ٣٩٨ وجامع السعادات ج ٣ ص ٢٦٣.

٣- الحدائق الناضرة ج ٧ هامش ص ٢٤٢ وأسرار الشهادة (ط سنة ١٣١٩هـ) ص ٢٥٥.

تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (١).
وقد جعل الله تبارك وتعالى حديث التصديق بالخاتم في حال الركوع مبرراً للإعلان عن أخطر منصب،
وأجلّ مقام، يرتبط بمستقبل ومصير البشرية بأسرها، لا في جيل بعينه، وإنما في الأجيال المتعاقبة كلها إلى يوم
القيامة..

مع أن هذا التصديق إنما حصل من نفس هذا الذي استخرجت السهام من جسده وهو يصلي، ولم
يشعر بذلك..

ثانياً: إن هذا التصديق لا يتنافى مع تلك الصلاة، فإنهما معاً من سنخ واحد، فهما عيش مع الله،
وتفكير بما يرضيه، فهو لم يفكر في الدنيا، ولا اهتم لزارجها وبها رجها.. بل انصرف إلى عبادة الله..

ثالثاً: بل هو (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قد مارسهما معاً في آن واحد، ومن الممكن توضيح ذلك بالإشارة إلى أن من
يشرف على الجنة، فإنه يرى أشجارها، وأثمارها، وحورها، وقصورها بنظرة واحدة.

كما أن من يعيش في واحات الرضى والقرب الإلهي، فإنه يشعر ويحس ويرى، ويتفاعل مع كل ما تحويه
تلك الواحات، فهو يسبح الله، ويبكي خوفاً منه، ويفرح بكونه في مقام الزلفى، ويرجو أن يحصل على المزيد
من منازل الكرامة في آن واحد أيضاً.

١ - الآية ٥٥ من سورة المائدة.

وهذا بالذات هو ما جرى حين التصدق بالخاتم في الصلاة، وكذلك حين كان (ﷺ) يصلي ويرصد حركة أعداء الله..

رابعاً: حتى لو أردنا أن نضع هذا الأمر في سياق الحسابات المفرطة في ماديتها، فنسلخها عن أبعادها الإيمانية، العميقة، فإن الناس العاديين قد يتمكنون من فعل ذلك، فإذا كان الراصد يصلي ركعتين مثلاً، ثم يجري معاناة للمحيط الذي يرصده، فإن رأى أنه لم يتغير شيء عاد إلى صلاته.. فإن التحرك المؤثر للعدو، يستغرق أكثر مما تستغرقه صلاة ركعة أو ركعتين، لأن الهدوء في الليل يفضح الأصوات، لمن يكون قريباً من مصدرها، مهما حاول من تصدر عنه أن يتستر عليها، وتحتاج لكي تختفي في ذلك الزمان الذي كان يعتمد في تحركاته الوسائل المعرقة في بدائيتها إلى المزيد من الوقت، حال الانتقال من مكان إلى مكان. فكيف إذا كانت تلك التحركات في مكان لا يتحاشى العدو وفيها من أحداث الأصوات، لأنه يظن نفسه بعيداً عن مواقع الرصد من الطرف الآخر..

الفصل الثاني:

عمرو في المواجهة .. نصوص .. وآثار

علي (عليه السلام) يسد طريق الهرب:

وذكر أنه لما عبر عمرو بن عبد ود ومن معه الخندق أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام)، بأن يمضي بمن خف معه ليأخذ الثغرة عليهم، وقال: "فمن قاتلكم عليها فاقتلوه"^(١).

فخرج (عليه السلام) في نفر من المسلمين حتى أخذ الثغرة، وسلمها إليهم، فوقف عمرو، وطلب البراز^(٢).

١- شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٤.

٢- راجع المصادر التالية: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ والإرشاد للمفيد ص ٥٢ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ٩٨ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٧ و ٢٠٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٩ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٥ و (ط مكتبة محمد علي صبيح وأولاده) ج ٣ ص ٧٠٨ وتحذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٧ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٢ وتاريخ = الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ و (ط دار الكتاب العربي) ص ٢٩٠ وإعلام الوري (ط دار المعرفة) ص ١٠٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٩٢ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٤ والدرر لابن عبد البر ص ١٧٤ والجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٣٤ وقصص الأنبياء للراوندي ص ٣٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٧٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٨ ص ١٠٨ عن مختصر سيرة الرسول لابن عبد الوهاب الحنبلي الوهابي (ط المطبعة السلفية في القاهرة) ص ٢٨٥.

وقد وصف علي (عليه السلام) قريشاً: "وفارسها وفارس العرب عمرو بن ود يهدر كالبعير المغتلم..
إلى أن قال: والعرب لا تعد لها فارساً غيره"^(١).

مبارزة علي (عليه السلام) لعمرو:

ونذكر هنا طائفة من النصوص التي تصف ما جرى بين علي وعمرو بن عبد ود ومن معه. وقد آثرنا أن
نستعيها من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) (٢)، فنقول:

١- الخصال ج ٢ ص ٣٦٨ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ٣٦٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٤ وج ٣٨ ص ١٧٠ والإختصاص
ص ١٦٧ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٨٧ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ٣ ص ١٢٦ وحمية الأبرار ج ٢ ص ٣٦٣ وغاية
المرام ج ٤ ص ٣١٩.

٢- راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) (الطبعة الخامسة) ج ١١ ص ١٢٠-١٣٦.

ذكروا: أن عمرو بن عبد ود جعل يدعو للبراز وكان قد أعلم^(١)، لكي يرى مكانه.. وهو يعرض بالمسلمين.

فقال (ﷺ) على ما في الروايات: من لهذا الكلب؟!!

فلم يقم إليه أحد.

فلما أكثر، قام علي (عليه السلام)، فقال: أنا أبارزه يا رسول الله، فأمره بالجلوس، انتظارك منه ليتحرك غيره. وأعاد عمرو النداء والناس سكوت كأن على رؤوسهم الطير، لمكان عمرو، والخوف منه وممن معه، ومن وراءه.

فقال عمرو: أيها الناس، إنكم تزعمون: أن قتلاكم في الجنة، وقتلانا في النار؟ أفما يجب أحدكم أن يقدم على الجنة، أو يقدم عدواً له إلى النار؟.

فلم يقم إليه أحد.

فقام علي (عليه السلام) مرة أخرى، فقال: أنا له يا رسول الله، فأمره بالجلوس.

فجال عمرو بفرسه مقبلاً مدبراً. وجاءت عظماء الأحزاب، ووقفت من وراء الخندق، ومدت أعناقها تنظر، فلما رأى عمرو: أن أحداً لا يجيبه قال:

ولقد بحت من النداء بجمعهم هل من مبارز

١ - أعلم: أي ميز نفسه بعلامة، لكي يراه الأقران، وهو يدل على شجاعته، وأنه غير هائب من أحد.

طووقفت مذجبن المشجع موقف القرن المناجز
إنني كذلك لـم أزل متسرعاً قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقام علي (عليه السلام)، فقال: يا رسول الله، ائذن لي في مبارزته.

فلما طال نداء عمرو بالبراز، وتتابع قيام أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ادن مني يا علي.

فدنا منه، فقلده سيفه (ذا الفقار)، ونزع عمامته من رأسه، وعممه بها، وقال: امض لشأنك.

فلما انصرف، قال: اللهم أعنه عليه^(١).

١ - راجع المصادر التالية: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٣ و ٦٤ والإرشاد للمفيد ص ٥٩ و ٦٠ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦١ و (ط مؤسسة عز الدين - بيروت) ج ٢ ص ٣٩ وإعلام الوري ص ١٩٤ و ١٩٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ و ٤٧١ و حبيب السير ج ١ ص ٣٦١ و راجع: مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥ و بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٤ و ٥ و ج ٤١ ص ٨٨ و ٨٩ و ج ٢٠ ص ٢٢٥ - ٢٢٨ و ٢٠٣ و ٢٠٥ و ٢٥٤ - ٢٥٦ و تفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ - ١٨٥ و كشف الغمة ج ١ ص ٢٠٤ و السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٤١ و شجرة طوبى ج ٢ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٦٨ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٦ و أعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٤ و سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٧٧.

ولكن ابن شهر آشوب قال: إن عمرواً جعل يقول: هل من مبارز؟! والمسلمون يتجاوزون عنه.

فركز رجمه على خيمة النبي (ﷺ)، وقال: ابرز يا مُجَدِّ.

فقال (ﷺ): من يقوم إلى مبارزته فله الإمامة بعدي؟!!

فنكل الناس عنه.

إلى أن قال: روي: أنه لما قتل عمرو أنشد علي (عليه السلام):

ضربته بالسيف فوق الهامة بضربة صارمة هدامة

أنا علي صاحب الصمصامة وصاحب الحوض لدى القيامة

أخو رسول الله ذي العلامة وقال إذ عممني عمامة

أنت الذي بعدي له الإمامة^(١)

والمفارقة هنا أن علياً هو الذي يقتل عمرواً الذي نكل عنه أبو بكر الذي طلب الإمامة واستأثر بها

لنفسه بالقوة والقهر..

وعن حذيفة قال: فألبسه رسول الله (ﷺ) درعه ذات الفضول، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وعممه

بعمامته السحاب على رأسه تسعة أكوار، ثم قال: تقدم.

فقال النبي (ﷺ) لما ولى: اللهم احفظه من بين يديه،

١ - مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٢٤ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٨٨.

ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه^(١).

ويضيف البعض: "أنه رفع عمامته، ورفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه، وقال: اللهم إنك أخذت مني عبادة بن الحرث يوم بدر، وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وهذا أخي علي بن أبي طالب. (رَبِّ لَا تَدْرِنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ)"^(٢)^(٣).

١- مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١٣٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٣ و ٢٢٦ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ.ق) ج ٢ ص ١١ ويناابيع المودة ص ٩٥ و (ط دار الأسوة) ج ١ ص ٢٨٤ وشرح الأخبار ج ١ ص ٣٢٣ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٨٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٣ وجوامع الجامع ج ٣ ص ٥٢ والصابي ج ٤ ص ١٧٦ وج ٦ ص ٢٦ ونور الثقلين ج ٤ ص ٢٥١ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٤٥١ وغاية المرام ج ٤ ص ٢٧٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٠ ص ٦٢٥ وج ٣١ ص ٢٣٤.
٢- الآية ٨٩ من سورة الأنبياء.

٣- راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦١ وج ١٣ ص ٢٨٣ و ٢٨٤ وكنز الفوائد (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٩٧ و (ط مكتبة المصطفوي . قم) ص ١٣٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٥ وج ٣٨ ص ٣٠٠ و ٣٠٩ وج ٣٩ ص ٣ وكنز العمال ج ١٢ ص ٢١٩ وج ١٠ ص ٢٩٠ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١١ ص ٦٢٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٢١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٦٢ = = ومستدركات علم رجال الحديث ج ٥ ص ٢٠٠ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ١٥٢ وفضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن عقدة ص ٧٩ والمناقب للخوارزمي ص ١٤٤ وكشف الغمة ج ١ ص ٣٠٠ وتأويل الآيات ج ١ ص ٣٢٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٤٤ وج ١٧ ص ١١٢ وج ٢٠ ص ٦٢٤ و ٦٢٦ وج ٢٣ ص ٦٤٨ وج ٣١ ص ٣٩٤.

وتصور لنا رواية عن علي (عليه السلام) الحالة حين عبور الفرسان الخندق، فهو يقول: "وفارسها وفارس العرب يومئذ عمرو بن عبد ود، يهدر كالبعير المغتلم، يدعو إلى البراز، ويرتجز، ويخطر برمح مرة، وبسيفه مرة، لا يقدم عليه مقدم، ولا يطمع فيه طامع، فأتهضني إليه رسول الله (ﷺ)، وعممني بيده، وأعطاني سيفه هذا. وضرب بيده إلى ذي الفقار. فخرجت إليه ونساء أهل المدينة بواك إشفافاً عليّ من ابن عبد ود، فقتله الله عز وجل بيدي، والعرب لا تعد لها فارساً غيره"^(١).

ونحن نشك في الفقرة التي تذكر أن نساء المدينة بواك على علي (عليه السلام) حين خرج إلى عمرو.. فإن نساء المدينة لم يحضرن إلى ذلك المكان، إلا إن كان المقصود كل النساء اللواتي حضرن مع أزواجهن كما هو عادة كثير منهم.

١- راجع: الخصال ج ٢ ص ٣٦٨ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ٣٦٨ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٤ و ج ٣٨ ص ١٧٠ والإختصاص ص ١٦٦ و ١٦٧ و شرح الأخبار ج ١ ص ٢٨٧ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ٣ ص ١٢٦ و حلية الأبرار ج ٢ ص ٣٦٣ و غاية المرام ج ٤ ص ٣١٩.

ويذكر البعض: أنه (ﷺ): "أدناه، وقبله، وعممه بعمامته، وخرج معه خطوات كالمودع له، القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه. ثم لم ينزل (ﷺ) رافعاً يديه إلى السماء، مستقبلاً لها بوجهه، والمسلمون صموت حوله، كأن على رؤوسهم الطير الخ..".^(١)

برز الإسلام كله إلى الشرك كله:

وقال (ﷺ) حينئذٍ: برز الإسلام أو الإيمان كله، إلى الشرك كله.^(٢)

فخرج له علي (عليه السلام) وهو راجل، وعمرو فارساً، فسخر به

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٥ والعثمانية للجاحظ ص ٣٣٢ وغاية المرام ج ٤ ص ٢٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٠ ص ٦٢٦.

٢ - راجع: كشف الغمة ج ١ ص ٢٠٥ وإعلام الوري ص ١٩٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦١ و ٢٨٥ وج ١٩ ص ٦١ والطرائف لابن طاووس ص ٣٥ و ٦٠ وكنز الفوائد (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٩٧ و (ط مكتبة المصطفوي . قم) ص ١٣٧ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٥ و ٢٧٣ وج ٣٩ ص ٣ ونهج الحق ص ٢١٧ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٨٨ والعثمانية للجاحظ ص ٣٢٤ و ٣٣٣ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٤٥١ وينابيع المودة ج ١ ص ٢٨١ و ٢٨٤ وغاية المرام ج ٤ ص ٢٧٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٩ وج ١٦ ص ٤٠٤ وج ٢٠ ص ١٤٠ و ٦٢٥ وج ٣١ ص ٢٣٤.

عمرو، ودنا منه علي^(١)، ومعه جابر بن عبد الله الأنصاري "رضي الله عنه"، لينظر ما يكون منه ومن عمرو^(٢). وفي بعض الروايات: أن النبي (ﷺ) قال لأصحابه: أيكم يبرز إلى عمرو وأضمن له على الله الجنة؟! والجنة اعظم خطراً من السلطة، ومن المناصب الدنيوية والأموال وكل ما في الدنيا ولكنهم زهدوا بها. فلم يجبه منهم أحد هيبة لعمرو، واستعظماً لأمره. فقام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثلاث مرات، والنبي (ﷺ) يأمره بالجلوس^(٣).

وحسب نص ابن إسحاق، وغيره من المؤرخين: خرج عمرو بن عبد ود، وهو مقنع بالحديد، فنادى: من يبارز؟! يبارز؟! فقال أنا (له) يا نبي الله.

١- إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٧١.

٢- راجع: الإرشاد للمفيد ص ٥٩ و ٦٠ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٠٠ و ١٠١ و حبيب السير ج ١ ص ٣٦١ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٣ وإعلام الوري ص ١٩٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٣٨١ والدر النظيم ص ١٦٤ والمستجد من الإرشاد (المجموعة) ص ٧٠ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٥ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٤ و ٣٩٥.

٣- كنز الفوائد (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٩٧ و (ط مكتبة المصطفوي - قم) ص ١٣٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٥.

فقال: إنه عمرو، إجلس.

ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟! فجعل يؤنبهم، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟! أفلا تُبرزون إليّ رجلاً؟!

فقام علي، فقال: أنا يا رسول الله.

فقال: إجلس.

ثم نادى الثالثة، فقال:

ولقد بححت من النداء (... إلى آخر الأبيات)

قال: فقام علي (عليه السلام)، فقال: يا رسول الله، أنا له.

فقال: إنه عمرو.

فقال: وإن كان عمرواً.

فأذن له رسول الله (ﷺ)، فمشى إليه حتى أتاه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجا كل فائز
عليك نائحة الجنائز عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

وفي الديوان المنسوب لعلي (عليه السلام) بيتان آخران هما:

ولقد دعوت إلى البراز فتى يجيب إلى المبارز
يعليك أبيض صارماً كالملح حتفاً للمبارز

فقال له عمرو: من أنت؟!

قال: أنا علي.

قال: ابن عبد مناف؟!

قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسن منك، فيأني أكره أن أهريق دمك.

فقال له علي: لكنني والله لا أكره أن أهريق دمك.

فغضب، فنزل، وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي (عليه السلام) مغضباً، واستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في درقته، فقدوها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشججه.

وضربه علي (عليه السلام) على جبل عاتقة فسقط، وثار العجاج، فسمع رسول الله التكبير، فعرفنا أن علياً قد

قتله، فثم يقول علي:

أعلي تقـتحم الفـوارس هـكذا عني وعنهم أخـروا أصـحابي
الأبيات.

إلى أن قال: وخرجت خيولهم منهزمة، حتى اقتحمت الخندق^(١).

١- راجع المصادر التالية: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٦ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٢١ عن البيهقي في دلائل النبوة، عن ابن إسحاق. وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٤ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٨ ص ١٣١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٣ وج ٢٥ ص ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٣٩ وج ٤١ = ص ٨٩ مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥ و ١٣٦. وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦ و ٤٨٧ و عيون الأثر ج ١ ص ٦١ و ٦٢ و (ط مؤسسة عز الدين - بيروت) ج ٢ ص ٤١ والروض الأنف ج ٣ ص ٢٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٨ و ٤٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٧٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٨ ص ١٠٤. وراجع أيضاً: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ و ٣٢٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦١ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٧ و ١٦٨ وديوان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ص ٦٧ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٢ و ٣٣ والمناقب للخوارزمي ص ١٠٤ وراجع: ينابيع المودة ص ٩٥ و ٩٦ وكنز الفوائد للكراچكي ص ١٣٧.

الخصال الثلاث وقتل عمرو:

وقد ذكرت بعض النصوص زيادة على ما تقدم: أن علياً (عليه السلام) عرض على عمرو خصلتين، وهما: الإسلام، فرفضه، أو النزال، فاعتذر بالخلعة بينه وبين أبي طالب، أو بغير ذلك^(١).

١ - راجع عرض الخصلتين على عمرو، ثم قتل علي (عليه السلام) له في المصادر التالية: الإرشاد للمفيد ص ٥٨ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ٩٨ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٩٨ و ٢٠٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٩ و ٢٤٠ و شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٥ و ٣٢٣ والدر النظيم ص ١٦٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٢٠ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٣ و ٢٥٤ والسيرة النبوية لدحلان = ج ٢ ص ٦ و ٧ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٣ و ١٧٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٨ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ و ١٦٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ و (ط مؤسسة عز الدين) ج ٢ ص ٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٦ و (مكتبة محمد علي صبيح وأولاده) ج ٣ ص ٧٠٩ و تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٣ و ١٩٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٦ و ٤٣٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٣٢ و تفسیر الثعلبي ج ٨ ص ١٥ و تفسیر البغوي ج ٣ ص ٥١٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٣٤١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٧٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٢٩٠ ومطالب السؤل ص ٢٠٧ وكشف اليقين ص ١٣٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٧٢ و ج ١٨ ص ١٠٦ و ج ٣٢ ص ٣٣٦ و ٣٦٤.

لكن بعض الروايات ذكرت: أنه عرض عليه ثلاث خصال. وأنه (عليه السلام) قال: يا عمرو، إنك كنت تقول في الجاهلية: لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها.

قال: أجل.

قال علي: فإني أدعوك إلى: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتسلم لرب العالمين.

قال: يا ابن أخي، أجز عنى هذه.

قال: وأخرى، ترجع إلى بلادك، فإن بك محمد صادقاً كنت أسعد

الناس به، وإن يك كاذباً كان الذي تريد.

وفي نص آخر: كفتهم ذؤبان العرب أمره.

قال: هذا ما لا تحدث به نساء قريش أبداً، وقد نذرت ما نذرت، وحرمت الدهن^(١).

قال: فالثالثة؟!!

قال: البراز.

فضحك عمرو، وقال: إن هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يرومني عليها، فمن أنت؟!!

قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهرق دمك.

فقال علي (عليه السلام): لكني . والله . لا أكره أن أهرق دمك.

فغضب عمرو، فنزل عن فرسه وعقرها، وسل سيفه كأنه شعلة نار،

١ - زاد في نص القمي: ولا تنشذ الشعراء في أشعارها: أنه حين ورجع، وخذل قوماً رأسوه عليهم. راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٤ والصافي ج ٤ ص ١٧٦ وج ٦ ص ٢٧ ونور الثقلين ج ٤ ص ٢٥٢. وعند المعتزلي: إذن تتحدث نساء قريش عني: أن غلاماً خدعني. راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ وبحار الأنوار ج ٣٩ ص ٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٧٤.

ثم أقبل نحو علي مغضباً، واستقبله علي بدرقته الخ...
أما المفيد وغيره، فقالوا: إن عمرواً قال لعلي (عليه السلام): إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك لي نديماً.

وعند الواقدي قال: "فأنت غلام حدث، إنما أردت شيخي قريش: أبا بكر وعمر.
فقال علي (عليه السلام): لكنني أحب أن أقتلك، فانزل إن شئت، فأسف عمرو، ونزل، وضرب وجه فرسه حتى رجع" انتهى.
وعند آخرين: أنه عرقب فرسه، وضرب علياً (عليه السلام) بالسيف، فاتقاه بدرقته، فقطعها، فثبتت السيف على رأسه.

وقال القمي وغيره: فقال له (عليه السلام): أما كفاك أني بارزتك، وأنت فارس العرب، حتى استعنت علي بظهر؟!.

فالتفت عمرو إلى خلفه، فضربه على ساقيه، فقطعهما جميعاً.
وعبارة حذيفة هكذا: "وتسيف علي رجله بالسيف من أسفل، فوقع على قفاه"^(١).
وتستمر رواية القمي فتقول: وارتفعت بينهما عجاجة، فقال المنافقون: قتل علي بن أبي طالب، ثم انكشفت العجاجة، فنظروا، فإذا أمير المؤمنين

١ - راجع عبارة حذيفة في: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٨ ص ١٣٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٤ وج ٤١ ص ٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٦ و ١٣٧ والميزان ج ١٦ ص ٢٩٨.

(عليه السلام) على صدره أخذ بلحيته، يريد أن يذبحه.
 فذبحه، ثم أخذ رأسه، وأقبل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو، وسيفه
 يقطر منه الدم، وهو يقول والرأس بيده:
 أنا علي وأنا ابن المطلب الموت خير للفتى من الهرب
 فقال له (صلى الله عليه وآله): يا علي، ماكرته؟! .
 قال: نعم يا رسول الله، الحرب خدعة.
 وينقل المفيد عن جابر، ونقله غيره من دون تصريح باسم الراوي قوله: فثارت بينهما قترة، فما رأيتهما.
 فسمعت التكبير تحتها، فعلمت أن علياً (عليه السلام) قد قتله.
 فانكشف أصحابه، حتى طفرت خيولهم الخندق.
 وتبادر أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) حين سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم، فوجدوا نوفل بن عبد الله
 الخ...^(١).

١ - راجع فيما تقدم بتفصيل أو إجمال المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ والإرشاد للمفيد ص ٥٩ و ٦٠ وكشف
 الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٤ و ٢٠٣ وإعلام الوري ص ١٩٤ و ١٩٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ . ١٨٥ و بحار الأنوار ج ٢٠
 ص ٢٢٥ . ٢٢٨ و ٢٠٣ فما بعدها و ص ٢٥٤ . ٢٥٦ و ج ٤١ ص ٩٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ والسيرة الحلبية ج ٢
 ص ٣١٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ و ٤٧١ و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٣ و ٤٦ و بحجة المحافل = و شرحه ج ١
 ص ٢٦٦ و ٢٦٧ و حبيب السير ج ١ ص ٣٦١ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٥ .
 وراجع المصادر التالية: شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ . ق) ج ٢ ص ١١ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ والسيرة النبوية
 لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ و شرح
 الأخبار ج ١ ص ٢٩٥ و ٢٩٦ و كنز العمال ج ١٠ ص ٢٩٠ و مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٩ .

وعند المعتزلي: ثارت الغيرة، وسمعوا التكبير من تحتها، فعلموا أن علياً قتل عمرواً، فكبر رسول الله (ﷺ)، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين^(١).
وروي: أن عمرواً جرح رأس علي (عليه السلام)، فجاء إلى رسول الله (ﷺ)، فشدته، ونفت فيه، فبرئ وقال:
أين أكون إذا خضب هذه من هذه؟!^(٢).
وفي القاموس وغيره: كان علي ذاً شجتين في قرني رأسه، إحداهما: من

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٤ والغدير ج ٧ ص ٢١٢ والعثمانية للجاحظ ص ٣٣٢ وغاية المرام ج ٤ ص ٢٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٠ ص ٦٢٦.
٢ - مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٢٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٦١ وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٢٩٩.

عمر بن عبد ود، والثانية: من ابن ملجم، ولذا يقال له: ذو القرنين^(١).
وعنه (عليه السلام) أنه قال عن عمرو: "وضرني هذه الضربة. وأوماً بيده إلى هامته"^(٢).
نص الحسكاني:

وقد ذكر لنا الحاكم الحسكاني بعض التفصيلات الهامة هنا، فقال:
"ثم ضرب وجه فرسه فأدبرت، ثم أقبل إلى علي (عليه السلام)، وكان رجلاً طويلاً، يدواى دبيرة البعير وهو قائم.
وكان علي في تراب دق، لا يثبت قدماه عليه، فجعل علي ينكص إلى ورائه يطلب جلدأ من الأرض
يثبت قدمه، ويعلوه عمرو بالسيف. وكان في درع عمرو قصر، فلما تشاك بالضربة، تلقاها علي بالترس،
فلحق ذباب السيف في

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ وتاج العروس ج ٩ ص ٣٠٧ و (ط دار الفكر) ج ١٨ ص ٤٤٧ والنهية لابن الأثير ج ٤ ص ٥٢ و
٥١ والقاموس المحيط ج ٤ ص ٢٥٨ ولسان العرب ج ١٣ ص ٣٣٢ و ٣٣٣ والغارات للثقفى ج ٢ ص ٧٤٤ والكنى والألقاب ج ٢
ص ٢٥٧ وراجع: المستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٢٣ لتجد حديث: إنك لذو قرنيها. وكذا نوادر الأصول ص ٣٠٧.
٢- الخصال ج ٢ ص ٣٦٨ و ٣٦٩ وجمار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٤ و ج ٣٨ ص ١٧١ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ٣
ص ١٢٦ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٨٨ والإختصاص للمفيد ص ١٦٧ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٣٦٤ وغاية المرام ج ٤ ص ٣١٩.

رأس علي، حتى قطعت تسعة أكوار، حتى خط السيف في رأس علي.
وتسيف علي رجله بالسيف من أسفل، فوقع على قفاه.
وثارت بينهما عجاجة، فسمع علي يكبر.
فقال رسول الله (ﷺ): قتله والذي نفسي بيده.
فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب، فإذا علي يمسح سيفه بدرع عمرو.
فكبر عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، قتله.
فحز علي رأسه، ثم أقبل يخطر في مشيته، فقال له رسول الله: يا علي، إن هذه مشية يكرهها الله عز
وجل إلا في هذا الموضع الخ..^(١)
وفي نص آخر عند الحسكاني عن علي (عليه السلام): أنه لما برز لعمرو دعا بدعاء علمه إياه رسول الله
(ﷺ): اللهم بك أصول، وبك أجول، وبك أدراً في نحره^(٢).
لكن البعض يقول: "أتى برأسه وهو يتبختر في مشيته، فقال عمر: إلا ترى يا رسول الله إلى علي كيف
يتيه في مشيته؟!"

١- شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ. ق) ج ٢ ص ١١ و ١٢ ومجمع البيان ج ٨ ص ٢٤٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٨ ص ١٣٢
وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٤.

٢- شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ. ق) ج ٢ ص ١٣ وفضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن عقدة ص ٢٠٨.

فقال (ﷺ): إنها مشية لا يمقتها الله في هذا المقام"^(١).

نصوص أخرى:

وذكر نص آخر: أنه (ﷺ) احتز رأسه، وحمله، وألقاه بين يدي النبي (ﷺ)، فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأس علي، ووجه رسول الله (ﷺ) يتهلل، فقال: هذا النصر، أو قال: هذا أول النصر"^(٢).

وقال له أبو بكر: المهاجرون والأنصار رهين شكرك ما بقوا"^(٣).

وقالوا: إن علياً (ﷺ) ضرب عمرواً على جبل العاتق فسقط

١ - كنز الفوائد (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٩٧ و (ط مكتبة المصطفوي - قم) ص ١٣٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٦ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٨٩.

٢ - راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ والإرشاد للمفيد ص ٦١ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٠٤ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٥ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٨ ص ١٣٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٦ و ٢٥٨ و ج ٣٩ ص ٤١ و ج ٩١ و حبيب السير ج ١ ص ٣٦٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٤ و ٣٩٦ والدر النظيم ص ١٦٥ ورسائل المرتضى ج ٤ ص ١١٩ و ١٢٣.

٣ - مناقب آل طالب ج ٣ ص ١٣٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٢٦ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٩١.

وثار العجاج.

وقيل: طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه، فسقط وسمع رسول الله (ﷺ) التكبير، فعرف أن علياً قتله^(١).

وحكى البيهقي عن ابن إسحاق: أن علياً طعنه في ترقوته^(٢). وقالوا أيضاً: أنه حين قتل علي عمراً ومن معه "انصرف إلى مقامه الأول، وقد كادت نفوس القوم الذين خرجوا معه إلى الخندق تطير جزعاً"^(٣).

وقال علي (عليه السلام) في المناسبة أبياتاً نذكرها، ونضم ما ذكره بعضه إلى بعض، وهي:

-
- ١- راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٧٩ والمناقب للخوارزمي ص ١٦٩ وعبون الأثر ج ٢ ص ٤١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٢ ص ٣٦٦ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٧.
- ٢- البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٢٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٥ ومستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ٥٧٥ ومجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٨ ص ١٣٣ والميزان ج ١٦ ص ٢٩٨ وتفسير الألوسي ج ٢١ ص ١٥٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥.
- ٣- راجع: الإرشاد للمفيد ص ٦٠ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ٩٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٤ و ٣٩٤ و ٣٩٦ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٣.

أعلي تفتحهم الفوارس هكذا
اليوم تمنعني الفرار حفيظتي
آلى ابن ود حين شد أليّة
أن لا أصد ولا يولي والتقى
عرف ابن عبد حين أبصر صارماً
أرديت عمرواً إذ طغى بمهند
نصر الحجارة من سفاهة رأيه
فصدرت حين تركته متجدلاً
وعففت عن أثوابه ولو أنني
لا تحسبن الله خاذل دينه
عني وعنهم أخرجوا أصحابي
ومصمم في الرأس ليس بناب
وحلفت فاستمعوا إلى الكذاب
رجلان يضطربان كل ضراب
يهتز أن الأمر غير لعاب
صافي الحديد مجرب قضاب
ونصرت رب محمد بصواب
كالجدع بين دكادك وروابي
كنت المقطر بزني أثوابي
ونبيه يا معشر الأحزاب^(١)

١- هذه الأبيات توجد موزعة ومجتمعة في مصادر كثيرة، لكن رواية السهيلي لها تختلف جزئياً عما ذكرناه هنا، ومهما يكن من أمر، فإن ما ذكرناه مذكور كله أو بعضه في المصادر التالية وغيرها: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٦ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٩٩ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٣٣ والبدایة والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٢٢ والإرشاد للمفيد ص ٥٩ و ٦١ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٠٤ وإعلام الوری (ط دار المعرفة) ص ١٠٠ و ١٠١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ و ٢٠٥ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ وراجع: مجمع = البيان ج ٨ ص ٣٤٣ و ٣٤٤ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٩١ و ج ٢٠ ص ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٥٤ و ٢٥٧ و ٢٦٤ و ٦٥ وعن الديوان المنسوب لأمریر المؤمنین (عليه السلام) ص ٢٣ و عیون الأثر ج ٢ ص ٦١ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ و حبيب السير ج ١ ص ٣٦٢ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٨ و ١٦٩ و مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧ و ١٣٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٢٦ و شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٦ و (ط مركز النشر الإسلامي) ج ١ ص ٣٢٤ و كنز الفوائد للكراچكي ١٣٧ و ١٣٨ و مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص ٦٨ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٧٩ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٢ ص ٣٦٦.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلِّي (عليه السلام) (١).

وستأتي لنا: وقفة مع ابن هشام فيما يرتبط بكلامه هذا.

وخرجت خيولهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق.

قال ابن هشام وغيره: وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذٍ، وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن

ثابت في ذلك:

فَرَّ وَأَلْقَى لَنَا رَمْحَهُ لَعَلَّكَ عَكْرَمٌ لَمْ تَفْعَلْ
وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعْدُو الظَّلِيمِ مَا إِنْ تَجُورُ عَنِ الْمَعْدَلِ

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٧٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٦ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٣ ص ٧٠٩
والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٢١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣.

ولم تلق ظهرك مستأنساً كأن قفاك قفا فرعل^(١)
وحول مبارزة علي لعمر، وقتله على يده، راجع المصادر الموجودة في الهامش^(٢)، وبعضها قد صرح: بأن
النبي (ﷺ) قد رد علياً

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٧٩ وراجع: خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٤ والسيرة النبوية لابن هشام
ج ٣ ص ٢٣٧ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٣ ص ٧٠٩ وتهديب سيرة ابن هشام ص ١٩٤ وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٦
و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٢١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦. والسيرة النبوية لابن
كثير ج ٣ ص ٢٠٣ و ٢٠٥ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٦ والجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٣٤.
٢ - راجع فيما عدا المصادر التي تقدمت في الهوامش السابقة ما يلي: مرآة الجنان ج ١ ص ١٠ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ وراجع:
جوامع السيرة النبوية ص ١٥٠ والوفاء ج ٢ ص ٦٩٣ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٢ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ والمواهب اللدنية
ج ١ ص ١١٣ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ وراجع: إعلام الوري (ط دار المعرفة) ص ١٠٠
والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ وتجارب الأمم ج ٢ ص ١٥٣ والأوائل
للعسكري ج ٢ ص ٢٢٣ والطرائف ص ٦٠ وبحار الأنوار ج ٣٩ ص ١ عنه.

(عائشة) مرتين، وأجازه في الثالثة^(١).

وقد ذكر رجز عمرو في طلب البراز، وجواب علي له برجز علي نفس الوزن والقافية في كثير من المصادر أيضاً^(٢).

١- خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٧ وينابيع المودة ص ٩٤ و ١٣٦ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ.ق) ج ٢ ص ١٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٤١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٣ ومجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٨ ص ١٣١ والميزان ج ١٦ ص ٢٩٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٤ و ٢٣٠ و ٣٩٥ و عيون الأثر ج ٢ ص ٤١ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ١١٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٨ ص ١٠٤ و ١٠٧ و ج ٣٠ ص ١٤٨.

٢- راجع بالإضافة المصادر المتقدمة ما يلي: كشف الغمة ج ١ ص ١٩٧ و ١٩٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٣ وعن ديوان أمير المؤمنين ص ٦٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩١ و ج ١٩ ص ٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٣ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٧ و ١٦٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ و ٣١٩ ورسائل المرتضى ج ٤ ص ١١٨ وشرح الأخبار ج ١ ص ٣٢٣ والإرشاد (ط دارالمفيد) ج ١ ص ١٠٠ وكنز الفوائد ص ١٣٧ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٢٤ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٣ و ٢١٥ و ٢٢٥ و ٢٥٥ و ج ٣٩ ص ٥ و ج ٤١ ص ٨٩ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٨٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ٤٥٢ والصافي ج ٤ ص ١٧٥ و ج ٦ ص ٢٦ ونور الثقلين ج ٤ ص ٢٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٧٩ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٦ و = (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٢١ ومطالب السؤول ص ٢٠٦ و عيون الأثر ج ٢ ص ٤١ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٣٣٩.

يقول أهلكت مالاً لبدأً:

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر في قوله: (يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبْدًا)^(١)، قال:

هو عمرو بن عبد ود، حين عرض عليه علي بن أبي طالب الإسلام يوم الخندق، وقال: فأين ما أنفقت فيكم مالاً لبدأً؟! وكان قد أنفق مالاً في الصد عن سبيل الله، فقتله علي^(٢).

ولم نجد هذه الرواية إلا في تفسير القمي، فليلاحظ ذلك.

ونقول:

هنا وقفات عديدة، نذكر منها ما يلي:

١- الآية ٦ من سورة البلد.

٢- تفسير القمي ج ٢ ص ٤٢٢ وبحار الأنوار ج ٩ ص ٢٥١ وج ٢٠ ص ٢٤٢ والأصفي ج ٢ ص ١٤٤٤ والصافي ج ٥ ص ٣٣٠

وج ٧ ص ٤٨٣ ونور الثقلين ج ٥ ص ٥٨٠.

الفصل الثالث:

قتل عمرو..

أخذ الثغرة على الفرسان:

إن أمر النبي (ﷺ) علياً بأن يأخذ الثغرة على الفرسان يشير إلى عدة أمور:
أحدها: أنه (ﷺ) قد أمر علياً (عليه السلام) بأن يأخذ الثغرة، رغم الخطر الذي يمثله وجود فارس العرب، وفرسان آخرين معه، يرون أن هذا الإجراء يعينهم،

فدلنا ذلك على ثقة النبي (ﷺ) بقدرته علي (عليه السلام) على تحقيق المطلوب، وعلى أن الذين كانوا مع علي (عليه السلام) لم يكن لهم دور يذكر في أخذ تلك الثغرة، بل دورهم كان في حفظها، بعد أن يأخذها علي (عليه السلام) لهم، ويمكنهم منها..

الثاني: لعله (ﷺ) كان يخشى أن يوجه الخطاب للمجموعة كلها، فيظهر بعضها التردد، فيكون ذلك سبباً في زيادة رعب المسلمين، وظهور الفشل فيهم، وطمع عدوهم بهم.

الثالث: إن أخذ الثغرة من شأنه أن يجعل الفرسان الذين عبروا إلى جهة المسلمين محاصرين وغير آمنين، لا من جهة المسلمين، ولا من الجهة الأخرى التي عبروا منها..

الرابع: إن ذلك يمنع من وصول المدد إليهم، أو يؤخره، فلا يصلهم إلا بعد فوات الأوان، أو أنه يعرقل تقهقرهم لو احتاجوا إلى ذلك، فيتمكن المسلمون منهم.. وذلك من موجبات قلقهم، وإرباك حركتهم، وتحديد وتضييق مجال عملهم..

الخامس: إن المسلمين الذين يجرسون الثغرة، بعضهم ما كان يجرؤ على الوصول إلى ذلك الموقع، والوقوف فيه لولا شعوره بقدر من الطمأنينة بسبب وجود علي (عليه السلام) معهم، وعلمهم بأنه سوف ينجدهم لو تعرضوا لأي خطر، فإلى علي (عليه السلام) استندوا، وعلى مبادرته لحمايتهم ونجدهم اعتمدوا.

السادس: إنه لا محل للسؤال عن دور الذين أخذوا الثغرة في منع من هرب من الهرب، فإن الهرب خفيف المؤنة، فإنه يخيفه بسيفه، ثم يزيغ عنه. ولا مجال للحاق به، لأن ذلك معناه: التصادم المباشر مع جيش الأحزاب كله..

عمرو شيخ كبير!!:

زعموا: أن عمرو بن عبد ود كان قد بلغ تسعين سنة، وقد حرم الدهن حتى يثأر بمحمد وأصحابه، وذلك أنه في بدر قد أثبتته الجراحة، وارث فلم يشهد أحداً^(١).

١- راجع المصادر التالية، فقد تعرضت لذلك كله أو بعضه: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١٨ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٤١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٧٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ والمغازي = للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ و ٦٣ و ج ١٥ ص ٨٥ و ٨٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٢ و ٢٠٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ ووفاء الوفاء ص ٦٩٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٧٠.

وإذا صح هذا فلماذا نكل كبار الصحابة عن مبارزته ..
وهذه مبالغة في مقدار عمره، لعلها بهدف التقليل من شأن عمرو، وأن قتله ليس بذلك الإنجاز المهم،
لأنه كان قد شاخ وضعف ..

وهو كلام باطل، فإن وصف علي (عليه السلام) له بأنه فارس العرب يومئذٍ، ولا تعد العرب لها فارساً غيره، ثم
جبن المسلمين عن مواجهته . وهم يعدون بالملئات، وكذلك ما قاله النبي (صلى الله عليه وآله) في حق قاتله كل ذلك يدل
على مكانة عمرو في ساحات الحرب ..

علي (عليه السلام) غلام حدث:

وفي رواية: أن عمرو بن عبد ود قال لعلي (عليه السلام): "إذن تتحدث نساء قريش أن غلاماً خدعني"^(١) ..

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ وبحار الأنوار ج ٣٩ ص ٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٧٤.

ووصفه في رواية الواقدي: بأنه (عَلِيًّا) حدث^(١).

ونقول:

أولاً: إن كلمة "غلام" وإن كانت تطلق على الشيخ الكبير، وعلى الفتى الناشيء، ولكن المقصود هنا هو القول بأن علياً كان غلاماً صغيراً بنظر الناس، يأنف الرجال الكبار أن يقال: إنهم خدعوا منه، أو من أمثاله.. ويؤيده: إضافة إلى الواقدي لكلمة "حدث"!!

وهذا كلام غير دقيق، فإن علياً (عَلِيًّا) كان قد بلغ السابعة أو الثامنة والعشرين عاماً.. فهو رجل كامل الرجولة، لا يأنف أحد من منازلته.

إلا إذا فرض: أن عمرواً كان يريد أن يوجه إهانة متعمدة لعلي (عَلِيًّا) في هذا الموقف.

ثانياً: إذا صحت هذه الرواية، فإن أنفة عمرو من أن تتحدث نساء قريش بهذا الأمر، ليست بذات قيمة، فإن المعيار يجب أن يكون هو العدل، والإنصاف، ولإلنقياد لحكم العقل وقضاء الفطرة، وفوق ذلك كله طلب رضا الله تبارك وتعالى، لا حديث النساء، اللواتي كان عمرو وأشباهه من أهل الجاهلية يحتقروهن، ويظلموهن، بل كانوا يئدونهن في التراب، وهن أحياء.. ويصفونهن بالنقص، والمهانة، ولا يعتدون برأيهن.

١ - المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧١.

شيخا قريش:

وتقدم في رواية الواقدي قول عمرو بن عبد ود لعلي (عليه السلام): "فأنت غلام حدث، إنما أردت شيخي قريش: أبا بكر وعمر"^(١).

ونقول:

أولاً: إن علياً (عليه السلام) لم يكن حدثاً كما تقدم، كما أن أبا بكر وعمر لم يكونا شيخي قريش، لا يوم الخندق، ولا قبله في أي يوم من الأيام، فلماذا يعطيها سمة ليست فيهما؟! وقد أوردنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): أنهما من أقل وأذل حي في قريش. فراجع.

ثانياً: إنه إذا كان المقصود: أنهما شيخا قريش من حيث الفروسية، والبطولة.. أو من حيث إن قتلتهما سوف يفت في أعضاد المسلمين، وتنكسر بذلك شوكتهم، ويختل أمرهم.. فهو غير ظاهر الوجه.. لأنهما لم يكونا معروفين بالفروسية والشجاعة والإقدام، ولم يظهر لهما أي أثر في ذلك، لا في بدر، ولا في أحد، بل إن فرارهما في أحد، وعزوفهما عن مبارزة عمرو، مع أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد ضمن الجنة أو الإمامة لمن يبرز إليه قد أظهر أنهما على خلاف ذلك..

والذي كان له الأثر العظيم في الحروب هو علي (عليه السلام)، وقد شاهد عمرو نفسه بعض آثاره (عليه السلام) في بدر، وسمع عما فعله في أحد.

١ - المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧١.

كما أن قتل أبي بكر وعمر لا يغير شيئاً، ولا يفيد عمروا فيما يرمي إليه، إذ أنهما ليسا بأعظم من عبادة بن الحارث بن المطلب، ولا من حمزة بن عبد المطلب.. ومع ذلك لم يوجب إستشهادهما إنكسار جيش المسلمين، ولا إختلال أمرهم، ولا إنكسار شوكتهم..

بل لقد رأينا لأبي بكر موقفاً من أسرى بدر، لا تدمه قریش.. كما أن لخالد بن الوليد وضرار بن الخطاب الفهري موقفاً من عمر بن الخطاب العدوي، لا يذمهما عليه عمر^(١).
من يبرز لعمرو فله الإمامة:

وتقدم أن النبي (ﷺ) قال: "من يقوم إلى مبارزته فله الإمامة بعدي" ..

فقد دلت هذه الكلمة على أمور، وهي:

ألف: الأخبار عن فشل المشركين في معركتهم، لأن الإسلام سيبقى إلى ما بعد إستشهاد الرسول (ﷺ)، وإن الإمامة ستكون من بعده..

والمقصود بالإمامة: هو معناها الشرعي الحقيقي، لأنه هو الذي يجعله النبي (ﷺ) لهذا أو لذاك من بعده. وهذا الجعل النبوي لا يعني التنخلي عما جرى في يوم إنذار عشيرته الأقربين، بل هو يؤكده، لأنه

١ - راجع غزوة بدر وأحد في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ).

كان يعرف أصحابه، ويعرف أن الإمام الحقيقي هو الذي يضحى بنفسه إلى هذا الحد.
ب: إنه (ﷺ) لم يعط الإمامة لمن يقتل عمرو، فلعل الكثيرين يرون أنفسهم عاجزين عن قتله لفروسته
وشدته.. بل جعلها لمن يقوم لمبارزته..

ج: إنها إخباراً بأن مبارز عمرو لن يصاب بأذى.

د: تضمنت الأخبار عن بقاء مبارزه على قيد الحياة إلى ما بعد إستشهاد الرسول (ﷺ).. وضمن الجنة
للمبارز لا تعني استشهاده، إذ إن نفس المبارزة هي التي تجعله مستحقاً للجنة.

والقول: بأن مبارزة علي (عليه السلام) لعمرو لا تدل على شجاعته، لأنها اقتزنت بإخبار النبي
(ﷺ) للمبارز بالبقاء حياً لا ينفع قائله.. إذ لماذا لم يبرز له غير علي (عليه السلام) مع علمهم بالبقاء، فإن
الأخبار بالبقاء لا يختص بعلي (عليه السلام) لكن نفس يقين علي (عليه السلام) بصحة وقوع ما يخبر به النبي (ﷺ)،
وشكهم في ذلك كان من أعظم فضائله (عليه السلام).

على أننا قد ذكرنا في حديث إنذار العشرة ما يفيد في دفع هذا التوهم.. فلا بأس بمراجعته.

هـ: إننا نعلم إن للإمامة مؤهلات وشروطاً، ومنها العلم والعصمة والشجاعة... فكيف أنيطت هنا بمجرد
القيام لمبارزة شخص ما من الناس.. مع أن قد يقوم إليه من لا يملك شيئاً من ذلك.

ويجاب:

بأن إطلاق هذه الكلمة في مثل هذا الحال، يشير إلى أنه الله سبحانه قد أطلع نبيه على غيبه، وأنه لن يقوم لمبارزة ذلك الرجل إلا من إختاره الله تعالى للأمامة، ويكون هذا الإعلان مستبطن للنص على صاحب الحق، وكاشفاً عنه وعن إختيار الله تعالى له..

و: لا ندري لماذا نكل أبو بكر وعمر عن مبارزة عمرو ألم يكفهما هذا الضمان من رسول الله (ﷺ) لسلامتهما لو بارزا عمرواً . ولماذا لم يثقا بالله ورسوله ولم يتيقنا بصدق هذا الوعد القاطع.
ز: إن هذا لا يتنافى مع قوله (ﷺ): من يبرز لعمرو وأضمن له على الله الجنة، إذ يمكن أن يكون (ﷺ) قد قال الكلمتين معاً..

هل جرح علي (عليه السلام)؟!:

زعمت بعض الروايات المتقدمة: أن علياً (عليه السلام) جرح بسيف عمرو، وكان (عليه السلام) ذا شجنتين في رأسه: إحداهما: من عمرو .

والأخرى: من ابن ملجم، فهو ذو قرنيها كما ورد في الرواية.. فإن البلاذري يقول: ويقال: إن علياً لم يجرح قط^(١).

١ - راجع: أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٧٨ = وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤٩٨ وصفين للمنقري ص ٣٦٣.

ونحن لا نوافق البلاذري على مدعاه، فقد جرح (عليه السلام) في أحد جراحات كثيرة، بل ورد أنهم كانوا يسلون السهام من جسده حين كان يدخل في الصلاة، لأنه لا يشعر بالألم في حال الصلاة^(١).

بين علي (عليه السلام) وعمرو:

ذكر الحاكم الحسكاني: أن علياً (عليه السلام) حينما برز لعمرو، وكان عمرو طويلاً: "جاء حتى وقف على عمرو، فقال: من أنت؟!".

فقال عمرو: ما ظننت أني أقف موقفاً أجهل فيه، أنا عمرو بن عبد ود، فمن أنت؟!!

قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال: الغلام الذي كنت أراك في حجر أبي طالب؟!!

قال: نعم.

قال: إن أباك كان لي صديقاً، وأنا أكره أن أقتلك.

فقال له علي (عليه السلام): لكني لا أكره أن أقتلك.

١- راجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦٠٢ عن المناقب المرتضوية الكشفي الحنفي ص ٣٦٤ وراجع: إرشاد القلوب ص ٢١٧ وحلية الأبرار ج ٢ ص ١٧٩ والحدائق الناضرة ج ٧ هامش ص ٢٤٢ وأسرار الشهادة (ط سنة ١٣١٩هـ) ص ٢٥٥.

ثم ذكر تخبيره بين الخصال الثلاث، فرفضها، فقال له علي (عليه السلام): فأنت فارس وأنا راجل.
فنزل عن فرسه وقال: ما لقيت من أحد ما لقيت من هذا الغلام^(١).
والظاهر: أن علياً (عليه السلام) أراد إذلال عمرو، وتحطيم كبريائه. وقد تحقق له ما أراد، حتى شكا ذلك عمرو
نفسه كما ترى.

وقلنا ذلك، لأننا لا نشك في أنه (عليه السلام) كان يعرف قرنه، الذي كان قد حضر بدراناً، وأخبره النبي
(صلى الله عليه وآله وسلم) حين أذن له بمبارزته بقوله: إنه عمرو، وكان يراه منذ صغره، كما صرحت به الرواية الأنفة الذكر
نفسها.

ثانياً: قال المعتزلي: "كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول، إذا مررنا في القراءة عليه
بهذا الموضع: والله، ما أمره بالرجوع إبقاء عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه بيدراً، وعلم أنه إن
ناهضه قتله. فاستحيا أن يظهر الفشل، فأظهر الإبقاء والإرعاء، وإنه لكاذب فيهما"^(٢).
إنه عمرو:

تقدم: أن علياً (عليه السلام) ألح على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يأذن له بمبارزة عمرو، فقال له (صلى الله عليه وآله وسلم): إنه عمرو.

١- شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ.ق) ج ٢ ص ١١.

٢- شرح نوح البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ وراجع: بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٤ وسيرة المصطفى ص ٥٠٢ وأعيان الشيعة ج ١
ص ٢٦٤ و ٣٩٥.

فقال (عليه السلام): وأنا عليّ.

فاعتبر الإسكافي: أن هذا يدل على أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد ضمن بعلي (عليه السلام) عن مبارزة عمرو^(١).
ونقول:

إن كلام الإسكافي غير دقيق.. لأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يعرف علياً (عليه السلام)، ويعرف عمرواً، ولعل الأصح أن يقول: إنه (صلى الله عليه وآله) أراد أن يقطع عذر الآخرين، حتى لا يقول قائل قد سبقني إليه علي (عليه السلام)، أو أن يتوهم: أنه كان يمكن أن يقتل عمرو على يد أي رجل كان من المسلمين، فأراد (صلى الله عليه وآله) أن يعرفنا أن من أحجم عن مبارزة عمرو إنما أحجم فرقاً وجنباً، وضعف ثقة بالله وبرسوله، وأن يعرف الناس بقيمة الإنجاز الذي سوف يقدمه علي (عليه السلام) في منازلة عمرو وغيره، وأنه توفيق إلهي عظيم، فلا معنى للإستخفاف بعمرو بهدف انكار هذا الفضل لعلي (عليه السلام) الذي لم يكن لديه أدنى تردد في بذل نفسه في سبيل دينه وره.

ويريد أن يعرف الناس أن علياً (عليه السلام) قد بارز عمرواً مع علمه بفروسيته، وأن قتله لم يكن مجرد صدفة، حالفه الحظ فيها.

١- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٣ و ٢٨٤ والغدير ج ٧ ص ٢١٢ والعثمانية للجاحظ ص ٣٣٢ وغاية المرام ج ٤ ص ٢٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٠ ص ٦٢٦.

عرض الخصال الثلاث على عمرو:

إن عرض علي (عليه السلام) الخصال الثلاث على عمرو، وهي أن يُسلم، أو يرجع، أو يبارز.. لهو الغاية في النصفقة، وتدل على أن الهدف ليس هو قتل الناس، بل المطلوب هو حقن دمائهم، ودفع بغيهم.. وقد ترك هذا التصرف الحكيم، والمنصف، عمرواً في موقع الباغي والمعتدي، والظالم..

وقد رأينا: أنه (عليه السلام) لم يفرض عليه أن يسلم أو يقتل، ولو أنه فعل ذلك لصحت التهمة التي يروج لها أعداء الإسلام أن الإسلام قام بالسيف، بمعنى أن الناس أسلموا تحت طائلة التهديد بالقتل، ولم يكن أمامهم سوى أحد خيارين: إما القتل، أو الإسلام..

لقد خيره (عليه السلام) بين ثلاثة أمور هي:

الإسلام.. أو الرجوع عن البغي والعدوان، أو المبارزة التي فرضها هو على نفسه حين جاء لحرب المسلمين بغياً منه وعتواً..

وذلك لأن المشركين قد قطعوا تلك المسافات الطويلة، لكي يمنعوا الناس من ممارسة حريتهم، ويسلبوهم الاختيار الذي منحه الله لهم ولكل البشر.

والنبي (صلى الله عليه وآله) إنما عرض الإسلام على الناس فاختاروه، ولم يفرضه على أحد، لكن قريشاً والطواغيت هم الذين انبروا لقتال من مارس حريته في الاختيار، والتدين..

وحين عرض علي (عليه السلام) الإسلام على عمرو فأبى عرضه عليه، من موقع الرفق به، والإنصاف له، وإعطائه فرصة أخيرة لينقذ نفسه من النار..

على أنه لم يقتصر على هذا الخيار، بل شفعه بخيار آخر، يمنحه فرصة

النجاة في الدنيا، وهو خيار يتناغم مع رغبته في الحياة، والتمتع بمباهجها، كما أنه لا يعارض آراءه وميوله ومعتقداته، فإنه (عليه السلام) لم يكتف بطلبه الرجوع عن حرب محمد والمسلمين، بل شفع ذلك بما يرغبه في هذا الخيار بالذات، حين قال له: إن يكن محمد صادقاً كان أسعد الناس به، وإن يك كاذباً كفتهم ذوبان العرب أمره.

وهي كلمة تحتم على عمرو إعادة النظر في صوابية قراره الذي جاء به إلى هذه الحرب، مستثيراً في نفسه نوازع الطموح، ومستحثاً في داخله مشاعره القبلية، عليها تفيد في ضبط حركته، ولجم اندفاعه نحو الهاوية.. كما أن هذه الكلمة تسهل عليه إختيار ما يتناغم مع حب السلامة، والإبتعاد عن المشاكل والأخطار. ولكن عمرواً رفض هذا الخيار أيضاً معتمداً على سراب خادع، وإلى نزعة استكبار ظالم، وعنجهية جاهلية، وبغي بغيض، يزين له التجني والظلم الذي يودي بصاحبه إلى الخزي والعار، والخسران في الدنيا والآخرة، وساء للظالمين بدلاً.

ولم يبق أمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا التعامل مع خيار عمرو الأخير، ودفع غائلة هذا الجبار الظالم، فكان النصر على يديه، وأورد عليه ضربته التي تعدل عبادة الثقلين، (الجن والإنس) إلى يوم القيامة..
قطع رجل عمرو:

قال بعضهم: "وتبادر المسلمون يكبرون، فوجدوه على فرسه برجل واحدة، يحارب علياً (عليه السلام). ورمى رجله نحو علي، فخاف من

هيبتها رجلاً، ووقعاً في الخندق" (١).

ونقول:

إن هذا لا يصح لما يلي:

أولاً: تقدم أن علياً (عليه السلام) ألزم عمرواً بالنزول عن فرسه، فنزل عنها كارهاً لذلك.

ثانياً: إن كان عمرو قد استمسك على فرسه، ورجله مقطوعة، - والمفروض أنها سقطت على الأرض - فكيف استطاع أن يتناولها وهو على فرسه، ويقذف بها علياً (عليه السلام)؟! وكيف مكنه علي (عليه السلام) من تناولها، ثم من أن يرميه بها؟!!

ثالثاً: تقدم: أنه (عليه السلام) تسيف رجلي عمرو فقطعهما بضربة واحدة. وهذا لا يكون إلا إذا كان عمرو راجلاً، لا راكباً.

توقف علي (عليه السلام) عن قتل عمرو:

ويقول النص التاريخي: إن علياً (عليه السلام) حين أدرك عمرو بن عبد ود لم يبادر إلى قتله، فوقع بعض المسلمين في علي (عليه السلام)، فرد عنه حذيفة.

فقال (عليه السلام): مه يا حذيفة، فإن علياً سيذكر سبب وقفته.

١ - مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٢٦ و بحار الأنوار ج ٤١ ص ٩٠.

ثم إنه (عليه السلام) أجهز على عمرو، فلما جاء سأله النبي (صلى الله عليه وآله) عن ذلك، فقال: قد كان شتم أمي، وتقل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي، ثم قتلته في الله" (١).
ونقول:

إن علينا أن نلتفت إلى النقاط التالية:

- ١ - إن قتل هذا المشرك كان محبوباً لله تعالى على كل حال، فلو قتله (عليه السلام) لأنه شتم أمه لم يكن في ذلك ضير، فهو محارب من جهة، وهو يجترئ على المسلمين بالشتيم وهم أموات من جهة أخرى.
- ٢ - إننا على يقين من أنه (عليه السلام) لم يكن ليقتل عمرواً حتى في اللحظة الأولى انتقاماً لنفسه، أو لمجرد شتمه لأمه، ولكنه (عليه السلام) أراد أن يتعامل مع الأمور كما لو كان رجلاً عادياً.. وهذا هو تكليفه الذي يجب عليه العمل به.. وهو أيضاً يمكنه من أن يقدم للناس العظة والأمثولة بصورة عملية وحية، ليروا بأمر أعينهم كيف يكون الرجل الإلهي، الذي يتعامل مع كل الأمور من موقع الإخلاص والخلوص، والمعرفة، والوعي، والثبات والتثبت، والسيطرة على النفس، حتى في أخرج اللحظات، ويصل

١ - مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١١٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٨١ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٥١ ومستدرک الوسائل ج ١٨ ص ٢٨ والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للهمداني ص ٦٣١ والدرجات الرفيعة ص ٢٨٧ وأعيان الشيعة ج ٤ ص ٥٩٨.

كل أعماله، ما دق منها وقل، وما عظم وجل بالله سبحانه، ليقربه خطوة إليه .
إنه ذلك الجبل الأشم الشامخ، الذي لا تنزله الرياح العواصف، وهو الإنسان القوي والرصين، الذي لا
يثور ولا يغضب إلا لله، والله فقط، وحده لا شريك له .
فبإرادة الله ورضاه يسلم سيفه، ويقا تل الأبطال، ويسحق كل جبروتهم وكبرياتهم، وهو يغمد سيفه
ويستسلم لإرادة الله سبحانه وامثالاً لأمره، حتى حين يهجمون عليه في بيته، ويضربون زوجته، ويسقطون
جنينها، ويحرقون عليه بيته، أو يكادون .
وهو علي هنا، وهو علي هناك، ولا أحد غير علي والأئمة الأطهار من ولده " عَلَيْهِ السَّلَام " يستطيع أن يفعل
ذلك .

علي (عَلَيْهِ السَّلَام) وسلب عمرو !! :
و حين قتل أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَام) عمرو بن عبد ود ولم يسلبه درعه، ولا غيرها .. أقبل نحو رسول الله
(ﷺ) ووجهه يتهلل، فقال له عمر بن الخطاب: هلا سلبته يا علي درعه؟! فإنه ليس في العرب درع
مثلها .
وعند الحسكاني: أن النبي (ﷺ) هو الذي سأله عن سبب عدم سلبه له .

فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله، إنه تلقاني بعورته^(١).

وفي نص آخر: إني استحييت أن أكشف سوءة ابن عمي. أو قال: ضربته فاتقاني بسوآته، فاستحييت من ابن عمي أن أسلبه^(٢).

ويقال: إنه (عليه السلام) حين جلس على صدر عمرو يريد أن يذبحه، وهو يكبر الله، ويمجده، طلب منه عمرو أن لا يسلبه حلتته.

فقال له علي (عليه السلام): هي أهون علي من ذلك، وذبحه^(٣).

١- راجع: شواهد التنزيل ج ٢ ص ١٢.

٢- راجع: الإرشاد للمفيد ص ٦١ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٠٤ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٧ و ٢٠٤ و ج ٤١ ص ٧٣ و سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ و ٥٣٥ و المستدرک للحاكم ج ٣ ص ٣٣ و البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٨٠ و دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٩ و السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٤٣ و خاتم النبیین ج ٢ ص ٩٣٨ و نهایة الأرب ج ١٧ ص ١٧٤ و تاریخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٨٠ و أعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٣٩٧ و كشف الغمة ج ١ ص ٢٠٥ و كشف اليقين ج ١٣٣ و جواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ١١٨ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٨ ص ٣٠ و ج ٣٠ ص ١٤٨ و ج ٣٢ ص ٣٦٦.

٣- كنز الفوائد (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٩٧ و (ط مكتبة المصطفوي . قم) ص ١٣٧ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٦ و ٢٦٣ و راجع: الإرشاد (ط دار = المعرفة) ج ١ ص ١١٢ و شجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٠ و أعيان الشيعة ج ١ ص ٣٩٩ و الدر النظيم ص ١٦٩ و كشف الغمة ج ١ ص ٢٠٨.

وزعم الحلبي: أن هذا اشتباه من بعض الرواة، وأن ذلك كان في حرب أحد مع طلحة بن أبي طلحة^(١).
ونقول:

هما قضيتان مختلفتان، وقد كان السؤال في أحد من قبل سعد لعلي (عليه السلام).. وفي الخندق كان السائل هو عمرو.

وفي جميع الأحوال نقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات هي التالية:

الذي يجاحش على السلب:

ونعيد التذكير هنا بمقارنة المعتزلي بين سعد بن أبي وقاص الذي كان يتأسف على فوت سلب أحد الفرسان منه، وبين علي في موقفه هذا، فقد قال:

"قلت: شتان بين علي وسعد، هذا يجاحش على السلب، ويتأسف على فواته، وذلك يقتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق، وهو فارس قريش وصنديدها، ومبارزه، فيعرض عن سلبه، فيقال له: كيف تركت سلبه، وهو أنفس سلب؟!"

فيقول: كرهت أن أبز السبي، ثيابه.

١ - السيرة الخلبية ج ٢ ص ٣٢٠ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٤٣.

فكان حبيباً عنه بقوله:

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب^(١)
حرص عمر على السلب.. ونبل علي (عليه السلام):

١ - ولا ندري بماذا نفسر حرص عُمر بن الخطاب على سلب عمرو درعه، لا سيما مع قوله: ليس في العرب درع مثلها، وعتبه علي أمير المؤمنين (عليه السلام) لعدم مبادرته لأخذها. مع أنه يعلم: أن الدرع لن تخرج من يد المسلمين، وأن غير أمير المؤمنين أحوج إلى تلك الدرع منه (عليه السلام)..
إلا إن كان يرى أن الحصول على درع ليس في العرب مثلها أمر يهتم له علي (عليه السلام)، وسوف يتحسر أو يتحرق على فواته.. حتى وهو يعلم أن بعض المسلمين يحتاجونها لحفظ أنفسهم..
ولكن الحقيقة هي: أن من يضحي بنفسه في سبيل الله، ويشري نفسه ابتغاء مرضات الله، لا يفكر بالحصول على الغنائم والأسلاب.

٢ - إن جواب علي (عليه السلام) ينضح بالترفع، ويفيض بالنبل والكرم والرجولة، ويؤكد عزوفه عن كل ما هو من حطام الدنيا..
كما أنه (عليه السلام) حتى في هذا الموقف الصعب والخطير، الذي تزل فيه الأقدام، وتختل فيه المعايير والضوابط، وفي زحمة الأهوال والمخاطر، وفي

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٨ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٥٥.

خضم إتهاب المشاعر، يبقى محتفظاً بالدقة في ممارساته، وبالتوازن والإستقامة على خط القيم الرفيعة، والتزام الأخلاق الفاضلة والنبيلة..

وهو (عليه السلام) يتجاوز حدود الإنصاف مع أعدائه ليرتقي إلى درجات التفضل والتكرم عليهم بما ليسوا من أهله.. فهو يتعامل معهم بأخلاقه وقيمه، ولا يعاملهم بما تقتضيه ممارساتهم اللإنسانية، وأخلاقهم الشيطانية. علي (عليه السلام) استحيا من ابن عمه:

أما ما نسب إلى علي (عليه السلام) من أنه استحيا من ابن عمه أن يسلبه.. فيبقى موضع ريب عندنا، فإن عمرواً وإن كان ابن عم علي (عليه السلام)، فهو عمرو بن عبد ود بن أبي قيس، أخو بني عامر بن لؤي. ولؤي هو الأب التاسع لعلي (عليه السلام).. إلا أن ذلك لم يكن هو السبب في عدم أخذ سلبه، بل السبب هو ما ذكرته الرواية من أن عمرواً طلب منه ذلك، فقال له علي (عليه السلام): هي علي أهون من ذلك.. لو صرفنا النظر عن ذلك، فقد صرح علي (عليه السلام): بأنه إنما أعرض عنه، لأنه اتقاه بسوأته.. إتقاه بسوأته.. فلم يسلبه:

ثم إن التبرير الذي ذكر لعدم أخذه سلبه وهو أنه حين ضربه اتقاه بسوأته، فاستحيا منه أن يسلبه، غير واضح:

أولاً: قد يقال: إنه لا ربط لهذه العلة بذلك المعلول..

ثانياً: ان النص الآخر يناقض هذا النص، فإنه يجعل السبب في عدم

التعرض لسلبه أنه كره أن يكشف سوأته.. فأى ذلك هو الصحيح..

ثالثاً: إن النص يقول: إنه بعد أن ضربه وقطع رجله، جلس على صدره وذبحه.. وهو إنما فعل ذلك بعد أن اتقاه بسوأته بعد الضربة الأولى التي أطاحت برجله.. فما المانع من أن يسلبه في هذه الحال؟! فإن سوأته لم تكن ظاهرة!!

والذي نستخلصه مما تقدم: أنه يمكن أن تكون قد اجتمعت الأسباب كلها على علي (عليه السلام) عن سلبه، فلعله لما سقط كان عازماً على سلبه، فلما اتقاه بعورته استحيا وأعرض عن ذلك، وتأكد هذا الإعراض حين علم أنه لو سلبه ستنكشف عورته.. ثم طلب منه عمرو أن لا يسلبه بزته، فقال له (عليه السلام): هي أهون عليّ من ذلك.

التكبير.. وتمجيد الله:

وقد تقدم: أنه حين أجهز علي (عليه السلام) على عمرو، كان (عليه السلام) يكبر الله ويمجده..

وهذا ينظر إليه في أكثر من اتجاه، فهو يمثل تحدياً إيمانياً لعمرو، الذي استحق أن يتجرع كأس الحسرة والغصة حتى في هذه اللحظات.. فإنه قد تجاوز كل الحدود في بغيه، وسعيه لإطفاء نور الله.

كما أنه يعطي: أن علياً (عليه السلام) لا يمارس القتل، لأنه حرفته، أو لأنه يغذي روحه به، أو لأنه يكتسب به مجداً، أو يحصل على موقع، بل هو يمارسه لأنه تكليف إلهي، تعلق به كلمة الله، ويعرف الناس به مجده وآلاءه ونعمه، وما إلى ذلك..

وللتكبير هنا معناه ومغزاه، حين يعلن به وهو على صدر جبار، يريد أن يجهب عليه، فإنه يريد أن يفهمه عملاً وقولاً: أن الله أكبر منه، ومن كل باغ وطاق وجبار، ومن كل شيء..

الوسام الإلهي:

عن ابن مسعود، وعن بجز بن حكيم، عن أبيه، قال: قال رسول الله (ﷺ): لمبارزة علي (أو قتل علي) لعمر بن عبد ود (أو ضربة علي يوم الخندق) أفضل (أو خير) من عبادة الثقلين، أو أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة^(١).

١- راجع النصوص التي تشير إلى ذلك في: كنز العمال ج ١٢ ص ٢١٩ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١١ ص ٦٢٣ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ص ٤٥ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٣٢ وتلخيصه للذهبي بمامشه، والمناقب للخوارزمي ص ٥٨ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ١٠٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٢٦ وشرح المواقف ج ٨ ص ٣٧١ وفرائد السمطين ج ١ ص ٢٥٦ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١هـ) ج ٢ ص ١٤ وإقبال الأعمال ج ٢ ص ٢٦٧ والتفسير الكبير للرازي ج ٣٢ ص ٣١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٠ ص ٣٣٣ وفصائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٣٢٣ وحبیب السیر ج ١ ص ٣٦٢ وینایع المودة ص ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ وسعد السعود ص ١٣٩ والطرائف لابن طاووس ص ٦٠ و ٥١٤ وحلیة الأبرار ج ٢ ص ١٦٠ وکنز الفوائد ص ١٣٧ والسیرة الحلیبة ج ٢ = ص ٣١٩ و ٣٢٠ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٤٢ وشرح المقاصد للفتازاني ج ٥ ص ٢٩٨ وفردوس الأخبار ج ٣ ص ٤٥٥ ونفحات اللاهوت ص ٩١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ١٦٥ وج ٣٩ ص ١ و ٢ وج ٤١ ص ٩١ و ٩٦ وج ٢٠ ص ٢٠٥ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٨٧ وتنبيه الغافلین ص ٥٢ والغدير ج ٧ ص ٢٠٦ وكشف الغمة ج ١ ص ١٤٨ ونهج الإيمان ص ٦٢٧ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٦٩٠ ومستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٤٧٢ والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للهمداني ص ٣٣٨ و ٣٦١ ومنهاج الكرامة ص ١٦٦ ومشارك أنوار اليقين ص ٣١٢ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦ وج ٥ ص ١٦ ص ٤٠٣ عن بعض من تقدم، وعن حياة الحيوان (ط القاهرة) ص ٢٧٤ وعن المصادر التالية: نهاية العقول (مخطوط) ص ١١٤ وروضة الاحباب للدشتكي (مخطوط) ص ٣٢٧ وتجهيز الجيش للدهلوي (مخطوط) ص ٤٠٧ و ١٦٣ ومفتاح النجاة ص ٢٦ وتاريخ آل محمد لبهجت أفندي ص ٥٧ ومناقب علي ص ٢٦ ووسيلة النجا ص ٨٤.

وفي نص آخر عن ابن مسعود: أبشر يا علي، فلو وزن عملك اليوم بعمل أمتي لرجح عملك بعملهم^(١).

١- ينابيع المودة ص ٩٤ و (ط دار الأسوة) ج ١ ص ٢٨١ و ٢٨٤ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١هـ) ص ١٢ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٨٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٦ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٤٣٩ وكنز الفوائد ص ١٣٧ وجوامع الجامع ج ٣ ص ٥٢ ومجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٨ ص ١٣٢ وتأويل == الآيات ج ٢ ص ٤٥٢ وغاية المرام ج ٤ ص ٢٧٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٦ ص ٤٠٥ وج ٢٠ ص ١٤٠ و ٦٢٥ وج ٢١ ص ٥٨٤ وج ٣١ ص ٢٣٤.

زاد المجلسي والطبرسي قوله: "وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو . ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو"^(١) .
ونقول:

إن قيمة العمل ليست بمواصفاته المادية، ولا بكبره وصغره، ولا بقوته وضعفه، ولا بكثرتة وقلته، ولا بشكله الظاهر، من حيث الجمال، وصفاء الألوان..
فالحديد مهما كثر وكبر، وازداد صلابةً، واتخذ اشكالاً جميلة ومتناسقة، واتخذ ألواناً لامعة وبديعة، فإنه لن تكون له قيمة الذهب أو الماس.

بل قيمته بخصوصيته الكامنة فيه، وبحقيقة جوهره، وشرف عنصره.
ولأجل ذلك نلاحظ: أن الله سبحانه قد أنزل سورة قرآنية في الثناء على أهل البيت هي سورة هل أتى،
لمجرد أنهم "عليهم السلام" تصدقوا بأقراص من شعر على مسكين ویتيم وأسیر، كما أنه تعالى أنزل آية الولاية لتعلن
لأمير المؤمنين (عليه السلام) أعظم وأجل مقام بعد مقام النبوة

١- راجع: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٨ ص ١٣٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٥ وج ٣٩ ص ٢ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١هـ) ج ٢ ص ١٢ وكنز الفوائد للكراچكي ص ١٣٧ وتفسير الميزان ج ١٦ ص ٢٩٨.

الخاتمة، وله مساس بمصير البشر إلى يوم القيامة، في خصوص مناسبة تصدقه بخاتم وهو راعع على سائل دخل المسجد.

وتنزل آية أخرى لثني على علي (عليه السلام) وتخلد ذكره إلى يوم يبعثون، لمجرد تصدقه ببضعة دراهم، ليناجي رسول الله (صلى الله عليه وآله)..

وكذلك الحال حين تصدق بدرهم ليلاً ودرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً ودرهم جهراً.. فإن القرآن نزل أيضاً بالثناء عليه صلوات الله وسلامه عليه من أجل ذلك..

وفي المقابل نجد: أنه تعالى يؤكد على الخطورة القصوى لبعض الأمور التي يظن الناس أنها ليست بذات أهمية، فيذكر أن عدم الحض على طعام المسكين هو من سمات من يكذب بيوم الدين..

وقد يدخل في هذا السياق كشاهد أو مؤيد أن بعض الأعمال يذكر لها في الأخبار مقادير متفاوتة من الثواب، فتارة يكون ثواب زيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) مثلاً حَجَّةً، وتارة يكون ثواب كل خطوة يخطوها الزائر حَجَّةً.. مما يعني: أن لدرجة الإخلاص وما يكتشف الفعل من مشقات ومخاوف وغيرها مدخلية في مقدار المثوبة. وربما تخضع المثوبة والعقوبة لخصوصيات تضاف إلى نفس العمل، فقول الحق محبوب للمولى، وله مثوبة معينة، لكنه إذا كان أمام سلطان جائر، زادت مثوبته..

وقد تزيد المثوبة بسبب أحوال أخرى لها مدخلية في زيادة الأثر، فلو أن عمرو بن عبد ود، وهو فارس جيوش الأحزاب.. قتل في بدر أو مات من جراحته فيها، لم يمنع ذلك من أن تغزو قريش المسلمين.. ولكنه حين قاد

جيش الأحزاب، وقتل في الخندق أدى ذلك إلى عجز المشركين عن غزو المسلمين بعدها.. مما يعني: أن هذه الضربة قد غيرت مجرى الأحداث بصورة أساسية، غير أن الأساس في اعتبار ضربة علي (عليه السلام) أفضل من عبادة الثقلين هو درجة الصفاء والنقاء، والإخلاص فيها، وقيمتها في ذاتها، وشرف عنصرها، وارتقاء جوهرها..

تمحلات وتعصبات ابن تيمية:

وقد اعتبر ابن تيمية حديث: قتل علي لعمرو أفضل من عبادة الثقلين، ونحوه، من الأحاديث الموضوعة، التي ليس لها سند صحيح، ولم يروه أحد من علماء المسلمين في شيء من الكتب التي يعتمد عليها. بل ولا يُعرف له أسناد صحيح ولا ضعيف.

وهو كذب لا يجوز نسبته إلى النبي (ﷺ)، فإنه لا يجوز أن يكون قتل كافر أفضل من عبادة الجن والإنس، فإن ذلك يدخل فيه عبادة الأنبياء.

وقد قُتل من الكفار من كان قتله أعظم من قتل عمرو، مثل أبي جهل وعقبة بن أبي معيط، وشيبة. وقصته في الخندق لم تذكر في الصحاح^(١).

١- منهاج السنة ج ٤ ص ١٧١ و ١٧٢ باختصار، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٤٣ وسيرة الرسول (ط دار الفكر للجميع سنة ١٩٦٨م) ص ٢٢٠ و القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع للأصبهاني ص ٣٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٤ و ٣٩٧.

أما الذهبي، فقال عن حديث: ضربة علي أفضل من عبادة الثقلين: "قبح الله رافضياً افتراه"^(١).
ونقول:

أولاً: رد الحلبي استبعاد أن تكون ضربة عمرو أفضل من عبادة الثقلين بقوله: "فيه نظر، لأن قتل هذا كان فيه نصرة للدين، وخذلان للكافرين"^(٢).

ونزيد على ذلك: أنه إذا كانت قد زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وصاروا يظنون الظنون السيئة بالله سبحانه. وإذا كان المسلمون قد أحجموا عن مبارزة عمرو، خوفاً ورعباً، وكانوا كأن على رؤوسهم الطير.

وإذا كان عمرو هو فارس الأحزاب، الذين هم ألوف كثيرة، وقد جاؤوا لاستئصال المسلمين، وهم قلة، وقد جاءهم اليهود من جانب، وقريش من جانب، وغطفان من جانب، وكانوا في أشد الخوف على نساءهم وذرائعهم.

وإذا كان المنافقون لا يألون جهداً في تخذيل الناس، وصرفهم عن

١- تلخيص مستدرك الحاكم للذهبي ج ٣ ص ٣٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٤٣.

٢- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٤٣ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٥ و ٣٩٧.

الحرب، حتى أصبح الرسول (ﷺ) في قلة قليلة، لا تزيد على ثلاث مئة رجل، بل قيل: لم يبق معه سوى اثني عشر رجلاً.

وإذا كان الجوع والبرد يفتكان في المسلمين، ويضعفان من عزائمهم.. نعم.. إذا كان ذلك، فمن الطبيعي: أن يكون قتل هذا الكافر فيه حياة الإسلام، وانتعاش المسلمين، وفيه خزي الأحزاب، وفشلهم، ولا سيما وأن النصر كان بسبب قتل عمرو كما ربما نشير إليه فيما يأتي إن شاء الله..

ثانياً: أما بالنسبة لضعف سند الحديث، وعدم ذكره في الصحاح، فلا يقلل ذلك من قيمته واعتباره، إذ ما أكثر الأحاديث الصحيحة، والمتواترة التي لم تذكر في كتب الصحاح. وقد عرفنا تعصب أصحاب الصحاح على علي وأهل بيته "عليه السلام".

ثالثاً: قول ابن تيمية ليس له سند ضعيف ولا صحيح، يكذبه رواية المستدرک لهذا الحديث عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده، وقد قال أبو داود: بهز بن حكيم أحاديثه صحاح^(١). وهذا يسقط سائر دعاوى ابن تيمية حول سند هذا الحديث.

١ - خلاصة تذهيب تذهيب الكمال ص ٣٨١ وتذهيب الكمال ج ٢٨ ص ١٧٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٩ ص ٧٩ والوفائي بالوفيات ج ١٠ ص ١٩٣ وراجع سائر كتب الرجال والتراجم.

شهادة حذيفة:

قال المفيد: "روى قيس بن الربيع، قال: حدثنا أبو هارون العبدى، عن ربيعة السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت له: يا أبا عبد الله، إنا لتحدث عن علي (عليه السلام) ومناقبه، فيقول لنا أهل البصرة: إنكم تفرطون في علي (عليه السلام). هل أنت محدثي بحديث فيه؟!

فقال حذيفة: يا ربيعة، وما تسألني عن علي (عليه السلام)! فوالذي نفسي بيده، لو وضع جميع أعمال أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) في كفة الميزان، منذ بعث الله محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل علي (عليه السلام) في الكفة الأخرى لرجح عمل علي (عليه السلام) على جميع أعمالهم.

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد.

فقال حذيفة: يا لكع: وكيف لا تحمل؟! وأين كان أبو بكر، وعمر، وحذيفة، وجميع أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) يوم عمرو بن عبد ود دعا إلى المبارزة، فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً (عليه السلام)؟! فإنه برز إليه وقتله الله على يده.

والذي نفس حذيفة بيده، لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) إلى يوم القيامة^(١).

١ - الإرشاد ص ٥٥ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٠٣ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٤ وسيرة المصطفى ص ٥٠٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ = ص ٦٠ و ٦١ وإعلام الورى (ط دار المعرفة) ص ١٩٥ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج ١ ص ٣٧٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٦ و ٢٥٧ و ج ٣٤ ص ٣٠٤ و ج ٣٩ ص ٣ ونهج الحق ص ٢٤٩ و ٢٥٠ و شرح الأخبار ج ١ ص ٢٢٩ و ٣٠٠ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٥ و ٥٩٨ والدر النظيم ص ١٦٥ ومناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للكوفي ج ١ ص ٢٢٢ وحلية الأبرار ج ٢ ص ١٥٨ وكشف اليقين ص ١٣٤.

شهادات ومواقف أخرى:

قال المعتزلي:

١ . "فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود، فإنها أجلُّ من أن يقال: جليلة، وأعظمُ من أن يُقال: عظيمة.

٢ . وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل، وقد سأله سائل: أيما أعظم منزلة عند الله: علي أم أبو بكر؟!
فقال: يا ابن أخي، والله، لمبارزة علي عمرواً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها، وتربي عليها، فضلاً عن أبي بكر وحده.

٣ . وقد روي عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا، بل ما هو أبلغ منه الخ^(١).

وعن حذيفة: لو قسمت فضيلة علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بقتل عمرو يوم

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٠ وعنه في إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٨ وسيرة المصطفى ص ٥٠٣ وبحار الأنوار

ج ٢٠ ص ٢٧٣ وج ٣٩ ص ٣.

الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم^(١).

٤ . وقال أبو بكر بن عياش: لقد ضَرَبَ علي ضربة ما كان في الإسلام أَعَزَّ منها . يعني ضربة عمرو بن عبد ود . ولقد ضَرَبَ علي ضربة ما ضرب الإسلام أشأم منها . يعني ضربة ابن ملجم لعنه الله^(٢) .

٥ . وقال الحافظ يحيى بن آدم . عن جابر بن عبد الله الأنصاري: ما شبهت قتل علي عمرواً إلا بقوله تعالى: (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ)^(٣) (٤) .

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٤ والغدير ج ٧ ص ٢١٢ والعثمانية للجاحظ ص ٣٣٣ وأعيان الشيعة ج ٤ ص ٥٩٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٠ ص ٦٢٦ .

٢ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦١ والإرشاد ص ٦١ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٠٥ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٥ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٨ ص ١٣٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٦ و ٢٥٨ و ج ٤١ ص ٩١ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٢٧ وقاموس الرجال للتستري ج ١١ ص ٢٣٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٥ و ٣٩٧ والدر النظيم ص ١٦٥ .

٣ - الآية ٢٥١ من سورة البقرة .

٤ - سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٧٩ والإرشاد للمفيد ص ٦٠ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٠٢ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٥ والمستدرک للحاكم ج ٣ = ٣ ص ٣٤ وتلخيصه للذهبي بجامشه، وإعلام الوری (ط دار المعرفة) ص ١٩٦ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٣٨٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٦ و ج ٣٩ ص ٤ و ج ٤١ ص ٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٩ ص ٦١ و ٦٢ والمناقب للخوارزمي ص ١٠٦ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ١٧١ وكنز الفوائد للکراچکی ص ١٣٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٢٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٤ و ٣٩٦ والدر النظيم ص ١٦٤ .

٦ - وروي أن عمرواً قال لعلي: ما أكرمك قرناً^(١).

لا نأكل ثمن الموتى:

قال ابن إسحاق - كما رواه البيهقي - : وبعث المشركون إلى رسول الله (ﷺ) يشترون جيفة عمرو بن عبد ود بعشرة آلاف.

فقال رسول الله (ﷺ): هو لكم، لا نأكل ثمن الموتى^(٢).

-
- ١ - مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٢٥ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٩٠.
٢ - راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٧٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ والسيرة الخلية ج ٢ ص ٣٢٠ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٤٣ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٧١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٥ ج ٤١ ص ٩٠ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٤.
وراجع: مستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٥٧٥ و سنن النبي "ﷺ" = للطباطبائي ص ٢٣٢ ومجمع البيان ج ٨ ص ١٣٣ وتفسير الميزان ج ١٦ ص ٢٩٨ وتفسير الآلوسي ج ٢١ ص ١٥٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥.

وقال أبو زهرة: "ويظهر: أنه كان عظيماً بين المشركين، يعتزونه، فأرسلوا يطلبون جثمانه^(٩).
وقد ذكرت نفس هذه الحادثة: بالنسبة لجيفة نوفل بن عبد الله بن المغيرة، ونكاد نشك في صحة ذلك.
ولعل الزبيريين قد حرفوا ما قيل عن جيفة عمرو ليكون لصالح جيفة نوفل، بهدف تضخيم شأن نوفل،
ليصبح أهم من عمرو بن عبد ود، زعماء منهم أن روايتهم المكذوبة: أن الزبير قد قتل نوفلاً قد راجت على
الناس.

مع أن علياً (عليه السلام) أيضاً هو الذي قتل نوفلاً وغيره كما سيأتي.
وإن كنا نحتمل أيضاً: أن يكون بنو مخزوم قد طلبوا جيفة صاحبهم، ليرفعوا من شأنه حتى لا يكون أقل
من عمرو.

فرح الملائكة بقتل عمرو:

عن الصادق (عليه السلام): لما قتل علي (عليه السلام) عمرو بن عبد ود أعطى سيفه الحسن (عليه السلام)، وقال: قل
لأمك تغسل هذا الصيقل.

١ - خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨.

فرده . وعلي (عليه السلام) عند النبي (صلى الله عليه وسلم) . وفي وسطه نقطة لم تنق، قال: أليس قد غسلته الزهراء؟! قال: نعم.

قال: فما هذه النقطة؟!

قال النبي (صلى الله عليه وسلم): يا علي، سل ذا الفقار يخبرك.

فهزه، وقال: أليس قد غسلتك الطاهرة، من دم الرجس النجس؟!

فأنطق الله السيف فقال: بلى، ولكنك ما قتلت بي أبغض إلى الملائكة من عمرو بن عبد ود، فأمرني ربي فشربت هذه النقطة من دمه، وهو حظي منه، فلا تنتضيني يوماً إلا ورأته الملائكة وصلت عليك^(١).

نقول:

ليس لدينا ما ينفي صحة هذه الرواية. ومجرد الاستبعاد، والإعلان بإنكارها، لا يكفي، لأن الجواب على ذلك هو أنه حين يصعب علينا فهم بعض ما ورد فيها، فإن علينا أن نكل علم ذلك إلى أهله، ما دام أنه لا يمس أساس العقيدة، ولا يؤثر على الضوابط والمرتكزات العامة للبحث العلمي الرصين.

١- بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٩ و ١٥٠ والخرائج والجرائح ج ١ ص ٢١٥ و ٢١٦ ومدينة المعاجز ج ٢ ص ١٩ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٨٩.

أين المخلصون؟!:

ويبقى هنا سؤال: أين كان المخلصون الأوفياء، والأبرار الأتقياء من أصحاب خاتم الأنبياء: كالمقداد، وعمار وسواهما عن إجابة طلب رسول الله (ﷺ) بمبارزة عمرو بن عبد ود، وقد وعدهم (ﷺ) بالجنة؟! ونجيب:

أولاً: لم تصرح الروايات بحضور هؤلاء الأشخاص بين ذلك الجمع، فلعلهم غابوا لأعذار مختلفة، كالمرض، والسفر، ولعل بعضهم بقي في المدينة لحراستها من بني قريظة.

ثانياً: لقد رتب النبي (ﷺ) على أبواب الخندق الثمانية لحراستها أشخاصاً من قبائل شتى، كما أن من الطبيعي أن يكون للجيش المرابط حراس يمنعون الأعداء من الإيقاع بالمسلمين على حين غفلة منهم.. فلعل هؤلاء المخلصين كانوا من هؤلاء، أو من أولئك..

ولكن مما لا شك فيه: هو أن معظم المسلمين كانوا عند رسول الله (ﷺ)، وفيهم الطامحون والطامعون، وأصحاب الدعاوى العريضة.. وقد تحداهم عمرو ومن معه، وطلب النبي (ﷺ) منهم مبارزته، فلم يستجب منهم أحد..

ثالثاً: لم يكن هؤلاء الذين تذكر أسماءهم يدعون، ولا كان أحد يدعي لهم أنهم يقدرون؛ على مواجهة عمرو بن عبد ود. كما أنهم لا يرشحون أنفسهم لمقامات تفرض اتصافهم بصفات معينة، التي منها العلم الشامل،

والعصمة، والشجاعة التي تفوق شجاعة البشر كلهم.

الخوارج.. وقتل عمرو بن عبد ود:

هذا.. وقد أورد الحاكم النيسابوري العديد من الأحاديث عن قتل علي (عليه السلام) لعمرو، ثم قال:
"قد ذكرت في مقتل عمرو بن عبد ود من الأحاديث المسندة، ومما عن عروة بن الزبير، وموسى بن
عقبة، ومُجَّد بن إسحاق بن يسار ما بلغني، ليقدر عند المنصف من أهل العلم: أن عمرو بن عبد ود لم
يقتله، ولم يشترك في قتله غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).
وإنما حملني على هذا الإستقصاء فيه قول من قال من الخوارج: إن مُجَّد بن مسلمة أيضاً ضربه ضربة،
وأخذ بعض السلب.

ووالله، ما بلغنا هذا من أحد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

وكيف يجوز هذا وعلي (عليه السلام) يقول ما بلغنا: إني ترفعت عن سلب ابن عمي، فتركته. وهذا جوابه لأمير
المؤمنين عمر بن الخطاب بحضرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (١) انتهى.
فظهر أن الخوارج كانوا يتعمدون وضع الحديث الذي يسيء إلى علي (عليه السلام).. وهذا هو المتوقع منهم،
فقد تاب شيخ منهم ورجع عن مقالتهم، فقال: "إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم،

١ - المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٣٤.

فإننا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً" (١).

وقال الجوزجاني عن الخوارج في الصدر الأول: "نبذ الناس حديثهم إتهاماً لهم" (٢).

فكيف يروي البخاري إذن عن عمران بن حطان، مادح عبد الرحمان بن ملجم، لقتله علياً؟! (٣).

١- لسان الميزان ج ١ ص ١٠ و ١١ والكفاية في علم الرواية للخطيب ص ١٢٣ و ١٥٦ وآفة أصحاب الحديث ص ٧١ و ٧٢ وتذكرة الموضوعات ص ٧ وفتح الملك العلي ص ٩٠ والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٧٨ والموضوعات لابن الجوزي ص ٣٨ واللائي المصنوعة ج ٢ ص ٤٦٨ وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٩ وعن السنة ومكانتها في التشريع، للسباعي ص ٩٧ وراجع: العتب الجميل ص ١٢٢.

٢- أحوال الرجال ص ٣٤ وراجع: لسان الميزان ج ١ ص ١٠ و ١١ والكفاية للخطيب ص ١٢٣ وآفة أصحاب الحديث ص ٧١ و ٧٢ واللائي المصنوعة ج ٢ ص ٤٦٨ وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٩ عن الأولين، وعن: السنة ومكانتها في التشريع، للسباعي ص ٩٧ وعن: الموضوعات لابن الجوزي ص ٣٨ راجع: العتب الجميل ص ١٢٢.

٣- راجع: العتب الجميل (ط الهدف للإعلام والنشر) ص ٩٩ والسقيفة للمظفر ص ١٨٦ ومستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٢٨٦ والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للهمداني ص ٥٧٣ و ٥٨٧ وفتح الباري (المقدمة) ص ٤٣٢ وج ١٠ = ص ٢٤٤ وعمدة القاري ج ٢٢ ص ١٣ وأضواء البيان ج ٣ ص ١٢٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٦٥٤ والنصائح الكافية ص ٣١ ومستدرك الوسائل ج ١ ص ١٨ ومقاتل الطالبين ص ٢٣ وأجوبة مسائل جوار الله ص ٧٢ والنص والإجتهد ص ٥٣٥ والغدير ج ٥ ص ٢٩٣ وج ٩ ص ٣٩٣.

وكيف يقول أبو داوود: "ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج"^(١).

١ - ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٠ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٣٦ و تهذيب الكمال ج ٢٢ ص ٣٢٣ وسير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢١٤ و تهذيب التهذيب ج ٨ ص ١١٣ و تاريخ الإسلام للذهبي ج ٦ ص ١٥٥ و العتب الجميل ص ١٢١ و (ط الهدف للإعلام والنشر) ص ٢٠ و فتح الباري (المقدمة) ص ٤٣٢ و الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للهمداني ص ٥٨٧ و سؤالات الآجري لأبي داود ج ٢ ص ١١٧ و الكفاية في علم الرواية للخطيب ص ١٥٨ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٣ ص ٤٨٩ .

الفصل الرابع:
علي (عليه السلام) في نهايات حرب الخندق

قاتل عمرو، وحسل، ونوفل:

وذكر ابن هشام: أن علياً (عليه السلام) قتل عمرو بن عبد ود، وابنه حسل بن عمرو^(١)، وهو الذي قتل نوفل بن عبد الله أيضاً.

قال اليعقوبي: "وكبا بنوفل بن المغيرة بن عبد الله فرسه، فلحقه علي فقتله^(٢)."

وقال الطبرسي، وابن كثير، والطبري: إنه لما تورط في الخندق جعل يقول: قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب، فنزل إليه علي فقتله، وطلب

١ - راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٥ و (ط مكتبة مُجدد علي صبيح) ج ٣ ص ٧٣٢ وراجع: سيرة المصطفى ص ٥٠٢ و ٥٠٣ عنه والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٦ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٢ والعبير وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٢ وكشف الغمة للأرمني ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٨ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ وراجع: نهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٩.

٢ - تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وراجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦.

المشركون رَمَّتَهُ، فممكنهم من أخذه^(١).

وذكرت بعض المصادر: أنه (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ضربه بالسيف فقطعه نصفين^(٢).

وذكر ابن إسحاق: أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه،

١- راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط مطبعة الإستقامة) و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٢٤٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٨٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٩٠ وح ٢٠ ص ٢٧٤ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٢٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ و (ط دارالمعرفة) ج ٢ ص ٦٣٧ وراجع ص ٣٢٠ وسيرة المصطفى ص ٥٠٢ ومُجَدِّدِ رَسولِ الله مُحَمَّدِ رِضا ص ٢٣١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ و ٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٧ وحبیب السیر ج ١ ص ٣٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٦ والإرشاد للمفيد ص ٦٠ وكشف الغمة للأرنلي ج ١ ص ٢٠٤ وإعلام الوری ص ١٩٥ وتفسير الثعلبي ج ٨ ص ١٦.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ و (ط دارالمعرفة) ج ٢ ص ٦٣٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٩٦.

فمات في الخندق^(١).

وزعم بعضهم: أن الزبير هو الذي قتله، وقد ذكرنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ): أن ذلك لا يصح، وذكرنا بعض ما يفيد في ذلك^(٢).

الهاربون من علي (عليه السلام):

وقد هرب ضرار بن الخطاب الفهري، وهبيرة بن وهب من وجه علي (عليه السلام)، وقالوا: إن الزبير قد ضرب هبيرة آنثد حتى فلق هامته.

ونقول:

نحن نشك في صحة ذلك، استناداً إلى ما يلي:

١ - لو كان الزبير قد ضرب هبيرة بالسيف حتى فلق هامته، فاللازم أن يكون قد قُتل، مع أن الجميع متفقون على أنه لم يقتل آنثد.

٢ - ذكرت بعض النصوص: أن علياً (عليه السلام) لحق هبيرة فأعجزه، وضرب قربوس سرجه، فسقطت درع كانت عليه، وفر عكرمة،

١ - مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٨ ص ١٣٣ و بحار الأنوار = ج ٢٠ ص ٢٠٥ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٥٧٥ وتفسير الميزان ج ١٦ ص ٢٩٨ وتفسير الآلوسي ج ٢١ ص ١٥٦ والبدایة والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥.

٢ - راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) ج ١١ ص ١٦١ فما بعدها.

وهرب ضرار^(١).

٣ . ويفصل ذلك نص آخر، فيقول: ثم حمل ضرار بن الخطاب وهبيرة على علي، فأقبل علي عليهما. فأما ضرار فولى هارباً ولم يثبت، وأما هبيرة فثبت أولاً، ثم ألقى درعه وهرب. وكان فارس قريش وشاعرها^(٢). وسئل ضرار عن سبب فراره، فقال: خيل إلي أن الموت يريني صورته^(٣).

٤ . ومما يدل على بقاء هبيرة حياً.. أنه اعتذر عن فراره من وجه علي (عليه السلام)، فقال:

لعمرك ما وليت ظهراً مُجَدَّاً وأصحابه جنباً ولا خيفة القتلِ
ولكنني قلبت أمري فلم أجد لسيفي غناءً إن وقفت ولا نبلي

١ - راجع: الإرشاد للمفيد ص ٦٠ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٠٢ و مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٢٦ والمستجد من كتاب الإرشاد = = (المجموعة) ص ٧٢ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٤ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٦ و ج ٤١ ص ٩٠ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٤ و ٣٩٦ والدر النظيم ص ١٦٤ و راجع: إعلام الوری ص ١٩٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ عن روضة الأحباب.

٢ - راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٤٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٩٦.

٣ - تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧.

الخ.. الأبيات..

ويؤيد قولهم بأن الفرسان قد هاجموا علياً بعد قتله عمرواً، قوله (عليه السلام):

أعلي تفتحهم الفوارس هكذا عني وعنهم أخروا أصحابي
ولعل مواجهة هبيرة لعلي (عليه السلام) ولو للحظات جعلته يستحق وسام فارس قريش وشاعرها^(١).
عن علي (عليه السلام) أنه قال:

وكانوا على الإسلام إلباً ثلاثة فقد خر من تلك الثلاثة واحد
وفر أبو عمرو هبيرة لم يعد ولكن أخو الحرب المجرب عائد
تحتهم سيوف الهند أن يقفوا لنا غداة التقينا والرماح مصائد
فإن كان الزبير قد ضرب هبيرة . ونحن لا نرى صحة ذلك . فلعلها كانت ضربة خفيفة جرحته في رأسه،
ولم تعقه عن ممارسة الحرب، والطعن والضرب..

بل نستطيع أن نؤكد على أن علياً (عليه السلام) كان في الميدان وحده،

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٨ والاستيعاب (ط دار الجليل) ج ٤ ص ١٩٦٣ وأسد الغابة ج ٥ ص ٦٢٤ والعثمانية للجاحظ ص ٣٣٦ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٣ ص ٧٤١ وعيون الأثر ج ١ ص ٣٧٨ وج ٢ ص ٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ١٢٧.

أما سائر المسلمين فلم يضربوا بسيف، ولا طعنوا برمح أصلاً..

أشعار في حرب الخندق:

وعنه (عليه السلام) في الخندق:

الحمد لله الجميل المفضل
شكراً على تمكينه لرسوله
كم نعمة لا أستطيع بلوغها
لله أصبح فضله متظاهراً
قد عاين الأحزاب من تأييده
ما فيه موعظة لكل مفكر
وعنه (عليه السلام) مخاطباً لعمر بن عبد ود:

يا عمرو قد لاقيت فارس بهمة
من آل هاشم من سناء باهر
يدعو إلى دين الإله ونصره
بمهند عضب رقيق حده
ونحمد فينا كأن جبينه
والله ناصر دينه ونبيه

عند اللقاء معاود الأقدام
ومهذبين متوجين كرام
وإلى الهدى وشرائع الإسلام
ذي رونق يقري الفقار حسام
شمس تجلت من خلال غمام
ومعين كل موحد مقام

شهدت قريش والقبائل كلها
وروي أنه لما قتل عمرواً أنشد:
ضربته بالسيف فوق الهامة
بضربة صارمة هدامة
أنا علي صاحب الصمصامة
وصاحب الحوض لدى القيامة
أخو رسول الله ذي العلامة
قد قال إذ عممني العمامة
أنت الذي بعدي له الإمامة^(٢)

أشعار قيلت في حرب الخندق:

وقال حسان بن ثابت:

أمسى (الفتى) عمرو بن عبد يتغي
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة
ولقد رأيت غداة بدر عصابة
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة
بجنوب يثرب عادة لم تنظر
ولقد وجدت جياننا لم تقصر
ضربوك ضرباً غير ضرب المحسر
يا عمرو أو لجسيم أمر منكر^(٣)

-
- ١- راجع المقطوعات الثلاث المتقدمة في: بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٩ و ٢٨٠ و ج ٤١ ص ٨٩ و ٩١ و ٩٠ عن ديوان علي أمير المؤمنين "عليه السلام" ص ٤٦ و ١٠٩ و ١١٠ و ١٢٦ و ١٢٧ و مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٦ و ١٣٧.
- ٢- بحار الأنوار ج ٤١ ص ٨٨ وراجع: الفصول المختارة ص ٢٨٩ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢١٩ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٥٥٣ وتنبية الغافلين ص ٥٦.
- ٣- الإرشاد للمفيد ص ٥٦ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٠٦ وراجع: بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٩ و ج ٤١ ص ٩٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٨١ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٣ ص ٧٤٢ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٣٤٤ والفصول المختارة ص ٢٩٣ والعثمانية للجاحظ ص ٣٣٧ و مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣١٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩٠ والبيت الأول فيه = وفي بحار الأنوار عن الإرشاد هكذا:
أمسى الفتى عمرو بن عبد ناظر كيف العبور وليته لم ينظر

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم ينكرها لحسان فأجابه فتى من بني عامر:

كذبتم وبيت الله لا تقتلوننا
ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغا
بكف علي نلتهم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن عبد بئسكم
ولكنه الكفؤ الهزبر العصفر
علي الذي في الفخر طال بناؤه
فلا تكثروا الدعوى علينا فتحقروا
بيدر خرجتكم للبراز فرددكم
شيوخ قريش جهرة وتأخروا
فلما أتاهم حمزة وعبيدة
وجاء علي بالمهند يخطر
فقالوا: نعم أكفاء صدق فأقبلوا
إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبروا
فجال علي جولة هاشمية
فدمرهم لما عتوا وتكبروا

فليس لكم فخر علينا بغيرنا وليس لكم فخر نعد ونذكر^(١)
وروي: أن علياً (عليه السلام) لما قتل عمرواً لم يسلبه، وجاءت أخت عمرو حتى قامت عليه فلما رآته غير
مسلوب سلبه قالت: ما قتله إلا كفؤ كريم، ثم سألت عن قاتله، قالوا: علي بن أبي طالب، فأنشأت هذين
البيتين^(٢):

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتل عمرو لا يعاب به من كان يدعى قديماً بيضة البلد^(٣)
ولكن نصاً آخر يقول: لما نعي عمرو إلى أخته قالت: من ذا الذي اجتراً عليه؟!

-
- ١- الإرشاد للمفيد ص ٥٦ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٠٧ والفصول المختارة ص ٢٩٣ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٦ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٩١ وج ٢٠ ص ٢٥٩ وج ٤١ ص ٨٠ و ٩٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣١٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٦ و ٢٩٩ والدر النظيم ص ١٦٦.
 - ٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ وحبیب السیر ج ١ ص ٣٦٢ والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للهمداني ص ٦٤٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٨١ عن مفتاح النجا للبدخشي (مخطوط) ص ٢٦ وج ١٨ ص ٢٨ عن تاريخ الخميس.
 - ٣- الإرشاد للمفيد ص ٥٧ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٠٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٩ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٦٠ وج ٤١ ص ٧٣ و ٩٧ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٠ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٥ و ٣٩٨.

فقالوا: ابن أبي طالب.

فقالت: لم يعد موته إلا على يد كفؤ كريم. لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه. قتل الأبطال، وبارز الأفران، وكانت منيته على يد كفؤ كريم من قومه.

وفي لفظ آخر: "على يد كريم قومه"، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر. ثم أنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتلهاخ..

وقال المعتزلي: "فأما قتلاه، فافتخار رهطهم بأنه (عليه السلام) قتلهم أظهر وأكثر، قالت: أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبداً ما دمت في الأبد

لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد^(١)

١ - شرح نوح البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ٢٠ والبيتان في لسان العرب أيضاً ج ٨ ص ١٩٥ وفيه: بكيته ما أقام الروح في جسدي. وراجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص ٤١٥ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤٣ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٣٨. وراجع: المستدرک للحاكم ج ٣ ص ٣٣.

وقالت أيضاً في ذلك:

أسدان في ضيق المِكرِّ تصاولا وكلاهما كفوؤ كريم باسل
فتخالسا مهج النفوس كلاهما وسط المدار مخاتل ومقاتل
وكلاهما حضر القراع حفيظة لم يثنه عن ذلك شغل شاغل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله قول سديد ليس فيه تحامل
والثار عندي يا علي فليتي أدركته والعقل مني كامل
ذلت قريش بعد مقتل فارس فالذل مهلكها وخزي شامل

ثم قالت: والله، لا تأرت قريش بأخي ما حنت النيب^(١).

وقال مسافع بن عبد مناف بيكي عمرو بن عبد ود، لما جزع المذاد، أي قطع الخندق:

عمرو بن عبد كان أول فارسٍ جزع المذاد وكان فارسٍ مَلِيلِ^(٢)
إلى أن قال:

سأل النزال هناك فارس غالب بجنوب سلع ليته لم ينزل
فاذهب علي ما ظفرت بمثلها فخرراً ولو لاقيت مثل العضل
نفسى الفداء لفارس من غالب لاقى حمام الموت الخ...^(٣)

١- الإرشاد للمفيد ص ٥٧ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٠٨ والفصول المختارة ص ٢٩٣ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٩ و (ط المكتبة الحيدرية . النجف) = ج ١ ص ١٧١ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٦٠ و ج ٤١ ص ٩٨ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٥ والدر النظيم ص ١٦٧.

٢- الصحيح: ليليل، وهو واد ببدر.

٣- راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٨ وذكرها في آخر العثمانية ص ٣٣٦ عنه، وراجع: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٣ ص ٧٤١ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٦ والدر النظيم ص ١٦٦.

وعند ابن هشام: تسل النزال علي فارس غالب.
وقال هبيرة بن أبي وهب المخزومي، يعتذر من فراره عن علي بن أبي طالب وتركه عمرواً يوم الخندق،
ويكيه:

لعمرك ما وليت ظهراً مُجْدأً وأصحابه جنباً ولا خيفة القتل
إلى أن يقول:
كفتك علي لن ترى مثل موقف وقففت على شلو المقدم كالفحل
فما ظفرت كفاك يوماً بمثلها أمنت بها ما عشت من زلة النعل^(١)
وقال هبيرة بن أبي وهب يرثي عمرواً، ويكيه:
لقد علمت عَلِيّاً لؤي بن غالب لفارسها عمرو إذا ناب نائب
وفارسها عمرو إذا ما يسوقه^(٢) علي، وإن الموت لا شك طالب

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٣ ص ٢٨٩ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦٧ و (ط مؤسسة عز الدين) ج ٢ ص ٤٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٨٠ و (ط مكتبة مُجْد علي صبيح) ج ٣ ص ٧٤٢ والملحق بالعثمانية ص ٣٣٦.
٢ - وفي نسخة (يسومه).

عشيّة يدعوه علي وإنه
فيها لهف نفسي إن عمرواً لكائن
لقد أحرز العليا علي بقتله
وقال حسان:

لقد شقيت بنو جمح بن عمرو
وعمرو كالحسام فتى قریش
فتى من نسل عامر أريحي
دعاه الفارس المقدام لما
أبو حسن فقتعه حساماً
فغادره مكباً مسلحاً
ومخزوم وتيمم ما نقييل
كأن جبينه سيف صقييل
تطاوله الأسنة والنصول
تكشفت المقانِب والخيول
جرازاً لا أفل ولا نكول
على عفراء لا بعد القتيل^(١)

وقال مسافع يؤنب الفرسان الذين كانوا مع عمرو، فأجلوا عنه وتركوه:

عمرو بن عبد والجياد يقودها
خيّل تقاد له وخیل تنعل

١ - مسلح: منبطح. والأبيات في شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩٠ والملحق بالعثمانية ص ٣٣٧.

٢ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٣ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٨١ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٣ ص ٧٤٢ والملحق بالعثمانية ص ٣٣٧.

أجلت فوارسه وغادر رهطه ركباً عظيماً كان فيها أول
عجباً وإن أعجب فقد أبصرته مهما تسوم علي عمرواً ينزل
لا تبعدن فقد أصبت بقتله ولقيت قبل الموت أمراً يثقل
وهبيرة المسلوب ولى مدبراً عند القتال مخافة أن يقتلوا
وضرار كان البأس منه محضراً ولى كما ولى اللئيم الأعزل
قال ابن هشام: بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له^(١).

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ود:

بقيتكم عمرو أبحناه بالقنا بيثرب نحمي والحماة قليل
ونحن قتلناكم بكل مهند الخ..

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان^(٢).

وروى المعتزلي عن بعض شعراء الإمامية قوله:

إذا كنتم ممن يروم لحاقه فهلا برزتم نحو عمرو ومرحب^(٣)
ولا ننسى هنا قول الأزرى " بِسْمِ اللَّهِ ":

١ - السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٨٠ و (ط مكتبة مُجَد علي صبيح) ج ٣ ص ٧٤١.

٢ - السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٨١ و (ط مكتبة مُجَد علي صبيح) ج ٣ ص ٧٤٢.

٣ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٧ وراجع: أعيان الشيعة ج ١ ص ٥٣٠.

فانتضى مشرفيه فتلقى ساق عمرو بضربة فبراهها
وإلى الحشر رنة السيف منه يمالأ الخافقين رجوع صداها
يالها ضربة حوت مكرمات لم يزن ثقل أجرها ثقلاها
هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها^(١)

ابن هشام مغرض في السيرة النبوية:

وبلاحظ هنا: أن ابن هشام قد علق على عدد من مقطوعات الأشعار المتقدمة المرتبطة بعلي (عليه السلام) بما
يوجب التشكيك في صحة نسبتها إليه (عليه السلام) وإلى غيره، بل هو يدعي أن أكثر أهل العلم ينكر أن يكون
هذا الشعر لعلي، أو لحسان بن ثابت أو لمسافع إلخ.. رغم أننا لم نعثر ولو على رجل واحد أنكر نسبة أي
من تلك المقطوعات المشار إليها إلى حسان، أو مسافع أو علي (عليه السلام).
وقد تعودنا أمثال هذه التشكيكات من ابن هشام في كتابه، وكثير منها له ارتباط بعلي (عليه السلام).
كما أنه قد استبعد من سيرته نصوصاً كثيرة أخرى ترتبط بعلي وأهل بيته، أو الخلفاء من أصحابه.. مع
أنها مذكورة في سيرة ابن إسحاق، فليلاحظ ذلك..

١ - الأزرية للشيخ الأزري (ط دار الأضواء) ص ١٢٥ والكنى والألقاب ج ٢ ص ٢٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٥٥٧ وج ٩ ص ١٨.

تجاهل قتل عمرو بن عبد ود في الخندق:

١ . ورغم أن قتل علي (عليه السلام) لعمرو بن عبد ود كالنار على المنار، أو كالشمس في رابعة النهار، فإننا نجد بعض المتعصبين الحاقدين يسوق حديث الخندق، بطريقة يتجاهل فيه هذا الحدث الهام الذي كان هو سبب هزيمة المشركين في تلك الحرب، فيقول أحدهم مثلاً:

"ولم يكن بين القوم قتال إلا الرمي بالنبل والحصا، فأوقع الله بينهم التخاذل، ثم أرسل الله عليهم في ظلمة شديدة من الليل ريح الصبا الشديدة في برد شديد، فأسقطت خيامهم، وأطفأت نيرانهم، وزلزلتهم، حتى جالت خيولهم بعضها في بعض في تلك الظلمة، فارتحلوا خائبين"^(١). ثم يذكر إرسال الزبير بن العوام لكشف خبر القوم.

بينما نجد رجلاً مسيحياً، لا يرغب بالإعتراف للمسلمين بشيء ذي بال، يعتبر قتل علي (عليه السلام) لعمرو ولصاحبه "سبب هزيمة الأحزاب على كثرة عددهم، ووفرة عددهم"^(٢).

٢ . ادعى ابن تيمية: أن عمرو بن عبد ود لم يعرف له ذكر إلا في هذه

١ - حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ وراجع: الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ٥٢٦ وقد تعجب منه في سعد السعود ص ١٣٨ و ١٣٩.

٢ - تاريخ مختصر الدول ص ٩٥.

الغزوة^(١).

وحاول الجاحظ أن يدَّعي: أن شهرة عمرو بن عبد ود بالشجاعة مصنوعة من قبل محبي علي، حتى تركوه أشجع من عامر بن الطفيل، وعتيبة بن الحارث، وبسطام بن قيس، مع أنه لم يسمع لعمرو ذكر في حرب الفجار، ولا في الحروب بين قريش ودوس.

وقد رد عليه الإسكافي بما حاصله: أن أمر عمرو بن عبد ود أشهر من أن يذكر، ولينظر ما رثته به شعراء قريش لما قتل. ثم ذكر شعر مسافع بن عبد مناف، وشعره الآخر في رثائه له. وليس أحد يذكر عمرواً إلا قال: كان فارس قريش وشجاعها، وقد شهد بدرًا، وجرح فيها، وقتل قومًا من المسلمين. وكان عاهد الله عند الكعبة أن لا يدعو أحد إلى إحدى ثلاث خصال إلا قبلها، وآثاره في أيام الفجار مشهورة.

كما أنه لما جزع الخندق في ستة فرسان هو أحدهم، جبن المسلمون كلهم عنه، وهو يوبخهم ويقرعههم، وملكهم الرعب والوهل، فإما أن يكون هذا أشجع الناس كما قيل عنه، أو يكون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفشلهم.

وإنما لم يذكر مع الفرسان الثلاثة لأنهم كانوا أصحاب غارات ونهب،

١ - منهاج السنة ج ٤ ص ١٧٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٤٣ وسيرة الرسول ص ٢٢٠ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٣٩٧.

وأهل بادية، وقريش أهل مدينة، وساكنوا مدر وحجر، لا يرون الغارات، ولا ينهاون غيرهم من العرب، وهم مقيمون ببلدتهم، فلم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء^(١).

ونضيف إلى ذلك: أن قتل عمرو قد أزعج بني قريظة، ولما رأوا أمير المؤمنين (عليه السلام) تصايحوا: جاءكم قاتل عمرو. ولم يظهر لنا أن عمرواً كان مسناً بحيث يمكنه أن يحضر حرب الفجار، فقد وصف في بعض الأشعار بالفتى. وحتى لو كان قادراً على الحضور، فقد يغيب عنها لسفر، أو لمرض، أو لعدة أخرى..
سبب هزيمة الأحزاب:

إن سبب هزيمة المشركين يوم الأحزاب يرجع إلى أمور ثلاثة:

أحدها: صعوبة المقام بعد طول الحصار.

الثاني: ما أرسله الله عليهم من الريح والجنود التي لا ترى.

ثم كان السبب الأهم، والأبعد أثراً في هزيمتهم قتل فارسهم، وكبش كتيبتهم، ومعه غيره على يد علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، وذلك هو الذي قطع آمالهم بغزو المسلمين مرة أخرى.. ويدل على ذلك النصوص التالية:

١- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٧ - ٢٩١ وراجع الملحق آخر العثمانية ص ٣٣٥ - ٣٣٩.

ألف: قال ابن العبري: "وبقوا بضعة وعشرين يوماً لم يكن بينهم حرب. ثم جعل واحد من المشركين يدعو إلى البراز، فسعى نحوه علي بن أبي طالب، فقتله، وقتل بعده صاحباً له، وكان قتلهما سبب هزيمة الأحزاب، على كثرة عددهم، ووفرة عُددِهِم"^(١).

ب: وقال المعتزلي: "الذي هزم الأحزاب هو علي بن أبي طالب، لأنه قتل شجاعهم وفارسهم عمرواً لما اقتحموا الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة هاربين مفلولين، من غير حرب سوى قتل فارسهم"^(٢).

ج: وقال الشيخ المفيد: "فتوجه العتب إليهم، والتويخ والتفريع، والخطاب. ولم ينج من ذلك أحد بالإتفاق إلا أمير المؤمنين (عليه السلام)، إذ كان الفتح له، وعلى يديه. وكان قتله عمرواً ونوفل بن عبد الله سبب هزيمة المشركين"^(٣).

د: ويقولون أيضاً: "وفر عكرمة، وهبيرة، ومرداس، وضرار، حتى انتهوا إلى جيشهم، فأخبروهم قتل عمرو ونوفل، فتوهن من ذلك قريش، وخاف أبو سفيان. وكادت أن تهرب فزارة، وتفرقت غطفان"^(٤).

هـ: تقدم عن علي "عليه الصلاة والسلام": أنه قال عن قتله لعمرو بن

١- تاريخ مختصر الدول ص ٩٥.

٢- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٧.

٣- الإرشاد ص ٦٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٨ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٣٩ و ٣٩٧.

٤- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ عن روضة الأحباب.

عبد ود يوم الأحزاب: "فهرم الله قريشاً والعرب بذلك، وبما كان مني فيهم من النكايه"^(١).
و: روي عن ابن مسعود: أنه كان يقرأ: (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) بعلي^(٢).

-
- ١- الحصال ج ٢ ص ٣٦٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٤ والإختصاص للمفيد ص ١٦٧ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٣٦٤ وغاية المرام ج ٤ ص ٣١٩.
- ٢- راجع: الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٢ عن ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر وبنابيع المودة ص ٩٤ و ٩٦ و ١٣٧ و (ط دار الأسوة) ج ١ ص ٢٨١ و ٢٨٣ عن المناقب، وأبي نعيم، ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٤ والإرشاد للمفيد ص ٦٢ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٥ و ٣٢٤ وروضة الواعظين ص ١٠٦ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٣٢٣ والبحر المحيط ج ٧ ص ٢٢٤ وروح المعاني ج ٢١ ص ١٧٥ وكشف اليقين ص ١٣٤ وكفاية الطالب ص ٢٣٤ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٥٠ و ٣٣٤ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٨ ص ١٣٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٩٦ و ٢٠٥ و ٢٥٩ و ٤١ ص ٨٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ = ص ٤٥٤ والتبيين للطوسي ج ٨ ص ٣٣١ وتفسير الألوسي ج ٢١ ص ١٧٥ وميزان الإعتدال ج ٢ ص ٣٨٠ وإكمال الكمال ج ٧ ص ٦٧ وتفسير جوامع الجامع ج ٣ ص ٥٨ وشواهد التنزيل (ط وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية) ج ٢ ص ٧ و ٨ و ٩ ونهج الحق ص ١٩٩ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ج ٢ ص ٤٢٠ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ٣٠٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣ ص ٣٧٦ - ٣٨٠ و ١٤ ص ٣٢٧ - ٣٢٩ و ٢٠ ص ١٤٠ عن مصادر تقدمت، وعن المصادر التالية: معارج النبوة للكاشفي ج ١ ص ١٦٣ ومناقب مرتضوي ص ٥٥ ومفتاح النجا للبدخشي (مخطوط) ص ٤١ وتجهيز الجيش ص ٨١ (مخطوط) ودر بحر المناقب (مخطوط) ص ٨٥ وأرجح المطالب ص ٧٥ و ١٨٦.

فكلمة: بعلي ليست من القرآن، وإنما هي زيادة تفسيرية للآية، للتأكيد على نزولها في أمير المؤمنين (عليه السلام).

وما أكثر القراءات التفسيرية هذه، فراجع كتابنا: "حقائق هامة حول القرآن الكريم".
ز: عن ابن عباس: كفاهم الله القتال يوم الخندق، بعلي بن أبي طالب، حين قتل عمرو بن عبد ود^(١).
وذكر القمي أيضاً: نزول الآية في علي فراجع أيضاً^(٢).
وكذا روي عن الإمام الصادق (عليه السلام)^(٣).

-
- ١ - شواهد التنزيل (ط وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية) ج ٢ ص ١٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٤ عن الإسكافي، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٤ ص ٣٢٩.
 - ٢ - تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٩ وجمار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٣٣ وراجع: شجرة طوبى ج ٢ ص ٢٨٩.
 - ٣ - ينابيع المودة ص ٩٦ و (ط دار الأسوة) ج ١ ص ٢٨٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٤ وجمار الأنوار ج ٤١ ص ٨٨ وغاية المرام ج ٤ ص ٢٧٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٠ ص ١٤٠.

ح: تقدم في الفصل السابق قول الحافظ يحيى بن آدم، أو جابر بن عبد الله الأنصاري: ما شبهت قتل علي عمرواً إلا بقوله تعالى: **(فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ)** ^(١).

ط: قال الشيخ المفيد: "وقال رسول الله بعد قتله هؤلاء النفر (يعني: عمرواً وأصحابه): الآن نغزوهم ولا يغزوننا" ^(٢).

وعند المعتزلي الشافعي: أنه **(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)** قال عند قتل عمرو: "ذهبت ريجهم، ولا يغزوننا بعد اليوم، ونحن نغزوهم إن شاء الله" ^(٣).

١ - الآية ٢٥١ من سورة البقرة.

٢ - الإرشاد ص ٦٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٨ وتفسير مجمع البيان ج ٨ ص ١٣٦ وتفسير الميزان ج ١٦ ص ٣٠٠ وتفسير التعلبي ج ٨ ص ٣٠ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٣٢ وإمتاع الأسماع ج ١٣ ص ٢٩٦ وإعلام الوري ج ١ ص ٣٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٨٩.

٣ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٣ وج ٣٩ ص ٤.

أشجع الأمة:

قال المحقق التستري: تدل الآية بناء على قراءة ابن مسعود: "على كون علي أشجع من كل الأمة، وأنه تعالى به (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كفى شر العدو عنهم يوم الأحزاب، فيكون أفضل منهم، (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (١) (٢)".

وقال المظفر: ". فمنه حياة الإسلام والمسلمين، ولولا أن يكفيهم الله تعالى القتال بعلي لاندرست معالم الإسلام، لضعف المسلمون ذلك اليوم، وظهور الوهن عليهم الخ.. (٣)".

الآن نغزوهم ولا يغزوننا:

وعن قول رسول الله (ﷺ) بعد قتل عمرو، أو بعد رحيل الأحزاب: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، أو نحو ذلك (٤). نقول:

١ - الآية ٩٥ من سورة النساء.

٢ - إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣ ص ٣٨١.

٣ - دلائل الصدق ج ٢ ص ١٧٥.

٤ - راجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٩ عن أحمد، والبخاري، والبزار، والبيهقي، وأبي نعيم، وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ =

= وراجع: ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٤ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٥ وشرح نوح البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥١ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨.

وراجع: صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٨ و ٢٧٣ و ٢٠٩ والإرشاد للمفيد ص ٦٢ ونهاية الأرب ج ١٧

ص ١٧٨ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦٦ و راجع ص ٧٦ و حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٤ و البداية والنهاية

ج ٤ ص ١١٥ عن ابن إسحاق، ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ و بحجة المحافل ج ١ ص ٢٧١ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢١

وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢.

كان المشركون قد أشاعوا زوراً أنهم قد انتصروا في حرب أحد، وبدأوا بالإستعداد للجولة التالية، فحزبوا الأحزاب، وجمعوا الجموع، واتفقوا مع يهود قريظة، وشاركتهم القبائل الفاعلة في المنطقة مشاركة واسعة، طمأنت زعماء قريش، الذين حشدوا كل ما لديهم من قوى بشرية ومادية إلى أن الأمر سيحسم لصالحهم..
وزين لهم الشيطان أن المسألة أصبحت مسألة وقت.
وجاءوا بقضهم وقضيضهم، وحدهم وحديدهم، ففوجئوا بالخندق.. وبحسن إدارة الحرب.
وطاولهم المسلمون في الحرب، حتى ملوا، وواجهوا مشاكل مختلفة ومنها مشكلة البرد، ومشكلة التموين، ومشكلة الريح، ومشكلة الإرهاق،

بسبب إستمرار الإستنفار، وغير ذلك، وفسد الأمر بينهم وبين بني قريظة ..
ثم جاءتهم قاصمة الظهر بقتل علي (عليه السلام) فارسهم، وألحق به آخرين إلى درك الجحيم ..
فآثروا الفرار على القرار، ورضوا بالخزي والعار على البوار والدمار، على يد حيدر الكرار (عليه السلام)، الذي
كان الحق معه وكان هو مع الحق يدور معه حيثما دار .
فإذا كان هذا أكبر حشد وأقواه، من حيث العدد والعدة، وقد طار صيته في طول البلاد وعرضها، وتوقع
الناس في أرجاء الجزيرة العربية، وربما في خارجها نتائج، فإن النتائج التي عاد بها هذا الحشد كانت بمثابة
زلزال هز المنطقة بأسرها من الأعماق، وبث الوهن والفشل في كل قلب، وزرع الرعب في كل بيت، وسقط
عنقوان الشرك، وتزلزل جبروته ..
وبذلك تكون قريش قد فقدت هيبتها، والكثير من نفوذها في المنطقة، وانفك الارتباط بينها وبين القبائل
المختلفة في طول البلاد وعرضها، فلم تعد هذه القبائل ترى نفسها ملزمة بالخط، أو بالموقف التي تريد قريش
أن تلزمها به، ولم يعد بإمكان قريش إقناع الكثير من القبائل بالمخاطرة بمستقبلها، وبأمنها، وبعلاقاتها مع
المسلمين ..
كما أن فساد العلاقة بين بني قريظة والأحزاب قد أعطى الإنطباع بأن الإعتماد والرهان على التحالفات
والتفاهات لم يعد مُطمئناً، بل هو رهان يكاد يكون على يباب وسراب .
ولا بد لقريش من أن ترضى على مضض بأن ترى القبائل تسعى لمد

الجسور مع المسلمين، وترميم علاقاتها بهم، والتفاهم معهم في المجالات المختلفة. ما دام أن تيار الإسلام والمسلمين في حالة نمو وتعاضم مطرد في البلاد القريبة والبعيدة..

وظهر مصداق قوله (ﷺ): بعد ما جرى: الآن نغزوهم ولا يغزوننا.

شهداء المسلمين، وقتلى المشركين:

في عدد الشهداء من المسلمين اختلاف . يبدأ من أربعة إلى ثمانية.

كما أن الأقوال في عدد قتلى المشركين تتراوح ما بين ثلاثة إلى ثمانية^(١).

وقد قتل علي (عليه السلام) منهم حسب إحصائية ابن شهر آشوب خمسة، هم:

١ - عمرو بن عبد ود.

٢ - حسل بن عمرو بن عبد ود.

٣ - نوفل بن عبد الله بن المغيرة.

٤ - منبه بن عثمان العبدي.

١ - للإطلاع على هذه الأقوال وبعض مصادرها راجع كتابنا: الصحيح من سيرة النبي (ﷺ) ج ١١ ص ٢٤٧ - ٢٤٩.

٥ - هبيرة بن أبي هبيرة المخزومي^(١) .

غير أننا نقول:

ألف: بالنسبة لشهداء المسلمين: لم يثبت لنا أنهم قتلوا في سياق معركة جرت.. إذ لا نحسب ان شيئاً من ذلك قد حصل..

إلا إن كان بعض الناس الذين كانوا يترددون بالقرب من جيش الأحزاب كانوا يصادفون دوريات المشركين في ذلك المحيط، فيوقع بهم المشركون..

كما أن ما يثير الشبهة هو هذا التردد في عدد الشهداء بين ثلاثة إلى ثمانية.. والحال أن ضبط عددهم وأسمائهم، وأسماء قاتليهم، وسائر ما جرى لهم كان مطلوباً لمناوئي علي (عليه السلام)، لكي يخطفوا بعضاً من بهجة النصر الذي تحقق على يد علي (عليه السلام)، ويقللوا من أهميته، بإيجاد شركاء له في الجهاد والتضحية..

ب: بالنسبة لعدد القتلى من المشركين أيضاً نقول: لقد عجز التاريخ عن الإفصاح بغير من قتلهم علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، ويبقى ما عدا ذلك في حيز الإدعاءات التي لا مجال لإثباتها.

ج: تقدم: أن قتل هبيرة موضع شك، مع أن ابن شهرآشوب قد عدّه في جملة من قتلهم علي (عليه السلام)..

١ - مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٨٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٥٥ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٦٦.

الفصل الخامس:

علي (عليه السلام) في غزوة بني قريظة..

علي (عليه السلام) في بني قريظة:

قالوا: لما عاد النبي (صلى الله عليه وآله) والمسلمون إلى المدينة جاءه جبرئيل مباشرة يأمره بالمسير إلى بني قريظة، وكان حينئذ - كما يبدو - في بيت فاطمة (عليها السلام)، وأنفذ علياً (عليه السلام) في ثلاثين من الخزرج، قال المفيد والأربلي وغيرهما: وقال له: انظر إلى بني قريظة، هل تركوا حصونهم؟!

فلما شارف حصونهم سمع منهم الهُجْر، فعاد إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فأخبره، فقال: دعهم، فإن الله سيمكن منهم. إن الذي أمكنك من عمرو بن عبد ود لا يخذلك، فقف حتى يجتمع الناس إليك، وأبشر بنصر الله، فإن الله قد نصرني بالرعب بين يدي مسيرة شهر.

قال علي (عليه السلام): فاجتمع الناس إلي، وسرت حتى دنوت من سورهم، فأشرفوا عَلَيَّ، فلما رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو.

وقال آخر: قد أقبل إليكم قاتل عمرو.

وجعل بعضهم يصيح ببعض، ويقولون ذلك، وألقى الله في قلوبهم

الرعب، وسمعت راجزاً يرتجز:

قتل علي عمرواً صـاد علي صقـراً
قصم علي ظهراً أـبـرم علي أمـراً
هتك علي سترأ

فقلت: الحمد لله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك.

وكان النبي (ﷺ) قال لي حين توجهت إلى بني قريظة: سر علي بركة الله، فإن الله قد وعدك (وعدكم) أرضهم وديارهم.

فسرت مستبقناً لنصر الله عز وجل حتى ركزت الراية في أصل الحصن، (وجعل (ﷺ) يسرب إليه الرجال)، واستقبلوني في صياصيتهم، يسبون رسول الله (ﷺ)، فلما سمعت سبهم له (عائشة) كرهت أن يسمعه رسول الله (ﷺ)، فعملت على الرجوع إليه، فإذا به (عائشة) قد طلع^(١).

ثم ذكر المفيد "حصار النبي (ﷺ) لهم خمسة وعشرين يوماً، ثم نزولهم على حكم سعد بن معاذ، ثم قال:

١ - الإرشاد للمفيد (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٠٩ و ١١٠ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٦١ و ٢٦٢ و ج ٤١ ص ٩٥ و ٩٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٤٥ و (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٥١ وكشف الغمة للأرنؤلي ج ١ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ وكشف اليقين ص ١٣٥.

ولما جيء بالأسارى إلى المدينة حبسوا في دار من دور بني النجار، وخرج رسول الله (ﷺ) إلى موضع السوق اليوم، فخندق فيها خنادق، وحضر أمير المؤمنين (عليه السلام) معه والمسلمون، فأمر بهم أن يخرجوا، وتقدم إلى أمير المؤمنين أن يضرب أعناقهم في الخندق. فأخرجوا أرسالاً، وفيهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد، وهما. إذ ذاك. رئيسا القوم، فقالوا لكعب بن أسد، وهو يُدَّهَبُ بهم إلى رسول الله (ﷺ): يا كعب، ما تراه يصنع بنا؟!

فقال: في كل موطن لا تعقلون، ألا ترون الداعي لا ينزع، ومن ذهب منكم لا يرجع، هو والله القتل. وجيء بحيي بن أخطب مجموعة يده إلى عنقه، فلما نظر إلى رسول الله (ﷺ) قال: أما والله ما لمت نفسي على عداوتك، ولكن من يخذل الله يخذل. ثم أقبل على الناس، فقال: يا أيها الناس، إنه لا بد من أمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل. ثم أقيم بين يدي أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو يقول: قتلة شريفة بيد شريف. فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): "إن خيار الناس يقتلون شرارهم، وشرار الناس يقتلون خيارهم، فالويل لمن قتله الأخيار الأشراف، والسعادة لمن قتله الأذال الكفار". فقال: صدقت، لا تسلبني حلتي.

قال: "هي أهون عليّ من ذاك".

قال: سترتني سترك الله، ومد عنقه، فضرها علي (عليه السلام) ولم يسلبه من بينهم.

ثم قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لمن جاء به: ما كان يقول حيي وهو يقاد إلى الموت؟! فقال: كان يقول:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنّه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى بلغ النفس جهدها وحاول يبغي العز كل مقلقل
فقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

لقد كان ذا جد وجد بكفره فقيّد إلينا في المجمع يعتل
فقلدته بالسيف ضربة محفظ فصار إلى قعر الجحيم يكبل
فذاك مآب الكافرين ومن يكن مطيعاً لأمر الله في الخلد ينزل^(١)
الراية واللواء مع علي (عليه السلام):

روي عن جعفر بن محمد، عن أبيه "عليه السلام": أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث علياً (عليه السلام) يوم بني قريظة بالراية،

١- الإرشاد للمفيد ص ٦٥ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١١١-١١٣ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٦٢-٢٦٤.

وكانت سوداء تدعى العقاب، وكان لواؤه أبيض^(١).

وقال ابن إسحاق: "وقدم رسول الله (ﷺ) علي بن أبي طالب برأيته إلى بني قريظة"^(٢).

-
- ١- قرب الإسناد ص ٦٢ و (ط مؤسسة آل البيت) ص ١٣١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٦ عنه، ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ١٤٤ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ١١٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ١١٥ ومستدرک = سفينة البحار ج ٤ ص ٢٥٧ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٠٩.
- ٢- العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٠ و ٦٩ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٣ ص ٧١٦ وتفسير فرات (ط سنة ١٤١٠ هـ. ق) ص ١٧٤ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٥١ وجامع البيان ج ٢١ ص ١٨١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٧ و ٢١٠ وإمتاع الأسماع ج ٨ ص ٣٧٦ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣ و ٤٩٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١١.
- وراجع أيضاً: تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٥ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٦ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٣ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٥٩ ونور اليقين ص ١٦٦ ومحمد رسول الله وأثره في الحضارة ص ٢٤٥ وفقه السيرة للغزالي ص ٣٣٨ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٤٦ والثقات ج ١ ص ٢٧٤ وجامع السيرة النبوية ص ١٥٣.

وصرح القمي: بأنها كانت الراية العظمى^(١).
وقال البعض: وخرج علي بالراية، وكانت علي حالها لم تطو بعد^(٢).
ويظهر من روايات أخرى: أن راية المهاجرين أيضاً كانت مع علي (عليه السلام)..
فقد روي: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعا علياً، فقال: قدم راية المهاجرين إلى بني قريظة، فقام علي (عليه السلام)، ومعه المهاجرون، وبنو عبد الأشهل، وبنو النجار كلها، لم يتخلف عنه منهم أحد^(٣).
ويظهر من روايات أخرى: أنه (صلى الله عليه وآله) قد دفع إلى علي اللواء أيضاً، فهي تقول:
"فدعا (صلى الله عليه وآله) علياً فدفع إليه لواءه. وكان اللواء على حاله، لم يحل من مرجعه من الخندق، فابتدر الناس"^(٤).

-
- ١- تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٩ و ١٩٠ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ عنه.
 - ٢- تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ١٢١.
 - ٣- إعلام الوری (ط سنة ١٣٩٠ هـ. ق) ٩٣ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٩٥ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٢ و ٢٧٣ عنه، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٢.
 - ٤- المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٧ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤١ و ٢٤٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٢٤٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٧٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٥٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣.

وفي نص آخر: وخرج رسول الله (ﷺ) يحمل لواءه علي بن أبي طالب^(١).
وعن عروة بعث علياً (عليه السلام) على المقدمة، ودفع إليه اللواء، وخرج رسول الله (ﷺ) في أثره^(٢).
وجمع نص آخر بين اللواء والراية فهو يقول: "وكان علي قد سبق في نفر من المهاجرين والأنصار فيهم
أبو قتادة.. وغرز علي الراية عند أصل الحصن.

١- الثقات ج ١ ص ٢٧٤ وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢
ص ٢٤٧.

٢- عمدة القاري ج ٧ ص ١٩٢ عن الحاكم، والبيهقي، وموسى بن عقبة، وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٨ عنهم، والمواهب اللدنية ج ١
ص ١١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٠ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٤ ومجمع
البيان ج ٨ ص ٣٥١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٠ عنه.

إلى أن قال أبو قتادة: وأمرني أن ألزم اللواء فلزمته، وكره أن يسمع رسول الله (ﷺ) أذاهم وشتمهم" (١).
ونقول:

لا بأس بالإشارة إلى ما يلي:

الحرب خدعة:

وذكروا: أن علياً (عليه السلام) قال: إن الحرب خدعة، واستشهد على ذلك بأن النبي (ﷺ) هو الذي أوقع الخلاف بين بني قريظة، وجيش الأحزاب، فإنه حين بلغه أن بني قريظة بعثوا إلى أبي سفيان: إذا التقيتم أنتم ومحمد، أمددناكم وأعناكم، خطب فقال: إن بني قريظة بعثوا إلينا: أنا إذا التقينا نحن وأبو سفيان أمددونا وأعانونا..

فبلغ ذلك أبا سفيان، فقال: غدرت يهود، فارتحل عنهم" (٢).

١ - المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٨ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٠ ص ٥٩٩ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥ وراجع أيضاً: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤٢ و (ط دار الكتب العلمية) ص ٢٤٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣ و ٤٩٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٩ ص ٩٢.

٢ - راجع: قرب الإسناد ص ٦٣ و (ط مؤسسة آل البيت) ص ١٣٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٦ عنه، وج ٩٧ ص ٣١ وج ١٠٠ ص ٣١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ١٣٤ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ١٠٢ و ١٠٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ١٥٢ وموسوعة أحاديث أهل البيت "عليه السلام" للنجفي ج ٣ ص ٢٧٠.

ويستوقفنا في هذه الرواية:

أولاً: أن الضمير في هذه الرواية في قوله: فارتحل عنهم يرجع إلى المسلمين، وهذا معناه: أن فساد الأمر بين بني قريظة وبين أبي سفيان قد حصل قبل قتل عمرو بن عبد ود.

مع أن ذلك لا يستقيم، فإن ارتحال أبي سفيان كان بعد ذلك، وقتل عمرو بن عبد ود كان هو السبب في ارتحالهم.

ثانياً: ظاهر هذه الرواية: هو أن ارتحال أبي سفيان والأحزاب كان بسبب فساد الأمر بين أبي سفيان وبين بني قريظة، مع أن السبب هو قتل عمرو بن عبد ود ومن معه من الفرسان، لأجل ما أصاب الأحزاب من رعب وخوف.

ثالثاً: إن كان الضمير في قوله: فارتحل عنهم يرجع إلى بني قريظة: فهو لا يستقيم أيضاً، لأن أبا سفيان لم ينزل عليهم، ولم يكن عندهم، وإنما بلغه كلام النبي (ﷺ) وهو في جيشه الذي كان عند الخندق..

على أنه لو كان قد قصد بني قريظة لينسق معهم، فبلغه كلام النبي (ﷺ).. فالسؤال هو:

كيف علم بخطبة رسول الله (ﷺ)؟!

وهل لحقه لاحق إلى هناك وأخبره؟!

وإذا كان قد حصل ذلك، فلماذا لم يطالبهم؟! وإذا كان قد طالبهم، فماذا أجابوه؟! ولم لم يقبل منهم؟! إن ذلك لم يتضح لنا من نص الرواية المذكورة.

والسؤال الأهم هو: إذا كان قد اتفق مع بني قريظة، وبلغ خبر الإتفاق إلى رسول الله (ﷺ)، فما الحاجة إلى الذهاب إليهم مرة أخرى؟! وإذا كان لم يتفق بعد معهم، فلا معنى لقول الرواية: إنه بلغ رسول الله اتفاقهم على كذا، إذ لم يكن هناك اتفاق أصلاً..

رابعاً: المعروف: أن النبي (ﷺ) كان إذا أراد غزوة ورسى بغيرها، وهذا معناه: أنه (ﷺ) ينزه نفسه حتى عن الكذب الجائر، كالكذب في الحرب، إذ ليس كل جائز يليق أن يصدر من النبي والرسول، لأن الناس إذا رأوا النبي يكذب فيما يجوز، فإنهم يستحلون الكذب فيما لا يجوز أيضاً.

لماذا علي (عليه السلام)؟! ولماذا الخزرج؟!:

وقد ذكر النص المتقدم: أنه (ﷺ) أرسل في أول الأمر علياً (عليه السلام) في ثلاثين من الخزرج، وقال له: انظر بني قريظة هل تركوا حصونهم؟! فهنا أمور، لا بد من فهمها، هي:

١ - إرسال علي (عليه السلام).

٢ . اختيار الخزرج دون غيرهم .

٣ . اختيار ثلاثين رجلاً .

٤ . توقع أن يترك بنو قريظة حصونهم .

ونوضح ذلك بما يلي :

ألف : إرسال علي (عليه السلام) :

بالنسبة لاختياره (ﷺ) علياً (عليه السلام) لهذه المهمة نقول :

قد ظهر سببه من حال بني قريظة، حيث أربعهم مجيء علي، وانبهروا بحضوره، ونادى بعضهم: جاءكم قاتل عمرو، ثم ما كان من تصايحهم، وخوفهم..

ب : إختيار الخزرج :

وعن سبب اختيار الخزرج نقول :

إن بني قريظة كانوا أو أكثرهم يميلون إلى الأوس، لوجود حلف بينهم، كانوا يظنون أنه سيفيدهم في الحالات الصعبة، ولا أصعب من هذه الحالة، ولأجل ذلك رفضوا النزول على حكم رسول الله (ﷺ)، ورضوا بالنزول على حكم سعد بن معاذ، الأوسي .

فاختيار الخزرج دون أن يكون معهم أوسي واحد، ولا مهاجري واحد، يشير إلى تعمد هذا الإختيار، وإلى أن أمرهم عند النبي (ﷺ) "

شديد، وأنه سوف لا يتسامح معهم، وأنه لن تنفع فيهم الشفاعات، ولا مجال لمراعات الخواطر في أمرهم..
ولو أنه خلطهم بغيرهم، ولو من المهاجرين، فلربما يخيل إليهم أن انضمام الخزرج ولو بكثرة لا يشير إلى شيء من ذلك، لأنه قد يكون عفويًا..

ج: ثلاثون رجلاً:

ومما ذكرناه أنفأ يظهر الوجه في تكثير عددهم إلى ثلاثين، إذ لو كان العدد قليلاً: خمسة، أو ستة أو أكثر أو أقل مثلاً، لتخلوا أن كونهم خزرجيين قد جاء على سبيل الصدفة، لحضورهم في المجلس مثلاً، أو لرابطة شخصية تدفع بعضهم للإلتحاق بالبعض الآخر، أو لغير ذلك من أسباب..

على أن طبيعة المهمة المعلنة لم تكن تحتاج إلى أكثر من رجل أو رجلين لإنجازها، إذ كان يكفي أن يذهب قلة قليلة ليتحسسوا أمر بني قريظة، ليعرفوا إن كانوا في حصونهم، أو خرجوا منها. ولا يجب أن يراهم بنو قريظة!!.

ولكنه (ﷺ) أراد لبني قريظة أن يروا هذه الكثرة، وأن يلتفتوا إلى خصوصيتها الخزرجية..

د: ترك الحصون:

ويبقى هنا سؤال يقول: إن الأمر الطبيعي هو أن يستقر الإنسان في بيته، وفي حصنه، وفي أرضه، فما

هو المبرر إذن لتوقع النبي (ﷺ) "

أن يكون بنو قريظة قد تركوا حصونهم . وقد قال: "تركوا" ولم يقل: خرجوا.
ونجيب:

بأن بني قريظة قد نقضوا العهد بانفاقهم مع المشركين على رسول الله (ﷺ)، وكانوا على يقين من أن نتيجة الحرب ستكون لصالح أهل الشرك، وأنهم سوف يتمكنون بمعونة بني قريظة من استئصال شأفة أهل الإيمان، وقتل رسول الله (ﷺ) وخيار أصحابه..

فهم قد أقدموا على أمر كانوا قد تعاهدوا مع الرسول على عدم الإقدام عليه، فإن فعلوا ذلك فلا بد من الإنتقام منهم بمثل الفعل الذي أقدموا عليه، وسعوا إلى تحقيقه، وهو الإستئصال، والإخراج من الأرض، والقتل، وما إلى ذلك.. فللنبي (ﷺ) أن يتوقع منهم أن يتركوا حصونهم، ويهربوا إلى أرض أخرى.. فمقامهم في حصونهم يعد تحدياً سافراً ووقحاً، إمعاناً في البغي، والتجني.. لا سيما وأنها حصون يتمنعون بها ممن أعلنوا أنهم يسعون إلى قتلهم واستئصالهم.

فإن أمكن تبرير البغض والعداوة الدينية أو الثأرية، ولو بما هو غير مقبول ولا معقول، فإن تضحيتهم بالقيم، بارتكابهم جريمة الغدر، ونقض العهود، لا يمكن تبريرها، فكيف إذا جعلوا تلك القيم ثمناً لارتكاب جريمة استئصال مَنْ حَفِظَهُمْ، وراعى جانبهم، ورضي بالتعامل معهم.

الأمر الذي يزيد في قبح هذه الجريمة وبشاعتها وفضاعتها..
فكيف إذا كان من يريدون قتله واستئصاله هو نبي الله، وأتمهم يفعلون ذلك سعياً منهم في إطفاء نور الله،
وإبطال دينه، وسد أبواب الهداية الإلهية للبشر..
ثم إنهم أمعنوا في بغيهم وعداوتهم حين بادروا إلى إظهار الكلام القبيح في حق رسول (ﷺ)، رغم أن
المفروض بالمدنّب والمعتدي، والناكث للعهد أن يستحي من نفسه، وأن يظهر الندم على ما بدر منه.
الدليل الحسي:

وقد استفاد النبي (ﷺ) من الدليل والشاهد الحسي للبرهنة على ما يخبر به هنا عن المستقبل، وذلك
حين قال لعلي (عليه السلام) عن بني قريظة: دعهم، فإن الله سيمكن منهم، إن الذي أمكنك من عمرو بن عبد
ود لا يخذلك إلخ..

وكان (عليه السلام) على يقين من ذلك، ولكنه (ﷺ) يريد أن يسمع الناس ذلك، ويفهمهم: أن الله عناية
خاصة بعلي (عليه السلام).. وأن قتل عمرو بن عبد ود إنما هو بتمكين من الله تعالى.. وأنه (عليه السلام) موفق من الله
تعالى، وغير مخذول.. وأن مصير بني قريظة هو أن يمكن الله منهم علياً (عليه السلام)، مقتصراً على ذكر علي (عليه السلام)،
ولم يضيف إليه أحداً، فلم يقل سيمكنني، أو يمكننا، أو يمكن المسلمين أو المؤمنين منهم..

وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن علياً وحده سيأتي بالنصر على بني قريظة، ولن يشاركه فيه أحد. ويدل على ذلك أيضاً: قوله (ﷺ) لعلي بعد ذلك: سر على بركة الله، فإن الله قد وعدك أرضهم وديارهم.

ومعنى هذا: أن بني قريظة كانت خالصة لعلي (ﷺ) لأنه فتحها وحده، ولكن رواية ابن شهرآشوب تقول: "وعدكم أرضهم إلخ..".

وهي لا تنافي ما ذكرناه، فإن الله وعد المسلمين أرضهم، ولكن على يد علي (ﷺ)..
الأوس.. والمهاجرون:

قال الطبرسي، وكذا ابن شهرآشوب: "فدعا رسول الله (ﷺ) علياً (ﷺ)، فقال: قدم راية المهاجرين إلى بني قريظة.

فقام علي (ﷺ)، ومعه المهاجرون، وبنو عبد الأشهل، وبنو النجار كلهم لم يتخلف عنه منهم أحد^(٦)..

١ - إعلام الوری (ط سنة ١٣٩٠ هـ) ص ٩٣ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٩٥ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٥١ وجمار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٢ و ٢٧٣ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٢.

فيلاحظ هنا ما يلي:

ألف: تقديم راية المهاجرين:

إن تقديم راية المهاجرين، معناه: أن يتبعها، ويحيط بها المهاجرون أنفسهم، وليذكر بني قريظة بأنهم قد نقضوا عهدهم، وجروا البلاء لأنفسهم، وأرادوا أن يشاركوا أهل مكة في استئصال محمد (ﷺ) ومن معه، والقضاء على دينه.

وهؤلاء من أهل مكة أيضاً، وعلى رأسهم ابن شيخ الأبطح، وأنبل وأفضل رجل في مكة.. وقد جاء ليفعل بهم نفس ما أرادوا هم وأهل مكة أن يفعلوه بالمسلمين..

ب: بنو عبد الأشهل:

وهؤلاء حلفاؤهم، الأوسيون: ومنهم بنو عبد الأشهل، وهم أحد جناحي المدينة، والذين يأملون أن يجدوا لديهم بعض الرأفة، أو الميل لمساعدتهم، قد جاؤوا أيضاً لخرابهم، بل كانوا في طليعة المبادرين لهذه الحرب، ولا بد أن يؤلمهم ذلك غاية الإيلام، وسيزرع ذلك الحسرة والخيبة واليأس في قلوبهم.

د: بنو النجار:

وهؤلاء بنو النجار، وهم من الجناح الآخر في المدينة، فإنهم من الخزرج، قد جاءوا أيضاً لينتقموا منهم، ولن يجدوا فيهم إلا الغلظة

والشدة، ولا شيء يمنعهم من ذلك، أو يخفف من غلوائهم فيه..

إذا رأوني لم يقولوا شيئاً:

ويقول المؤرخون: قدّم رسول الله (ﷺ) علي بن أبي طالب برايته (العظمى) إلى بني قريظة، وابتدورها الناس.

فسار حتى دنا من الحصون، فسمع منها مقالة قبيحة لرسول الله، فرجع حتى لقي النبي (ﷺ) في الطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخايث (وفي نص آخر: ارجع يا رسول الله، فإن الله كافيك اليهود).

قال: لم!؟! أظنك سمعت منهم لي أذى.

قال: نعم يا رسول الله.

قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً.

فلما دنا منهم (زاد في نص آخر: أمرهم (ﷺ) أن يستروه بحجفهم، ليقوه الحجارة، حتى يسمع كلامهم، ففعلوا)، فناداهم: يا إخوان القردة (والخنزير)، هل أخزاكم الله، وأنزل بكم نقمته؟! فقالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً (أو: ما كنت فاحشاً) الخ..^(١).

١ - عيون الأثر ج ٢ ص ٦٩ وراجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٣ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٥١ وراجع: بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٠ و ٢٧٢ و ٢٧٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٥ و ٢٥٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٦ و ٢٢٨ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٧٠ وراجع: دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٤٣٨.

وراجع المصادر التالية: إعلام الورى ص ٩٣ ومُجد رسول الله سيرته وأثره في الحضارة ص ٢٤٥ و ٢٤٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٣ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٢ وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٥ وحياة مُجد هيككل ص ٣٠٦ والتفسير السياسي للسيرة ص ٢٧٩ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥٣ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٤٦.

ونقول:

أولاً: لم نفهم الوجه في قوله (ﷺ) لبي قريظة: هل أخزاكم الله، وأنزل بكم نعمته؟! فإن شيئاً من ذلك لم يحصل حتى تلك اللحظة، فإنهم كانوا لا يزالون في حصونهم، ولم يقع بينهم وبين أحد قتال ولا هزيمة ولا نصر..

وقد كان بإمكانهم أن يجيئوه بالنفى، بأن يقولوا: نحن في حصوننا، ولم يتغير علينا شيء، ويمكنهم أن يدعوا أن خذلان قريش لهم لا يعني نزول النعمة بهم.. بل قد يدعون أنه إذا وقعت الحرب، فسيكون النصر لهم، أو نحو ذلك..

إلا إذا كان (ﷺ) يقول لهم ذلك على سبيل التوقع

بحصوله، ولفت نظرهم إليه..

ثانياً: قوله في الرواية: "إذا رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً" لا ينسجم مع ما جاء من أنهم "أشرفوا عليه وسبوه، وقالوا: فعل الله بك، وبابن عمك وهو واقف لا يجيبهم"^(١).

ثالثاً: إن ما قاله لهم النبي (ﷺ) لم يتضمن فحشاً، ولا سباً، ولا جهالة.. بل هو أراد أن يحذرهم من أن يصيبهم ما أصاب فئة من قومهم، ومن بني إسرائيل، كان الله تعالى قد مسخهم قردة وخنازير، فعليهم أن لا يسيروا على نفس الخط، وأن لا يصروا على نهجهم، ولا يعملوا مثل عملهم، حتى لا ينتقم الله منهم كما انتقم من أولئك.

فهذا الموقف منه (ﷺ) في غاية الحكمة والدقة، وليس فيه جهالة، ولا ما يوجب الإستهياء، ولا ما يستوجب سقوط العنزة من يده، والرداء عن ظهره كما زعموا.

مبررات لحقد بني قريظة:

تقدم: أن بني قريظة حين جاءهم النبي (ﷺ): "سبوه، وقالوا: فعل الله بك، وبابن عمك".
ونقول:

١- إعلام الوری (ط سنة ١٣٩٠ هـ) ص ٩٣ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٩٥ و بحار الأنوار ص ٢٧٢ و ٢٧٣.

إن سبب حقد بني قريظة على علي (عليه السلام)، والدعاء عليه، هو ما فعله بإخوانهم من بني النضير وبني قينقاع، يضاف إلى ذلك: رؤيتهم آمالهم تتبخر على يديه، بما سجله من نصر مؤزر على أهل الشرك، بقتل أعظم فرسانهم في الخندق، بالإضافة إلى ما فعله فيهم في أحد وبدر قبل ذلك..

ثم هم يتوقعون أن يواجهوا مصيرهم الأسود على يديه المباركتين..

ولا بد أنهم قد لاحظوا: أن سائر من كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن له أثر يذكر في أي من المواقف الصعبة، بل ربما كان أثر بعضهم سلبياً وخطيراً على الإسلام وعلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أحيان كثيرة.. فعلي (عليه السلام) هو المحور، وهو الأساس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

علي (عليه السلام) يحمد الله:

ويلاحظ هنا: أن علياً (عليه السلام) لم يفرح بغير رضا الله تبارك وتعالى، ولم ينسب ما جرى على يديه إلى نفسه، فلم يقل: انتصرت على عدوي، بل قال: إن الله هو الذي فعل هذا.

كما أنه (عليه السلام) لم يكن في جهاده هذا وموقفه ذاك يدافع عن نفسه، ولا عن غيره من الناس، ولا عن أموالهم وأعراضهم.. وإنما كان يريد إظهار الإسلام، وقمع الشرك..

ولم يكن يرى أنه حين حقق ذلك الإنجاز الكبير يستحق ثناءً، وحمداً، بل هو ينشئ الحمد كله لله تبارك وتعالى.. وهذا كله هو ما يفيد قوله (عليه السلام): "الحمد لله الذي أظهر الإسلام، وقمع الشرك".

علي (عليه السلام) ينتصر بيقينه:

وقد صرح علي (عليه السلام) بأنه كان علي يقين بالنصر، فقال: "فسرت مستيقناً لنصر الله عز وجل، حتى ركزت الراية في أصل الحصن..".

فهو لم يقل مستيقناً بالنصر، بل نسب النصر إلى الله. كما أنه أراد أن يعلم الناس باستيقانه بالنصر، ليكون درساً لهم، لتضمنه التذليل على تسليمه وتصديقه لرسول الله (صلى الله عليه وآله). وهذا يجب أن يكون شيمة كل مسلم.

علي (عليه السلام) ضرب أعناقهم:

ذكرنا أكثر من مرة، ولا سيما في غزوة بدر أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يقدم أهل بيته في الحروب، ويعرضهم للأخطار لأكثر من سبب، وهو هنا يأمر علياً بأن يتولى قتل بني قريظة بعد أخذهم، جزاء إجرامهم الذي لم يقف عند حد..

وسبب ذلك أنه (صلى الله عليه وآله) يريد أن يحصر المشكلة ويحاصرها، فهو يحصرها هنا وفي كل موطن في علي (عليه السلام)، فهو الذي قتل صبراً عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، ومعاوية بن المغيرة، وأبا عزة الجمحي، وبني قريظة.. وكل من استحق القتل، فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) بقتله!! وذلك لأنه كان يعلم: أن العرب لا تنسى ثاراتها بسهولة، وهي تتأثر

من الغريم، ومن كل من له صلة به، ولم يكن يمكن إشاعة الثارات بين القبائل، لأن ذلك سيؤدي إلى انفراط عقد المجتمع الإسلامي وتمزقه، وتلاشي كل نبضات الحياة فيه، ولم يكن غير علي قادراً على تحمل ذلك.. والتعامل معه بحكمة وروية.. فأثر حصر هذا الموضوع فيه (عليه السلام)، وهكذا كان..

الخيار يقتلون الأشرار:

وتقدم: أن حبي بن أخطب أقيم للقتل بين يدي أمير المؤمنين وهو يقول: قتلة شريفة بيد شريف. فقال له علي (عليه السلام): إن خيار الناس يقتلون شرارهم، وشرار الناس يقتلون خيارهم، فالويل لمن قتله الخيار الأشراف، والسعادة لمن قتله الأراذل الكفار.

فقال: صدقت.

فنلاحظ:

١ - إعتراف هذا اليهودي بشرف علي (عليه السلام)، وبأن الشريف يقابله الشرير، وهذه شهادة منه على نفسه بأنه من الأشرار، وشهادة منه لعلي بأنه من الأشراف. وإذا كان قد صدق بالمعادلة التي أوردها علي (عليه السلام)، وهي أن الأشرار يقتلهم الأخيار، فإنه يكون قد اعترف أيضاً بأن علياً (عليه السلام) من الأخيار..

٢ . إن المعادلة التي أوردها علي (عليه السلام)، واعترف بصحتها ذلك اليهودي المعاند، رغم أن ذلك في غير صالحه.. هي معادلة واقعية وصحيحة، فإن الشرير يندفع لقتل الأخيار، لأنه يحقد عليهم ويعاديهم، لمنافرة حاله مع حالهم، ومناقضة واقعه وكل وجوده مع كل وجودهم وواقعهم، وهو يراهم حجر عثرة في طريقه، فيسعى لإزاحته والتخلص منه، لشدة أنانيته من جهة، ولحقده البالغ من جهة أخرى..

كما أن الأخيار حين يرون أن وجود الأشرار معناه إشاعة الموت والفناء والتلاشي، ويقضي على كل نبضات الحياة، ويهاجم مختلف مصادر الخير والعتاء، ويذهب بكل موجبات الفلاح والنجاح فيها، فإنه يندفع أيضاً لإزاحته من الطريق، لأنه يريد للبشرية أن تحيا، وللخير أن يستمر ويتنامى..

شكوك في حديث ابن أخطب:

أما ما ذكره عن حبي بن أخطب، وشعر أمير المؤمنين، فهو موضع ريب أيضاً، يضاف إلى ذلك بعض الأمور الأخرى، التي نجملها في الملاحظات التالية:

الأولى: بالنسبة للشعر المنسوب إلى علي أمير المؤمنين (عليه السلام) نقول: إنه ليس في المستوى الذي يؤهله، لأن ينسب إلى أمير البيان، وسيد الفصحاء والبلغاء، أمير المؤمنين (عليه السلام)، وذلك واضح بأدنى تأمل.

الثانية: إن التجاء حبي بن أخطب إلى القدر والقضاء لتبرير ما يتعرض له هو وبنو قريظة ليس له ما يبرره، إلا إرادة التبرير والتزوير للحقيقة. ومحاولة

التنصل من المسؤولية، بإلقاء اللوم على الله سبحانه، الذي لم يأمره بأن يتآمر، ولا رضي منه أن ينقض العهود والمواثيق، ولا طلب منه ومن أصحابه أن يواجهوا النبي (ﷺ) بالحرب، وهم يعرفون صدقه، وصحة نبوته كما يعرفون أبناءهم، ويجدون مکتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

وإذا كان لكلام حيي هذا أساس من الصحة، فصحته تكمن في أنه يبين أن الله سبحانه قد قدر على الباطني، والناكث، والمكذب للصادقين، وقتلة الأنبياء: أن يُقتل جزاء ذلك الباطني، والناكث، والتكذيب.

الثالثة: ذكروا: أن جبل بن جوال الثعلبي هو الذي قال:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكننه من يخذل الله يخذل^(١)

ولكننا نرجح: أن يكون حيي بن أخطب نفسه هو الذي قال هذا الشعر كما ذكر البعض^(٢).

بل ذكرت بعض النصوص: أن علياً (عليه السلام) سأل الذي جاء بحيي: ما كان يقول وهو يقاد إلى الموت؟! فقال:

فقال: كان يقول:

١- دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٢٣ .

٢- تفسير القمي ج ٢ ص ١٩١ و ١٩٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٣٧ ومقاتل الطالبين ص ٣١٢ والإرشاد (ط دار المفيد) ج ١ ص ١١٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٤٥١ وفي دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٢٣ قال: "وبعض الناس يقول: حيي بن أخطب قالها" وكذا في الإصابة ج ١ ص ٢٢٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٥٦٣ .

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنّه من يَحْذِلُ الله يُحْذِلُ
فجَاهِدْ حتّى أبلغ النفس جهدها وحاول يبغى العز كل مقلقل^(١)
وهي بحبي أنسب منها بجبل بن جوال، خصوصاً إذا كان جبل قد أسلم قبل قتل حبي وبني قريظة، فإنه
بعد أن أسلم لم يكن ليرثي حبي بن أخطب بهذه الأبيات.
الرابعة: إننا نلمح في هذه الروايات، كما هو في غيرها، قدرّاً من الاهتمام بإظهار مزيد من القوة والثبات
لدى اليهود، والصبر على مواجهة المصائب الكارثة، ثم المزيد من التأكيد على أنهم قد اختاروا الموت كراماً
على الخضوع لما يخالف قناعاتهم.. وهذا هو أحد سبل تزوير الحقيقة، وتشويه التاريخ الصحيح..
الفتح على يد علي (عليه السلام):
قد تقدم: أن بني قريظة قد طارت قلوبهم رعباً من علي (عليه السلام) حين قدم إليهم، ونزید هنا:
ان الزبير بن بكار، يذكر لنا في كتاب المفاخرات نصاً يفيد: أنه قد جرى في قريظة كالذي جرى في
خيبر.

١ - بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٦٣ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٨ والإرشاد للمفيد ص ٢٦٥ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ١١٢ والدر
النظيم ص ١٧٠.

فقد ذكر ابن بكار مناظرة جرت بين الإمام الحسن (عليه السلام) وبين عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، عند معاوية، فكان مما قاله لهم الإمام الحسن (عليه السلام):
"وأنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون.. أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة، فنزلوا من حصنهم فهزموا، فبعث علياً بالراية، فاستنزهم على حكم الله، وحكم رسوله، وفعل في خيبر مثلها"؟! (١).
وقال القاضي النعمان مشيراً إلى جهاد علي (عليه السلام) في بني قريظة: "وانصرف رسول الله صلوات الله عليه وآله، وآله على بني قريظة، فقتلهم، وسبى ذراريهم، وكان ذلك بصنع الله لرسوله صلوات الله عليه وآله، وللمسلمين، وبما أجزاه الله على يدي وليه علي صلوات الله عليه، وكان مقامه ذلك من أشهر المقامات وأفضلها" (٢).

تفاصيل يحسن الوقوف عليها:

ويروي المؤرخون: أنه لما تباطأ اليهود في إجابة طلب النبي (صلى الله عليه وآله) بالتسليم، والنزول على حكمه، صاح علي بن أبي طالب قائلاً:

-
- ١- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٢٨٩ والغدير ج ١٠ ص ١٦٨ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٥٧٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٢١٢ وح ٢٦ ص ٥٤١.
 - ٢- شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٩ والإرشاد للمفيد ص ٦٦ فإنه ذكر ما يقرب من هذا أيضاً.

"يا كتبية الإيمان".

وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: "والله، لأذوقن ما ذاق حمزة أو اقتحم (أفتحن) حصنهم".
(فخافوا، وقالوا: نزل على حكم سعد).

فأرسل اليهود إلى حلفائهم من الأوس: أن يأخذوا لهم مثلما أخذت الخزرج لإخوانهم بني قينقاع الخ..^(١).

ونقول:

ليلاحظ القارئ: حشر اسم الزبير في هذا المقام!!

وقال ابن الحجاج:

١ - محمد رسول الله سيرته وأثره في الحضارة ص ٢٤٧. وراجع المصادر التالية: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٥٧ و ٢٥١ و (ط) مكتبة محمد علي صبيح) ج ٣ ص ٧٢١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٦ و عيون الأثر ج ٢ ص ٧٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٣٤ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٢٩ وتاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ١٢١ وذخائر العقبى ص ٩٩ وإمتاع الأسماع ج ٨ ص ٣٧٧ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٢٦٦.

أنا مولى الكرار يوم حنين
أنا مولى لمن به افتتح الإسـ
والذي علم الأرامل في بدر
من مضت ليلة الهريـر وقتلاه
والظبا قد تحكمت في النحور
لام حصني قريظة والنضير
على المشركين جزـ الشعور
جزافاً يحصون بالتكبير^(١)
وسام الفتح:

ويحدثنا التاريخ: أن جماعة من الصحابة اعترضوا على أبي بكر على إقدامه على غضب الخلافة من علي بعد وفاة النبي (ﷺ). وكان أول من تكلم منهم خالد بن سعيد بن العاص الأموي، فقال له: "اتق الله، وانظر ما تقدم لعلي بن أبي طالب، أما علمت أن النبي (ﷺ) قال لنا، ونحن محدقون به، وأنت معنا في غزاة بني قريظة، وقد قتل علي (عليه السلام) عدة من رجالهم.
(وعند البياضي: وقد قتل علي رجالهم.)

وعند ابن طاووس: وقد قتل علي (عليه السلام) عشرة من رجالهم، وأولي النجدة منهم): وكان الذين يحدقون به (ﷺ) آئذ: جماعة من ذوي القدر والشأن من المهاجرين والأنصار:
"يا معاشر قريش، إني أوصيكم بوصية فاحفظوها عني، ومودعكم أمراً، فلا تضيعوه، إن علي بن أبي طالب إمامكم من بعدي، وخليفتي فيكم، وبذلك أوصاني جبرئيل عن الله عز وجل.."^(٢).

١ - مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٩٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٥٦ وأعيان الشيعة ج ٥ ص ٤٣٤.
٢ - راجع المصادر التالية: الإحتجاج (ط سنة ١٣١٣ هـ. ق) ج ١ ص ١٩٠ و ١٩١ و ٣٠٠ والصراط المستقيم ج ٢ ص ٨٠ و ٨٢ وقاموس الرجال ج ٣ ص ٤٧٦ و ٤٧٨ و ٤٧٩ والحصال ج ٢ ص ٤٦٢ و ٤٦٣ واليقين في إمرة أمير المؤمنين ص ١٠٨ - ١١٠ عن أحمد بن محمد الطبري، المعروف بالخليلي، وعن محمد بن جرير الطبري، صاحب التاريخ في كتابه: مناقب أهل البيت "عليه السلام" وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٤ و ٢١٩ ورجال البرقي ص ٦٣ و ٦٤.

ونقول:

إننا نشير هنا إلى ما يلي:

١ . اتضح مما تقدم: أن القتال الذي حصل يوم فتح قريظة لم يكن مجدياً، بل كان مخزياً، إلا ما كان من قتال علي (عليه السلام)، فإنه هو الذي كان الفتح على يديه، دون كل أحد سواه، وذلك بعد أن بعث النبي (صلى الله عليه وآله) أكابر أصحابه إلى بني قريظة، فهزمهم بنو قريظة، تماماً كما جرى في خيبر ..

٢ . إن قول القاضي النعمان عن علي (عليه السلام): "وكان مقامه ذلك من أشهر المقامات" يثير الدهشة، حيث نرى أن هذا الأمر قد تم تجاهله، أو التعتيم عليه، حتى زال وتلاشى، وطمست معالمه فلم يعد يعرفه أحد.

وهذا يدل على أنه ثمة خيانة كبيرة تعرض لها تاريخ الإسلام الصحيح، وتاريخ النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام).

٣ . إن حشر إسم الزبير بن العوام في حديث إستسلام بني قريظة ليس

له أي مبرر، فإن علياً (عليه السلام) هو الذي أرسله النبي بالراية إليهم، بعد إرسال أكابر أصحابه، وهو الذي تحدّد بني قريظة بقوله: لأذوقن ما ذاق حمزة، أو أفتحن حصنهم، فخافوا ونزلوا على حكم سعد. وهو (عليه السلام) الذي قتل عشرة من رجالهم، وأولي النجدة فيهم أو قتل رجالهم، وليس للزبير أي دور في ذلك.

ولأجل ذلك لم يقل أحد: إنه شارك في فتح بني قريظة، أو كان له أي نصيب فيه، بل خصصوا علياً دون سواه بهذا الفضل..

فإن كان للزبير دور فلعله دور الهزيمة، إن كان يُعتَبَر من أكابر الأصحاب الذين يقول النص: إن النبي (صلى الله عليه وآله) أرسلهم إلى بني قريظة، فهزموا، وذلك قبل أن يرسل علياً (عليه السلام) إليهم، فيفتح الله على يديه.. ٤. يبدو من النصوص أن ما جرى كان على هذا الترتيب: إن علياً (عليه السلام) قتل طائفة من رجال قريظة، وذوي النجدة فيهم، وهم عشرة فرسان، ثم حاصرهم النبي والمسلمون، ثم بعث (صلى الله عليه وآله) أكابر أصحابه إليهم، فنزلوا من حصنهم إليهم، فهزمهم.

ثم بعث علياً (عليه السلام) بالراية، فحاصرهم، وقهرهم، واستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله، فنزلوا حتى حكم فيهم ابن معاذ، وفعل في خير مثلها، قال ابن واضح اليعقوبي: "وقتل من بني قريظة، ثم تحصنوا

فحاصرهم" (١).

وصية النبي (ﷺ) بالإمام والإمامة:

أما بالنسبة لوصية النبي (ﷺ) للمسلمين بعدم تضييع إمامة علي (عليه السلام)، فنشير إلى ما يلي:

١ - إن هذه الوصية كانت بعد قتل علي (عليه السلام) فرسان بني قريظة.. ثم كان الفتح بعد ذلك على يده (عليه السلام).

٢ - إن الذين حضروا هذه الوصية يفترض أن يكونوا من المهاجرين، ومن الأنصار، ومن مختلف القبائل، ولكنه (ﷺ) وجه كلامه فيها إلى خصوص قريش، مما يدل على أنه يتوقع من قريش موقفاً ذا طابع معين، يريد منها أن تعيد النظر فيه، أو يريد أن يجرها فيه، بإسماعه الآخرين أمراً يمكنهم مطالبتها به في الوقت المناسب.

وقد يكون (ﷺ) قد علم بالوحي، ويمكن أن يكون قد بلغه بأن لدى قريش نوايا معينة، تكونت، أو هي في طور التكوين تجاه ما سمعته من النبي (ﷺ) في حق علي في المواقف المختلفة عن المقام الذي حباه الله به، وأن ثمة رفضاً باطنياً لهذا الأمر.. وهذا ما دلت عليه نصوص عديدة..

٣ - إن هذه الوصية إنما تصبح ذات تأثير، ولها تبريرها المعقول

١ - تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٢.

والمقبول حين يكون علي (عليه السلام) قد حقق إنجازاً عظيماً عَجَزَ عنه المعنيون المخاطبون بهذه الوصية، وهم جماعة من ذوي القدر والشأن من المهاجرين والأنصار، وهم الذين لهم نفوذهم وكلمتهم المسموعة في الناس، إلى حد أن موقعهم هذا يجعلهم يطمحون إلى مواقع ومقامات، وإلى الحصول على إمتيازات لا يطمح لها، ولا يطمع بها غيرهم..

وهم الذين يتوقع منهم الإبتلاء بداء الحسد البغيض، لمن هو جدير حقاً بتلك المقامات والمناصب..
٤ . والإنجاز الذي حققه علي (عليه السلام) في هذه الغزوة كان عظيماً، وهذه الوصية ستكون أعظم نفعاً، وأشد وقعاً، لأن أولئك الطامحين ليس فقط قد أخفقوا للتوّ في تحقيق نفس ذلك الذي تحقق على يد من يحسدونه ويتآمرون عليه، وإنما هم قد مثلوا هذا الإخفاق وجسدوه ضمن خطيئة كبرى تجلب لهم العار في الدنيا والآخرة، وهي جريمة الفرار من الزحف الذي هو من عظام الذنوب..

وإرتكاب هذه الخطيئة سوف يلجمهم، ولا يبقى لهم مجالاً للجهر بالإعتراض على هذا القرار الإلهي النبوي، ويحد من قدرتهم على تسميم الأفكار، وبلبلة الخواطر، والتشكيك في صوابية ما يريد الرسول منهم، ويأمرهم بمراعاته والإلتزام به.

٥ . إن تسجيل موقف في لحظة وقوع حدث هائل يجعل الإنسان أكثر انشداداً إليه، وذاكرته تصبح أكثر استعداداً للإحتفاظ به، كما أنه يعطيه بعداً مشاعرياً يميزه عما عداه.

ولذلك نلاحظ: أن خالد بن سعيد بن العاص لما رأى أن تلك الوصية خولفت بادر إلى التذكير ،
والمطالبة بالالتزام بها .

٦ . لقد حصر (ﷺ) عواقب نقض تلك الوصية بثلاثة أمور، هي:

ألف: الإختلاف في الأحكام .

ب: اضطراب أمر دينهم عليهم .

ج: أن يليهم شرارهم .

وهي أمور خطيرة وحساسة، تلامس بصورة مباشرة سعادتهم في الدنيا والآخرة، لأن ولاية الأشرار تضر
بأمنهم في الدائرة الأوسع: الأنفس والأعراض والأموال، ثم هي تفقدتهم الثقة بسياسات حكامهم، وبسلامة
نواياهم، وبصحة وصوابية قراراتهم، وتفقدتهم القدرة على التخطيط السليم للمستقبل، وتضعهم في مهب
رياح الأهواء، وتكون قراراتهم غيبية، ومرتبلة، وعشوائية. وتتهياً الفرصة لغيرهم ليتدخل في شؤونهم، ويتحكم
في مصيرهم بما ينسجم مع مصالحه وأهوائه ..

وذلك هو الخسران المبين في الحياة الدنيا ..

كما أن إبعاد من نصبه الله ولياً، وإماماً، وحاكماً عن موقعه الطبيعي، يجرمهم من قسط كبير مما كان
يمكن أن يوفره لهم من تربية وتعليم، وهداية، وتهديب، وتركيب، كما أنه يؤدي بهم إلى الإختلاف في الأحكام،
لأن ترك الإمام، وإبعاده عن مقامه يجعل الناس بمثابة غنم غاب عنها

راعيها، وفقدت في غابات الجهالات والضلالات حافظها وحاميها.
وسيجعلهم ذلك نوبة لكل ناهب، وطعمة لكل سالب، ولن ينتفعوا بما يقدمه لهم الآخرون، لأن
الآخرين لن يكونوا أحسن حالاً منهم، وليس لديهم ضمانات تجعلهم يأمنون من أن يقع من يريدون اللجوء
إليه في الزلل، والخطأ، والخطل..
وسيجعلهم غير قادرين على معرفة الكثير الكثير من الحقائق والدقائق، والعلل، والمؤثرات، بل هم قد
يفهمون الأمور على غير وجهها، فيقعون في فخ الجهل المركب، الذي لا يرحم، فيفهمون الخاص عاماً والعام
خاصاً، والمطلق مقيداً، وعكسه، وتختلط عليهم الأمور، ويضيعون في متاهات الأهواء..
وقد روي عن الإمام الحسن (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: "ما ولت أمة أمرها رجلاً قط، وفيهم من
هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلأً حتى يرجعوا إلى ما تركوا.." (١).

١ - أمالي الطوسي ج ٢ ص ١٧٢ و (ط دار الثقافة) ص ٥٦٠ و ٥٦٦ والإحتجاج (ط دار النعمان) ج ١ ص ٢١٩ و ج ٢ ص ٨
وبحار الأنوار ج ١٠ ص ١٤٣ و ج ٣٠ ص ٣٢٣ و ج ٣١ ص ٤١٨ و ج ٤٤ ص ٢٢ و ٦٣ و ج ٦٩ ص ١٥٥ و جامع أحاديث الشيعة
ج ١٣ ص ٦٦ ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٤٧ و ج ١١ ص ٣٠ والعدد القوية ص ٥١ و بنايع المودة ج ٣ ص ٣٦٩ و مصباح البلاغة
(مستدرك نهج البلاغة) ج ١ ص ٣٣٦ و ج ٢ ص ٢٦٢ والتعجب للكراچكي ص ٥٨ و حلية الأبرار ج ٢ ص ٧٧ و ٨٠ و مدينة المعاجز
ج ٢ ص ٨٧ والغدير ج ١ ص ١٩٨ ومستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٤٦٧ و الدر النظيم ص ٥٠٠ و صلح الحسن للسيد شرف
الدين ص ٢٨٧.

والدلائل على ذلك كثيرة ووفيرة.

الدنيا تعير المحاسن وتسلبها:

وهناك أحداث جليلة تُبذَل محاولات لنسبتها إلى من أثبتت الوقائع، وتضافرت الشواهد على أنه ليس أهلاً لها، وأمور رذيلة تبذل محاولات لنسبتها إلى من هو منزّه عنها..

وقد لاحظنا: كيف أنهم ينسبون فضائل علي (عليه السلام) إلى غيره، مثل كونه أول من أسلم، وكونه قاتل مرحب، وغير ذلك، كما أنهم يحاولون نسبة بعض النقائص التي ابتلى بها غير علي إلى علي (عليه السلام)، حتى لقد ادعوا أن آية: **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ)** (١) نزلت بحقه (٢).

١ - الآية ٢٠٤ من سورة البقرة.

٢ - راجع المصادر التالية: النصائح الكافية ص ٧٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٧٣ والغارات للثقفى ج ٢ ص ٨٤٠ وفرحة الغري لابن طاووس ص ٤٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٣٨٤ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٢١٥ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٣٨٦ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٣ ص ٢٦٣ وشجرة طوبى ج ١ ص ٩٧ والغدير ج ١١ ص ٣٠ وإكليل المنهج في تحقيق المطلب للكرباسي ص ٢٩٠ وإحقاق الحق (الأصل) ص ١٩٦ وسفينة النجاة للتنكابني ص ٣٠٣ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج ٢ ص ١٥٦.

بل لقد قالوا عنه (عليه السلام): إنه لا يصلي^(١).

وهذا مصداق قول أمير المؤمنين (عليه السلام): "إذا أقبلت الدنيا على شخص أعارته محاسن غيره.. وإذا أدبرت سلبته محاسن نفسه"^(٢).

وربما يكون الهدف من نسبتها إلى هذا وذاك: تصغير شأن العظيم، وتفخيم شأن الحقير، وذلك بالتشكيك بصدور تلك الفضائل عن فاعلها الحقيقي ونسبتها إلى من يرغبون في تخصيصه بالفضائل والكرامات.. أو يراد إبعاد الشبهة عن المرتكب الحقيقي لبعض الرذائل، فينسبونها إلى من هو برئ منها، تعمداً للإساءة إليه، أو حسداً أو كيداً له، حيث يراد تلويث سمعته تارة، وإثارة الشبهة والريب في انتساب الإنجازات الكبرى التي حققها، إليه تارة أخرى..

وربما تجدهم من أجل هذا الغرض أو ذاك، وحيث لا يمكنهم الإنكار السافر. يكتفون بدس كلمة: وقيل: إن فلاناً هو الذي فعل هذا، أو نحو ذلك.

١ - المعيار والموازنة ص ١٦٠ وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٤ = ص ٣٠ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣١٣ وصفين للمنقري ص ٣٥٤ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٣٦ والغدير ج ٩ ص ١٢٢ و ٢٩٠ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ٧٥٢.

٢ - نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٤ ص ٤ وبحار الأنوار ج ٧٢ ص ٣٥٧ ودستور معالم الحكم لابن سلامة ص ٢٥ وينايع المودة ج ٢ ص ٢٣٣.

ونستطيع أن نورد عشرات الأمثلة على هذا الدس، غير أننا نكتفي بما يلي:
ألف: قالوا عن آية الشراء: نزلت في علي (عليه السلام) في مناسبة مبته على فراش النبي (صلى الله عليه وآله)، وآية الشراء هي قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) (١).
ثم قالوا: وقيل: نزلت في صهيب (٢).

١- الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

٢- المعجم الكبير للطبراني ج ٨ ص ٢٩ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٢ ص ٧٢٩ و ٧٣٢ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٥٤ ومعاني القرآن للنحاس ج ١ ص ١٥٢ وتفسير مقاتل ج ١ ص ١٠٨ وجامع البيان ج ٢ ص ٤٣٧ والجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٠ وتفسير البيضاوي ج ١ ص ٤٩١ وتفسير الثوري ص ٦٦ وأسباب نزول الآيات ص ٣٩ و ٤٠ وتفسير الواحدي ج ١ ص ١٦٠ وتفسير البغوي ج ١ ص ١٨٢ وتفسير السمعي ج ١ ص ٢٠٩ وتفسير الثعلبي ج ٢ ص ١٢٤ وتفسير السمرقندي ج ١ ص ١٦٣ والمحرر الوجيز ج ١ ص ٢٨١ وزاد المسير ج ١ ص ٢٠٣ وتفسير أبي السعود ج ١ ص ٢١١ والتفسير الكبير ج ٥ ص ٢٢٣ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ٤٠ وتفسير العز بن عبد السلام ج ١ ص ٢٠٤ والتسهيل لعلوم التنزيل ج ١ ص ٧٦ وتنوير المقباس ص ٢٨ وتفسير الجلالين ص ٤٣ والإتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٨٥ والعجاب في بيان الأسباب ج ١ ص ٥٢٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٤ ص ٢٢٢ و ٢٢٩ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٢ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٢ ص ٤٨٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ١٩٢ و ج ٣ ص ١٦١ والوافي بالوفيات ج ١٦ ص ١٩٥ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٥٣ وتفسير الميزان ج ٢ ص ٩٩ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٣٦٠ وصفين للمنقري ص ٣٢٤.

ب: لا شك في أن علياً (عليه السلام) هو الذي قتل نوفل بن عبد الله في حرب الخندق أو لحق ببهيرة بن وهب وضربه ففلق هامته.. ولكنهم أضافوا إلى ذلك قولهم: وقيل أن الزبير فعل ذلك.. وقد ذكرنا أننا نشك في صحة ذلك عنه.

ج: ومن ذلك اهتمامهم الشديد بتبرئة أبي لبابة، وادعاء توبته مما صدر منه، أو التخفيف من وقع خيانتة لله ولرسوله، حين أشار إلى بني قريظة أن لا ينزلوا على حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى لقد أنزلوا فيه الآيات، وذكروا له الكرامات، بل زعموا أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان استعمله على قتال بني قريظة، ثم لما صدرت منه الخيانة استبدله بابن حضير.. ونحن نعلم: أن علياً (عليه السلام) هو الذي قاتلهم، وقتل فرسانهم، وذوي النجدة منهم..

إلا أن يكون أبو لبابة وأسيد بن حضير كانا في جملة أعيان الصحابة الذين هزمهم بنو قريظة شر هزيمة!!
د: ما ذكروه من مشاركة الزبير وغيره في ضرب أعناق بني قريظة^(١)،

١ - راجع: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٢ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٩٣ وشرح بمحة المحافل ج ١ ص ٢٧٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٨ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٥٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٥١٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٢ وتفسير الثعلبي ج ٨ ص ٢٨ وتفسير البغوي ج ٣ ص ٥٢٤.

أو إستقلال سعد بن معاذ في ذلك^(١)، مع أن العديد من العلماء يقولون: إنه (ﷺ) تقدم إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) بضرب أعناقهم في الخندق، فأخرجوا أرسالاً^(٢).

وفي كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) عشرات الموارد التي تدخل في هذا السياق، ولكنها تبقى مجرد رذاذ من قطر، أو نقطة من نهر، أو عَرَفَة من بحر.

١- المغازي للواقدي ج ٢ ص ٥١٦.

٢- المغازي للواقدي ج ٢ ص ٥١٥ و ٥١٦ والإرشاد (ط دار المفيد) ج ١ ص ١١١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٦٣ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٨ وكشف اليقين ص ١٣٥. وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٥٢ وإعلام الوري ص ٩٣ و ٩٤ والدر النظيم ص ١٦٩ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤٧ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٠ عن الطبراني والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٤٠ و ٣٤١.

تصحيح خطأ:

قالوا: وكان علي (عليه السلام) هو الذي ضرب في بني قريظة "أعناق اليهود، مثل حبيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف" (١).

والصحيح: كعب بن أسد، لأن ابن الأشرف كان قد قتل قبل ذلك بزمان، مضافاً إلى أن ابن الأشرف كان من بني النضير، لا من بني قريظة.
إلا أن يكون مراده: أن علياً (عليه السلام) هو الذي قتل ابن الأشرف أيضاً، ثم زور المزورون للتاريخ هذه الحقيقة، فنسبوا قتله إلى غير علي (عليه السلام)، حسداً منهم، وحقداً، وبغياً عليه.

١ - مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٩٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٥٥ وإعلام الوري ج ١ ص ٣٨٢ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٦٧.

الفصل السادس:
من المريسيع.. وحتى الحديبية..

بداية:

ومن الأحداث التي جرت بعد غزوة بني قريظة غزوة بني المصطلق في المريسيع، وكان لعلي (عليه السلام) فيها أيضاً المقام المشهود، ونذكر هنا ما جرى في هذه الغزوة، فنقول:

أبو بكر وعمر في المريسيع؟!:

قالوا: إن راية المهاجرين كانت في المريسيع مع أبي بكر^(١).

وزعموا: أن عمر بن الخطاب كان على مقدمة الجيش في غزوة المريسيع^(٢).

ونقول:

إن هذا غير صحيح، فلاحظ ما يلي:

١ - إن جعل عمر مقدمة الجيش في غزوة المريسيع ربما يكون قد جاء للتشويش على علي (عليه السلام) من

جهة، وإعطاء شيء من الأوسمة لغيره من جهة أخرى، إذ إن من يكون على مقدمة الجيش هو رمز صمود

١ - راجع: عمدة القاري للعيبي ج ١٣ ص ١٠٢.

٢ - راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٠.

الجيش، ولا بد أن يكون من الفرسان المعروفين، ومن يرهب جانبهم، ولم يكن عمر بن الخطاب كذلك، فقد كانت الخصوصية الظاهرة فيه هي فراره في المواطن، وتحاشيه مواضع الخطر في المعارك، وما جرى في أحد، ونكوصه عن عمرو بن عبد ود في الخندق، وفراره في بني قريظة. وسيأتي أنه فر في خيبر وحنين وسواها شاهد صدق على ما قلناه.

٢ . قلنا أكثر من مرة: إن علياً (عليه السلام) كان صاحب راية ولواء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المشاهد كلها، باستثناء تبوك، التي لم يحضرها كما سنرى.

٣ . قال خواند أمير: إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطى راية المهاجرين لعلي (عليه السلام)، وراية الأنصار لسعد بن عباد، وعمر على المقدمة، وعلى الميمنة زيد بن حارثة، وعلى الميسرة عكاشة بن محصن^(١).

لكن هذا النص غير سليم، فقد تقدم: أن جعل عمر بن الخطاب على المقدمة لا مجال لقبوله..

يضاف إلى ذلك: أن البعض يقول: إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) استخلف زيد بن حارثة على المدينة في هذه الغزوة^(٢).

١ - حبيب السير ج ١ ص ٣٥٧.

٢ - أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٢ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٠٢ و ج ٨ ص ٣٦٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٩٥ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٦٣ و ج ٣ ص ٤٥ والوافي بالوفيات ج ١٥ ص ١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٣٥٨ والمنتخب من ذيل المذيل للطبري ص ٥ وعمدة القاري ج ١٣ ص ١٠٢.

٤ . ذكر البعض: أن راية المهاجرين كانت مع عمار بن ياسر^(١) . ونحن وإن كنا نرجح ما قاله خواند أمير من أن راية المهاجرين كانت مع علي (عليه السلام) . إلا أننا نقول: إن القول بأنها كانت مع عمار يضعف ادعاء أنها كانت مع أبي بكر .

أما لواء الجيش ورايته فقد كانتا مع علي أمير المؤمنين، حسبما أثبتناه في غزوتي بدر وأحد .
المقتولون من بني المصطلق:

وأما عن المقتولين من بني المصطلق، فقد:

قالوا: إن علياً (عليه السلام) قتل منهم رجلين: مالكاً، وابنه^(٢) .

١ - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٧٩ والمغازي للواقدي ج ١ ص ٤٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٩٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٢ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٧٨ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٠٣ وج ٧ ص ١٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٤٥ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٢٦٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٤٨ .

٢ - تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٦٣ وحيب السير ج ١ ص ٣٥٨ والمغازي للواقدي ج ١ ص ٤٠٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٠٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٠٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٤٨ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٧٣ و ٣٥٥ وج ٢ ص ٣٣٣ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٦٧ و ٩٦ ونهج الحق ص ٢٥٠ .

وقتل أبو قتادة: صاحب لواء المشركين، وكان الفتح^(١).
ونحن لا نستطيع تأكيد ذلك أو نفيه، فالمعرضون يهتمهم التلاعب في بعض الأمور، وقد يكون هذا
منها. ولعل مالكا كان هو صاحب لواء المشركين.
على أن ذلك لوصح، لذكروا لنا اسم صاحب لواء المشركين الذي قتله أبو قتادة للتدليل على إنجاز أبي
قتادة هذا.

جويرية بنت الحارث:

وفي المريسيع سبا علي (عليه السلام) جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية، ثم المصطلقية^(٢) وهي التي
تزوجها رسول الله " ﷺ ".

-
- ١- حبيب السير ج ١ ص ٣٥٨ والمغازي للواقدي ج ١ ص ٤٠٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٤٨.
 - ٢- تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٦٣ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٧٣ وكشف اليقين ص ١٣٦ والإرشاد (ط دار المفيد) ج ١ ص ١١٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٨٩ و ٣٠٧ وراجع ص ٢٨١ و ٢٩٠ و ٢٩٦ والمستجد من كتاب الإرشاد (المجموعة) ص ٧٢ والدر النظيم ص ١٧٠ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٨ ومنهاج الكرامة ص ١٦٧ ونهج الحق ص ٢٥٠ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٢٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٢ ص ٣٣٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٨٠.

وقتل (عليه السلام) مالكاً وابنه^(١).

وَوَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ:

وزعموا: أن آية: (وَوَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)^(٢) نزلت في زيد بن أرقم، في غزوة المريسيع، حيث إنه سمع عبد الله بن أبي يقول: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يقصد بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله (صلى الله عليه وسلم).. فأخبر زيد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بما سمع.. وفي الكشف: ونزل فيه قوله تعالى: (وَوَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) وصار يقال لزيد: ذو الأذن الواعية^(٣). ونقول:

-
- ١- تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٦٣ وكشف اليقين ص ١٣٧ ونهج الحق ص ٢٥٠ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٧٣ و ٣٥٥ و ج ٢ ص ٣٣٣ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٦٦ و ٩٦ وراجع المصادر المتقدمة.
 - ٢- الآية ١٢ من سورة الحاقة.
 - ٣- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٩١ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٠٣ وسيرة مغلطاي ص ٥٦.

إن ذلك لا يصح:

أولاً: لتناقض الروايات في من أخبر رسول الله (ﷺ) بمقالة ابن أبي، هل هو زيد بن أرقم، أو سفيان بن تيم، أو أوس بن أرقم، أو عمر بن الخطاب، وثمة تناقضات أخرى فلا بأس بمراجعتها^(١).

ثانياً: إن قوله تعالى: (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) قد نزلت قبل الهجرة في ضمن سورة الحاقة، ويقال: كان ذلك قبل أن يسلم عمر بن الخطاب^(٢).

ثالثاً: إن سياق الآيات لا يؤيد نزول الآية في زيد بن أرقم، لأن الآية تذكر ما جرى لقوم عاد وثمود، وفرعون، والمؤتفكات..

إلى أن تقول: (إِنَّا لَمَّا طَعَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ، لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)^(٣). أي تعيها أذن تحصي هذه العبر والعظات، والأحداث العظام وتحفظها.. وهذا لا ينسجم ولا ربط له بما حدث مع زيد وابن أبي، لو صح ما يقال أنه جرى بينهما..

١ - راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) ج ١٢ فصل: "ليخرجن الأعز منها الأذل".

٢ - الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٨ و ٢٦٠ عن البيهقي، وابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي، وأحمد، عن ابن عباس، وابن الزبير، وعمرو. وراجع: تفسير الألوسي ج ٢٩ ص ٣٩ والإصابة ج ٤ ص ٤٨٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ١٧.

٣ - الآيتان ١١ و ١٢ من سورة الحاقة.

رابعاً: روي عن علي (عليه السلام) وعن بريدة، ومكحول، وأبي عمر بن الأشج، وهو عثمان بن عبد الله بن عوام البلوي، وعن ابن عباس، وأنس، والأصبغ بن نباتة، وجابر، وعمر بن علي، وأبي مرة الأسلمي: أن هذه الآية نزلت في علي (عليه السلام)، وقد روى ذلك أهل السنة والشيععة على حد سواء، فراجع^(١).

١- راجع هذه الروايات أو بعضها في المصادر التالية: مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٦٥ وجامع البيان ج ٢٩ ص ٣٥ و ٣٦ و مناقب الإمام أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان ج ١ ص ١٩٦ و ١٤٢ و ١٥٨ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤١٣ عن ابن أبي حاتم، والطبري. وفرائد السمطين ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٦٠ و ٣٨٠ وفي هامشه مصادر كثيرة جداً، وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٤٢٢ وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٧ وكنز العمال (ط الهند) ج ١٥ ص ١١٩ و ١٥٧ عن ابن عساكر، وأبي نعيم في المعرفة، وعن الضياء المقدسي في المختارة، وابن مردويه، وأسباب النزول ص ٣٣٩ والكشاف ج ٤ ص ٦٠٠ والعمدة لابن البطريق ص ٢٨٩ و ٢٩٠. وراجع: مجمع الزوائد ج ١ ص ١٣١ وإن كان قد حذف ذيل الحديث. والتفسير الكبير ج ٣٠ ص ١٠٧ وكفاية الطالب ص ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ ولباب التأويل (مطبوع مع جامع البيان) ج ٢٩ ص ٣١ وجامع الأحكام القرآن ج ١٨ ص ٢٦٤ ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج ٤٨ ص ٤٨ والبحر المحيظ ج ٨ ص ٣١٧ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٠٧ ولباب النقول ص ٢٢٥ وروح المعاني ج ٢٩ ص ٤٣ ونور الأبصار ج ٧٨ وينابيع المودة ص ١٢٠. وفتح الملك العلي ص ٢٢ و ٢٣ وشرح المقاصد ج ٥ ص ٢٩٧ و المناقب للخوارزمي ص ٢٨٢ = و ٢٨٣ ومحاضرات الأدباء ج ١ ص ٣٩ و ج ٤ ص ٤٤٧ ونظم درر السمطين ص ٩٢ وأهل البيت لتوفيق أبي علم ص ٢٢٥ و ٢٢٦ وخصائص الوحي المبين ص ١٥٤. ١٥٧. وكشف الغمة ج ١ ص ٣٢٢ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٣٤٥ و ٣٤٦ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٣٢٦. ٣٣١. وغاية المرام ص ٣٣٦ وأنساب الأشراف ج ٢ ص ١٢١ (بتحقيق المحمودي) وتفسير فرات ص ٥٠٠ و ٥٠١ وتفسير البرهان ج ٤ ص ٣٧٥ و ٣٧٦ وفضائل الخمسة ج ١ ص ٢٧٢. ٢٧٤. والدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٠ عن ابن عساكر، وابن النجار، وابن جرير، وابن مردويه وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وسعيد بن منصور، والواحدي، وأبي نعيم، وإحقاق الحق (قسم الملحقات) ج ٣ ص ١٤٧. ١٥٤. ج ١٤ ص ٢٢٠ و ٢٤١ و ج ٢٠ ص ٩٢ و ٩٧ عن أكثر من تقدم وعن المصادر التالية: شرح نوح البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٣١٩ و ج ٢ ص ٢٦٣ وإعراب ثلاثين سورة ص ١٠٣ و مناقب مرتضوي ص ٣٦ والكواكب الدرية للمناوي ص ٣٩ والذريعة (للاغب) ص ٩٢ وتوضيح الدلائل (مخطوط) ص ١٦٩ و ٢١٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٤٢٣ و ج ٣٦ ص ٧٧ وعن لسان الميزان ج ٦ ص ٣٧٦ وسعد السعود ص ١٠٨ وما نزل من القرآن في علي (لأبي نعيم) ص ٢٦٦ و ٢٨٦ ومنال الطالب ص ٨٥ وغاية المرام في رجال البخاري إلى سيد الأنام ص ٧٢ ونهاية البيان في تفسير البرهان ج ٨ ص ٤٠ والإمام المهاجر ص ١٥٨ ومطالب السؤل ص ٢٠ والكشف والبيان (مخطوط) ومفتاح النجا (مخطوط) ص ٤٠ و ٤١ وأرجح المطالب ص ١٦١ و ١٦٠ و ٦٣ والإربعين للسيد عطاء الله (مخطوط) = = ص ٢٧ وطبقات المالكية ج ٢ ص ٧٢ وشرح ديوان أمير المؤمنين للمبيدي (مخطوط) ص ١٨٠ والمختار في مناقب الأخيار (مخطوط) ص ٣ والروض الأزهر ص ١٠٨ والكاف الشاف ص ١٧٧ ومعتك الأقران في إعجاز القرآن ج ٢ ص ٣٦ ووسيلة النجاة ص ١٣٦ و ١٥٦ والتعريف والإعلام (مخطوط) ص ٦٧ و مناقب علي للعيني ص ٥٥ وسمط النجوم ج ٢ ص ٥٠٤ وزين الفتى (مخطوط) ص ٦٠٥ وجمع الجوامع ج ٢ ص ٣٠٨ وتفسير الثعلبي (مخطوط) ص ٢٠١.

بل في شرح المواقف: أكثر المفسرين على أنه علي^(١).

الشانئون والحاقدون:

قال الحلبي الشافعي: "وذكر بعض الرافضة: أن قوله تعالى: (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) جاء في الحديث: أنها

نزلت في علي كرم الله وجهه.

قال الإمام ابن تيمية: وهذا حديث موضوع باتفاق أهل العلم. أي

١ - شرح المواقف ج ٨ ص ٣٧٠.

وعلى تقدير صحته لا مانع من التعدد"^(١).

ونقول:

- ١ . تقدم آنفاً: أن حديث نزول هذه الآية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مروى عند أهل السنة، وبطرقهم، أكثر مما هو مروى عند الشيعة. والمصادر المتقدمة، وشخصيات الرواة توضح ذلك. بل إن بعض الرواة لم يكونوا في خط علي (عليه السلام)، ولا من أنصاره.
- ٢ . قد عرفنا: أن أصل تصدي زيد لابن أبي مشكوك فيه.
- ٣ . إن سياق الآيات لا ينسجم مع قضية زيد.
- ٤ . إن سورة الحاقة قد نزلت قبل الهجرة.
- إلا أن يدعى: أن هذه الآية مما تكرر نزوله.
- ولكنها دعوى: تحتاج إلى شاهد، بل الشواهد المذكورة آنفاً على خلافها.
- ٥ . أضف إلى ذلك: أن هذه الدعوى لا تتناقى مع حديث نزولها في علي (عليه السلام) قبل الهجرة، أو بعدها.

- ٦ . لم يذكر لنا التاريخ أيّاً من أهل العلم قال: إن هذا الحديث موضوع، فضلاً عن أن يكون أهل العلم قد اتفقوا على ذلك. وهذه هي الكتب والموسوعات متداولة بين أيدي جميع الناس، فليراجعها من أراد.

١ - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٩١ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٠٣.

ذكر علي (عليه السلام) في حديث الإفك:

وتزعم عائشة أن ثمة مَنْ قَرَفَهَا بالفاحشة، فنزلت الآية التي في سورة النور لتبرئتها، وهي قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ..)** ^(١) وتستمر اثنتي عشرة آية..

وزعمت: أن ذلك كان حين الرجوع من غزوة المريسيع، حيث أضاعت عقدها، وتحلفت تبحث عنه، فسار الجيش، وحمل الموكلون هودجها، ولم يشعروا بأنها ليست فيه، فوجدها صفوان بن المعطل، فأتى بها إلى المدينة، فاتهمها المنافقون به.

فاستشار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وأسامة بن زيد في أمرها، فأشار عليه أسامة بما يعلم من براءة أهله، أما علي فأشار بطلاقها، وأن يسأل جاريتها بريرة عن أمرها ^(٢).

١- الآية ١١ من سورة النور.

٢- صحيح البخاري (ط سنة ١٣٠٩) ج ٣ ص ١٠٦. ١٠٨. ٢٥. ٢٧. ٤٤ ص ٧٤ و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٥٥. ٥٧. ٦٠. ٧٠. ٥ ص ٨٠. ١٦٣ والدر المنثور ج ٥ ص ٢٨ و ٢٩ عن ابن مردويه والطبراني. وراجع: صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٨ ص ١١٢. ١١٥. وفتح الباري ج ٨ ص ٣٤٥ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٣ ص ١١١. ١١٨. ١٢٥. ١٢٩. ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٠. ٢٣٦ و ٢٣٠ والجمل ص ١٥٧ و ١٥٨ و ٤١٢ و ٤٢٦ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٠٥ و ج ١٩ ص ٨١ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤١٠. ٤١٥. ومسند ابن راهويه ج ٢ ص ٥١٦. ٥٢٥. والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٢٩٥. ٢٩٧. و ج ٦ ص ٤١٥. ٤١٧. ومسند أبي يعلى ج ٨ ص ٣٢٧. ٣٤٣.

وعن عائشة وعلي: أن النبي (ﷺ) قال لعلي عن بريرة: فتولّ أنت يا علي تقريرها، تقول عائشة: فقطع لها علي (عليه السلام) عسباً من النخل، وخلا بها يسألها عني، ويتهددها ويهيبها، لا جرم إني لا أحب علياً أبداً^(٦).

وقال الفخر الرازي: لما تكلم الناس بالإفك دخل علي (عليه السلام) على النبي (ﷺ): "فاستشاره، فقال: يا رسول الله، كنا نصلي خلفك فخلعت نعليك في أثناء الصلاة فخلعنا نعالنا، فلما أتممت الصلاة سألتنا عن سبب الخلع، فقلنا الموافقة.

فقلت: أمرني جبرائيل بإخراجها لعدم طهارتها.

فلما أخبرك أن علي نعلك قدراً، وأمرك بإخراج النعل من رجلك، بسبب ما التصق من القدر، فكيف لا يأمرك بإخراجها بتقدير أن تكون متلطخة بشيء من الفواحش؟! وفي المشكاة عن أبي سعيد مثله.

قال الحلبي: ويحتاج أئمتنا إلى الجواب عن خلع إحدى نعليه في أثناء

١- الجمل لابن شدقم (ط سنة ١٤٢٠هـ) ص ٢٠. ٢٥. والجمل للمفيد ص ٨٢ وراجع: المعجم الكبير ج ٢٣ ص ١١١. ١١٧. ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٣٦.

الصلاة، لنجاسة بها، واستمر في الصلاة^(١).

ونقول:

لا ريب في أن حديث الإفك الذي ترويه عائشة غير صحيح، وإن ورد في كتب الصحاح المعتمدة عند فريق من المسلمين، بل حتى وإن أوردته بعض علماء الشيعة في كتبهم، مصرحين بالإعتماد عليه، أو مستدلين به.. وقد ذكرنا عشرات الأدلة على بطلانه في كتابنا: "حديث الإفك"، الذي أوردنا معظمه مع بعض التقليل والتطعيم في الجزء الثالث عشر من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ).. فنحن نحيل القارئ الكريم على أحد الكتابين المشار إليهما، غير أننا نشير بإيجاز إلى بعض ما يرتبط بما نسبوه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام).. فنقول:

أولاً: إن ملاحظة الروايات تظهر في كلامهم تناقضات كثيرة، نذكر منها:

١ - رواية تقول: إن علياً (عليه السلام) أشار بطلاق عائشة.

وأخرى تقول: إنه أشار ببراءتها، ولا تذكر عن الطلاق شيئاً، فراجع.

٢ - رواية تقول: إنه (عليه السلام) أشار بسؤال بريرة خادمته.

وأخرى تقول: إن المشير بذلك هو أسامة بن زيد، أما علي فأشار

١ - راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٧٦ و ٤٧٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٠٦ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٢٥.

١- راجع على سبيل المثال: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٣٠ والجمل لابن شدقم ص ٢٥ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣١٢ ومسند أحمد ج ٦ ص ١٩٦ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٣ ص ١٥٥ وج ٥ ص ٥٧ وج ٦ ص ٧ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٨ ص ١١٥ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٣٣ و ٢٣٨ وعمدة القاري ج ١٣ ص ٢٢٥ وج ١٧ ص ٢٠٥ وج ١٩ ص ٨١ والديباج على مسلم ج ٦ ص ١٢٢ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤١٥ ومسند ابن راهويه ج ٢ = ص ٥٢١ والسنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٤٩٥ وج ٥ ص ٢٩٧ وج ٦ ص ٤١٧ ومسند أبي يعلى ج ٨ ص ٣٢٧ و ٣٤٣ وصحيح ابن حبان ج ١٠ ص ١٧ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٣ ص ٥٣ و ٥٨ و ٦٣ و ٦٨ و ٧١ و ٧٦ و ٨٠ و ٨٥ و ٩٠ و ٩٤ و ٩٩ و ١١٣ و ١٢٧ ومسند الشاميين ج ٣ ص ٣٣٤ والكفاية في علم الرواية ص ٥٨ والدر المنثور ج ٥ ص ٢٥ و ٢٩ وجامع البيان ج ١٨ ص ١٢١ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٨ ص ٢٥٤١ وتفسير السمرقندي ج ٢ ص ٥٠٠ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٣٦٠ والتفسير الكبير ج ٢٣ ص ١٧٥ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٢٨٠ وتفسير الثعلبي ج ٧ ص ٧٤ وأسباب نزول الآيات ص ٢١٥ وتفسير البغوي ج ٣ ص ٣٢٩ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ١٥٥ و (ط دار الكتب العلمية) ص ١٤١ وتفسير الألوسي ج ١٨ ص ١١٢.

وراجع: الثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٩١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥ ص ١٢٣ وج ٢٩ ص ٣٣٣ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٥٦ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ٣١٤ و ٣٣٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٦٧ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٩٧ وتفسير السمعاني ج ٣ ص ٥٠٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٢٧٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ١٨٥ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٣ ص ٧٦٧.

٣ - رواية تقول: إنه (ﷺ) فوض علياً (عليه السلام) تقرير الجارية، فخلا بها وقررها..
وأخرى تقول: إنه (عليه السلام) هو والني معاً، خليا بجاريتها، يسألانها عنها^(١).
وثالثة تذكر: أنه (ﷺ) هو الذي سأل بريرة، فبرأتها.
٤ - رواية تقول: إنه (ﷺ) كان إذا أراد أن يستشير في أمر أهله، لم يعد علياً وأسامة..
وغيرها يقول: إنه (ﷺ) استشار أيضاً زيد بن ثابت، وعمر، وعثمان، وأم أيمن..
ثانياً: إن بريرة لم تكن في غزوة المريسيع، فكيف يشير علي (عليه السلام) بسؤالها، ويرضى النبي بتقريرها عن أمر
قد غابت عنه..

وحتى لو كانت مع عائشة في المريسيع، فإنها لم تكن معها حين وجدها

١ - الجمل للمفيد ص ٤٢٦ و (ط مكتبة الداوري - قم) ص ٨٢.

ابن المعطل في الصحراء، وجاء بها إلى المدينة..

ثالثاً: لماذا يضرب علي (عليه السلام) الجارية ضرباً شديداً^(١)، وهي لم ترتكب ذنباً، بل لمجرد أن تقر بأمر يرتبط بغيرها، لم يكن لديهم أي شاهد على حصوله؟! مع أن النبي (ﷺ) قد حرم التوسل بالتخويف، والضرب لانتزاع إقرار الناس على غيرهم، فأية قيمة لإقرارها حتى لو حصل؟! وهل يؤخذ بإقرار الشاهد تحت التهديد والضرب؟!..

ولماذا لم يقرر عائشة نفسها، ويستعمل معها التهديد وسواه؟!..

رابعاً: لنفترض: أنها - والعياذ بالله - اتهمت سيدتها بشيء، فهل يستطيع النبي (ﷺ) أن يرتب الأثر على اتهامها لها، مع علمه بعدم حضورها في تلك الغزوة أصلاً..

بل إنها حتى لو حضرت، وفرضنا أن الشهادة مقبولة حتى لو انتزعت بالضرب والتهديد، فما هي الفائدة من شهادتها، وهي امرأة، وهي شاهد واحد؟! ويحتاج الأمر إلى أربعة شهود؟! ولا تقبل شهادة النساء منفردات، أو شهادة امرأتين بمثابة شهادة رجل واحد.

يضاف إلى ذلك: إن شهادة الأربعة لا بد أن تكون عن حضور، ومشاهدة، والأمر هنا ليس كذلك.

خامساً: إن حديث إخراج النعل في الصلاة لا يدل على أنه يشير على

١ - راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) هامش ٢ ج ٣ ص ٢٢٤ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ١٩٤.

النبي (ﷺ) بطلاق عائشة، بل هو على خلاف ذلك أدل، لأن المقصود بكلامه ليس هو إخراج عائشة من بيته بالطلاق. بل المقصود: أنها إن كانت قد أساءت، فإن الله تعالى لا بد أن يخبر نبيه بذلك، كما أخبره بنجاسة رجله في الصلاة، فإن هذا الأمر المتعلق بالعرض أهم من نجاسة الرجل.

يريدون الإساءة لعلي (عليه السلام):

والذي يظهر من متابعة النصوص: أن ثمة تعمداً للإساءة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، واتهامه بما هو منه بريء، فقد صرحت عائشة بقولها: "لا جرم لأحِب علياً أبداً.."^(١).

فهي تتهم علياً (عليه السلام) لتبرر بغضها له، مع أن النبي (ﷺ) قد ذم من يبغض علياً (عليه السلام)، فلماذا لا تطيع الله ورسوله في ذلك.

وقد كان بنو أمية، حتى الخلفاء منهم يسعون لتكريس هذا الإتهام الباطل الموجه له (عليه السلام)، وتسويقه، ودفع أعوانهم للإقرار به، وترويجه وإشاعته بين الناس.. ويدلنا على ذلك:

ألف: قول الزهري: إن الوليد بن عبد الملك قال له: الذي تولى كبره منهم، علي؟!!

قلت: لا. ولكن حدثني سعيد بن المسيب، وعروة، وعلقمة، وعبيد

١ - الجمل للمفيد (ط مكتبة الداوري . قم) ص ٨٢ والجمل لابن شدقم ص ٢٥.

الله، كلهم عن عائشة، قالت: الذي تولى كبره عبد الله بن أبي^(١).

زاد في الدر المنثور: "فقال لي: ما كان جرمه؟!"

قلت: حدثني شيخان من قومك: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: أنهما سمعا عائشة تقول: كان مسيئاً في أمري^(٢).

وفي حلية أبي نعيم، من طريق ابن عيينة، عن الزهري: كنت عند الوليد بن عبد الملك، فتلا هذه الآية: **(..وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**^(٣)، فقال: نزلت في علي بن أبي طالب.

قال الزهري: أصلح الله الأمير، ليس الأمر كذلك، أخبرني عروة، عن عائشة.

قال: وكيف أخبرك؟!

قلت: أخبرني عروة عن عائشة، أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول^(٤).

ولابن مردويه من وجه آخر، عن الزهري: كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالي، وهو يقرأ سورة النور مستلقياً، فلما بلغ هذه الآية:

١ - فتح الباري ج ٧ ص ٣٣٦ وقد تقدم نقله عن البخاري، في أوائل هذا البحث.

٢ - الدر المنثور ج ٥ ص ٣٢ عن البخاري، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي، وستأتي مصادر أخرى.

٣ - الآية ١١ من سورة النور.

٤ - فتح الباري ج ٧ ص ٣٣٦.

(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ..) حتى بلغ: (..وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ) جلس.

ثم قال: يا أبا بكر، من الذي تولى كبره منهم؟ أليس علي بن أبي طالب؟! قال: فقلت في نفسي: ماذا أقول؟ لمن قلت لا، لقد خشيت أن ألقى منه شراً، ولئن قلت: نعم، لقد جئت بأمر عظيم.

قلت في نفسي: لقد عودني الله في الصدق خيراً.

قلت: لا.

قال: فضرب بقضيبه على السرير، ثم قال: فمن؟! فمن؟! حتى ردد ذلك مراراً.

قلت: لكنه عبد الله بن أبي^(١).

ب - وأخرج يعقوب بن شيبه في مسنده، عن الحسن بن علي الحلواني، عن الشافعي، قال: حدثنا عمي،

قال: دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك، فقال له: يا سليمان، الذي تولى كبره من هو؟!

قال: عبد الله بن أبي.

١ - فتح الباري ج ٧ ص ٣٣٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٠٢ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦١٩ والمعجم الكبير ج ٢٣ ص ٩٧ ومناقب

علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ٧٩.

قال: كذبت، هو علي.

قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول.

فدخل الزهري فقال: يا ابن شهاب من الذي تولى كبره؟!

قال: ابن أبي.

قال: كذبت، هو علي.

فقال: أنا أكذب لا أبا لك. والله لو نادى مناد من السماء: أن الله أحل الكذب لما كذبت.. حدثني

عروة، وسعيد، وعبيد الله، وعلقمة، عن عائشة: أن الذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي.

فذكر قصته مع هشام.

وجاء في آخرها قول هشام: نحن هيئنا الشيخ، أو ما بمعناه. وأمر فقضى عنه ألف درهم^(١).

فالوليد بن عبد الملك إذن، وكذلك هشام بن عبد الملك يريدان تأكيد هذه الفرية على أمير المؤمنين

(عائشة)، إلى درجة أنهم قد افتروا عليه: أنه هو الذي تولى كبر الإفك.

١- فتح الباري ج ٤ ص ١٥ و ج ٧ ص ٣٣٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ وسير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٢٩ والدر المنثور

ج ٥ ص ٣٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٥ ص ٣٧١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٨ ص ٢٤٥ والوفيات ج ٥ ص ١٨.

كما أن عائشة ذكرت: أن علياً (عليه السلام) كان مسيئاً في شأنها، كما تقدم في الرواية التي ذكرها البخاري .
حسب رواية النسفي وغيره عنه ^(١) .

غير أن العسقلاني قال: ذكر عياض: أن النسفي رواه عن البخاري بلفظ مسيئاً، قال: وكذلك رواه أبو علي بن السكن، عن الفربري، وقال الأصيلي بعد أن رواه بلفظ مسلماً: كذا قرأناه، ولا أعرف غيره ^(٢) .
وكذلك نقله في الدر المنثور، عن البخاري كما تقدم، وعن ابن المنذر، والطبراني وابن مردويه، والبيهقي .
ورواه عبد الرزاق أيضاً بلفظ "مسيئاً"، وكذلك أخرجه الإسماعيلي، وأبو نعيم في المستخرجين .
ويقوي الرواية التي فيها: "مسيئاً" ما في رواية ابن مردويه بلفظ: إن علياً أساء في شأني، والله يغفر له .
انتهى ^(٣) .

١ - صحيح البخاري (مطبوع بهامش فتح الباري) ج ٧ ص ٣٣٦ و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٦٠، وليراجع إرشاد الساري ج ٦ ص ٣٤٣ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٣٦ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٠٩ والدر المنثور ج ٥ ص ٣٢ عن البخاري وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي والجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ١٩٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٢٧٨ .
٢ - راجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣٣٦ وإرشاد الساري ج ٦ ص ٣٤٣ .
٣ - المصدر السابق .

وقال العسقلاني أيضاً: إن عائشة قد نسبت علياً إلى الإساءة في شأنها^(١).
وذلك كله يشير إلى: أن رواية البخاري قد حرفت من قبل النساخ على كل حال.. ونحن نستقرب أن
كلمة "مسلماً" حرفت فصارت "مسيئاً" للتقليل من بشاعة هذا الأمر، وفضاعته، وحفاظاً على عائشة،
والوليد، والزهري، ومن لف لفهم.

وأيضاً حفاظاً على كرامة البخاري نفسه، إذ ليس من السهل تكذيب القرآن من خلال توجيه هذه
الفرية لعلي، الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً.. وهو مع الحق، والحق معه يدور معه حيث دار.
واللافت هنا: أنهم في حين يصرون على تأكيد الفرية على أمير المؤمنين (عليه السلام) فإنهم لا يجروون على
القول: بأن علياً (عليه السلام) قد جلد أيضاً، بل يقولون بكل وضوح وإصرار: إن علياً (عليه السلام) لم يجلده مع من
جلد، ولم يحده النبي معهم بالاتفاق!! رغم أن عائشة، والوليد، وهشاماً يصرون على نسبة الإساءة إليه،
وعلى أنه ممن قذفها، وعلى أنه تولى كبره في ذلك!! نعوذ بالله؟!!

فلماذا عفا عنه النبي (ﷺ) إذن؟!

وهل للنبي (ﷺ) أن يعفو عن حد من حدود الله؟! حتى لو كان مستحقه هو صهره وابن عمه!! وماذا
سيقول الناس عنه لو

١ - فتح الباري ج ٧ ص ٣٥٧.

فعل ذلك؟!

وقد لاحظنا: أن عائشة كانت في غاية اللطف مع أسامة، الذي كانت له مشكلة مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان أبوها تحت أمرته، حين وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، مع أنه لم يزد على إظهار عدم علمه بشيء من أمرها.

ولكنها كانت في غاية القسوة على علي (عليه السلام)، الذي حاربه وأبغضته، ولم تكن تستطيع أن تذكره بخير أبداً، كما يقول ابن عباس^(١).

هذا مع سعيها للإيحاء بأن أسامة قد أشار بما يعلم، لكن علياً (عليه السلام) أشار بغير ما يعلم مع أن الإشارة بطلاقها أو بتقرير بريرة. لو فرضنا صحتها. لا تدل على شيء من ذلك..

١- راجع: مسند أحمد بن حنبل ج ٦ ص ٢٨٨ و ٣٨ والجمل للمفيد (ط سنة ١٤١٣هـ) ص ١٥٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٣ والإحسان ج ٨ ص ١٩٨ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٥٦ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط = سنة ١٤٠٥هـ) ج ٢ ص ٢٣١ و ٢٣٢. وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر سنة ١٤٠١هـ) ج ١ ص ١٦٢ وصحيح مسلم (بشرح النووي) ج ٤ ص ١٣٨ و ١٣٩ والصوارم المهركة ص ١٠٥ والإرشاد للمفيد ص ١٩٤ وتاريخ الأمم والملوك (ط ليدن) ج ١ ص ١٨٠١ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٧٥.

ولأجل ذلك استجاز العقاد وابن أبي الحديد أن يخففا من بشاعة ما ارتكبتها عائشة، حين شنت حرباً قتل فيها المئات والألوف من أهل الإسلام.. من حيث إن السبب هو هذا الحقد الذي كان علي نفسه هو السبب في نشوئه..

وكأن الحقد الأعمى وبغير حق يخفف الذنوب!! وهل خفف حقد اليهود والذين أشركوا على المؤمنين من بشاعة ما ارتكبه في حق النبي وأهل الإيمان؟! أم أن المفروض: هو أن يقتلعوا هذا الحقد الذي لا مبرر له من صدورهم، وكان هذا هو المفروض بكل من يعادي علياً وغيره من أهل الإيمان!!
علي من كان الإفك؟!:

قال القمي: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال، قال: حدثني عبد الله بن بكير عن زرارة، قال:

سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: لما مات إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حزن عليه حزناً شديداً، فقالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟! فما هو إلا ابن جريح.

فبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) وأمره بقتله، فذهب علي (عليه السلام) ومعه السيف، وكان جريح القبطي في حائط، فضرب علي (عليه السلام) باب البستان، فأقبل جريح، ليفتح له الباب، فلما رأى علياً (عليه السلام)، عرف في وجهه الغضب، فأدبر راجعاً، ولم يفتح الباب.

فوثب علي (عليه السلام) على الحائط، ونزل إلى البستان، واتبعه. وولى جريح مدبراً، فلما خشي أن يرهقه صعد في نخلة، وصعد علي في أثره، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة، فبدت عورته، فإذا ليس له ما للرجال، ولا ما للنساء.

فانصرف علي (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول الله، إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالمسماز المحمي في الوبر، أم أثبت؟! قال: لا بل اثبت.

فقال: والذي بعثك بالحق ما له ما للرجال، ولا ما للنساء.

فقال: الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت..^(١).

مع تحفظنا على ما ذكر أخيراً من أن علياً بعد أن عرف أن جريحاً محبوب عاد إلى النبي وسأله إن كان تكليفه الثبت أم لا مع أن الصحيح والمناسب هو أن علياً (عليه السلام) سأل هذا السؤال قبل أن يذهب إلى جريح.

أما بالنسبة لنظر علي (عليه السلام) إلى عورة جريح فلعله وقع إتفاقاً

١- تفسير القمي ج ٢ ص ٩٩ و ١٠٠ و ٣١٨ و ٣١٩ وتفسير البرهان ج ٣ = ص ١٢٦ و ١٢٧ و ج ٤ ص ٢٠٥ ونور الثقلين ج ٣ ص ٥٨١ و ٥٨٢ عنه، وتفسير الميزان ج ٥ ص ١٠٣ و ١٠٤ وفي تفسير القمي والبرهان في سورة الحجرات: أن آية: (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) نزلت في هذه المناسبة، وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٥٥.

كما في الرواية، ولعله إنما جوز لنفسه النظر إلى موضع القدرة لعلمه مسبقاً بأنه محبوب، وكان يعرف غاية وموجبات وأهداف هذا الأمر الصادر من رسول الله (ﷺ).

وعنه في رواية عبد الله بن موسى، عن أحمد بن راشد، عن مروان بن مسلم، عن عبد الله بن بكير، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام):

جعلت فداك، كان رسول الله (ﷺ) أمر بقتل القبطي، وقد علم أنها كذبت عليه؟! أوم يعلم؟! وقد دفع الله عن القبطي القتل بتثبيت علي (عليه السلام)؟

فقال: بل كان والله يعلم، ولو كان عزيمة من رسول الله (ﷺ) ما انصرف علي (عليه السلام) حتى يقتله، ولكن إنما فعل رسول الله (ﷺ) لترجع عن ذنبها، فما رجعت، ولا اشتد عليها قتل رجل مسلم^(١). وفي نص آخر يقرب من النص الذي ذكره القمي يقول: إنه وجده عند مارية^(٢).

١- تفسير الميزان ج ١٥ ص ١٠٤ وتفسير البرهان ج ٣ ص ١٢٧ وج ٤ ص ٢٠٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣١٩ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٥٤.

٢- أمالي السيد المرتضى ج ١ ص ٧٧ وصفة الصفوة ج ٢ ص ٧٨ و ٧٩ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٤ وقال: إسناد رجاله ثقات، عن الإمام أحمد، وكشف الأستار عن مسند البزار ج ٢ ص ١٨٨ و ١٨٩ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٣٢٩ وقال: رواه البزار وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس ولكنه ثقة، وبقية رجاله ثقات، وقد أخرجه الضياء في أحاديثه المختارة على الصحيح. وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٦٧ و ١٦٨.

وقد ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الأمر في مناشدته لأهل الشورى، وفيه: أنه (صلى الله عليه وآله) أمره بالتثبت قبل أن يذهب في أثر ابن جريح^(١).

وروى أهل السنة هذه القضية في كتب صحاحهم وغيرها.. وقد ذكرنا طائفة من نصوصهم في كتابنا: حديث الإفك، وهي التالية:

١ - روى مسلم وغيره، والنص لمسلم، عن أنس: أن رجلاً كان يتهم بأم ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي: اذهب، فاضرب عنقه، فأثاه علي، فإذا هو في ركي^(٢) يتبرد فيها. فقال له علي: اخرج، فناوله يده، فأخرجه، فإذا هو محبوب، ليس له ذكر، فكف علي عنه. ثم أتى النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: يا رسول الله، إنه محبوب ما له ذكر^(٣).

١- راجع: تفسير البرهان ج ٣ ص ١٢٧ عن ابن بابويه، والحصل ج ٢ ص ١٢٠ و ١٢٦ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٥٤.

٢- الركي: البئر.

٣- صحيح مسلم (ط مشكول، وط دار الفكر) ج ٨ ص ١١٩ والمستدرک للحاكم ج ٤ ص ٣٩ و ٤٠ وتلخيصه للذهبي، نفس الصفحة وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٣ والمحلّى ج ١١ ص ٤١٣ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٤١١ و ٤١٢ و (ط دار الجيل) ج ٤ ص ١٩١٢ والإصابة ج ٣ ص ٣٣٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٥ ص ٥١٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٤٣١. وليراجع: أسد الغابة ج ٥ ص ٥٤٢ و ٥٤٤ و ج ٤ ص ٢٦٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣١٣ والديباج على مسلم ج ٦ ص ١٣٣.

٢ . عن أنس بن مالك، قال: كانت أم إبراهيم سرية للنبي (ﷺ) في مشربتها، وكان قبطي يأوي إليها، ويأتيها بالماء والحطب، فقال الناس في ذلك: عالج يدخل على علجة.
فبلغ ذلك رسول الله (ﷺ)، فأرسل علي بن أبي طالب، فوجده على نخلة، فلما رأى السيف وقع في نفسه، فألقى الكساء الذي كان عليه، وتكشف، فإذا هو محبوب.
فرجع علي إلى النبي (ﷺ) فأخبره فقال: يا رسول الله، أرايت إذا أمرت أحدنا بالأمر ثم رأى في غير ذلك، أيراجعك؟!
قال: نعم. فأخبره بما رأى من القبطي.
قال: وولدت مارية إبراهيم، فجاء جبرائيل (عليه السلام) إلى النبي (ﷺ) فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم، فاطمأن رسول الله إلى ذلك" (١).

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٥٤ و ١٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٨ ص ٢١٤ والمعجم الأوسط ج ٤ ص ٨٩ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦١ عن الطبراني في الأوسط، وراجع: الأحاد والمثاني ج ٥ ص ٤٤٨ و ٤٤٩ وفيض القدير ج ٣ ص ٣٢٣ والإصابة ج ١ ص ٣١٨ وفتوح مصر وأخبارها ص ١٢١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ٣٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ٣٢٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦٠٣ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢١.

وفي رواية أخرى مثل ذلك، غير أنه قال: "خرج علي، فلقى على رأسه قربة مستعدباً لها من الماء، فلما رآه علي شهر السيف، وعمد له، فلما رآه القبطي طرح القربة، ورقى في نخلة وتعرى، فإذا هو محبوب. فأغمد علي سيفه، ثم رجع إلى النبي (ﷺ)، فأخبره الخبر، فقال رسول الله (ﷺ): أصبت، إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب"^(١).

"وروى الواقدي في إسناده قال: كان الخصي الذي بعث به المقوقس مع مارية، يدخل إليها ويحدثها، فتكلم بعض المنافقين في ذلك وقال: إنه غير محبوب، وأنه يقع عليها، فبعث رسول الله (ﷺ) علي بن أبي طالب، وأمره أن يأتيه، ويقرره، وينظر في ما قيل فيه، فإن كان حقاً قتله، فطلبه علي، فوجده فوق نخلة، فلما رأى علياً يؤمه أحس بالشر، فألقى إزاره، فإذا هو محبوب ممسوح.

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٥٥ و (ط دار صادر) ج ٨ ص ٢١٥.

وقال بعض الرواة: إنه ألفاه يصلح خباء له، فلما دنا منه ألقى إزاره وقام متجرداً. فجاء به علي إلى رسول الله (ﷺ) فأراه إياه، فحمد الله على تكذيبه المنافقين بما أظهر من براءة الخصي، واطمأن قلبه" (١).

٣. في مستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي والنص له: عن عائشة قالت: "أهديت مارية ومعها ابن عم لها، فقال أهل الإفك والزور: من حاجته إلى الولد ادعى ولد غيره.

قالت: فدخل النبي (ﷺ) بإبراهيم عليّ فقال: كيف ترين؟! قلت: من غذي بلبن الضأن يحسن لحمه.

قال: ولا الشبهه؟! قالت: فحملتني الغيرة.

فقلت: ما أرى شبيهاً.

قالت: وبلغ رسول الله (ﷺ) ما يقول الناس، فقال لعلي: خذ هذا السيف، فانطلق فاضرب عنق ابن عم مارية.

فانطلق، فإذا هو في حائط على نخلة يجترق، فلما نظر إلى علي، ومعه السيف استقبلته رعدة، فسقطت الخرقه، فإذا هو ممسوح" (٢).

١ - أنساب الأشراف ج ١ ص ٤٥٠ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٠٣.

٢ - المستدرك للحاكم ج ٤ ص ٣٩ وتلخيصه للذهبي، هامش نفس الصفحة. وراجع: الإصابة ج ٥ ص ٥١٩ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٦٨.

وفي نص آخر: فجاء به يحمل على عنقه، فقال: يا عائشة، كيف تري الشبه؟
فقلت . أنا غيرى . : ما أرى شبهاً^(١) .

فقال: ولا باللحم؟!!

فقلت: لعمرى، لمن تغذى بألبان الضأن ليحسن لحمه .

قال: فجزعت عائشة وحفصة من ذلك، فعاتبته حفصة، فحرّمها، وأسرّ إليها سرّاً، فأفشته إلى عائشة،

فنزلت آية التحريم، فأعتق رسول الله (ﷺ) رقبة^(٢) .

وفي نص آخر أنه قال: ألا ترين إلى بياضه ولحمه؟!!

فقلت: من قصرت عليه اللقاح أبيض وسمن^(٣) .

١- الظاهر أن الصحيح: فقلت . وأنا غيرى .: ما أرى شبهاً . كما يعلم من سائر المصادر .

٢- الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٠ عن ابن مردويه . وراجع: الأحاد والمثاني ج ٥ ص ٤٤٨ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٢٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦٠٣ .

٣- تقدم هذا النص عن الحاكم في المستدرک، والذهبي في تلخيصه، والسيوطي عن = ابن مردويه .

ونزيد هنا: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٨ و (ط دار صادر) ج ١ ص ١٣٧ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٥ وقاموس الرجال ج ١١ ص ٣٠٥ عن البلاذري وأنساب الأشراف ج ١ ص ٤٥٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٩ من دون الفقرة الأخيرة من كلامها، وتاريخ يعقوبي (ط دار صادر) ج ٢ ص ٨٧ مع حذف كلمة "ما" من قولها: "ما أرى شبهاً" لكن المقصود معلوم من اعتراضه (ﷺ) . وقد تكون قد قالت ذلك على سبيل السخرية أو الاستفهام الإنكاري . وراجع: قاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٠٢ و ٣٤٣ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ٣٣٦ .

ولا نريد التعليق على ما ورد في هذه النصوص، ولا سيما ما دل منها على أن النبي (ﷺ) لم يطمئن لأمر إبراهيم حتى سلم عليه جبرئيل بقوله: السلام عليك يا أبا إبراهيم. فإن المفروض: أن عائشة ادعت فيه ما ادعت بعد ذلك أيضاً. كما أن النبي (ﷺ) لم يكن شاكاً في أمر ولده أبداً، بل كان على يقين ببراءة مارية، ولكنه كان يريد إظهار كذب من قرفها بالفاحشة..

ونكتفي بهذا القدر هنا ونعطف الحديث إلى سائر ما يرتبط بسيرة علي (عليه السلام).
ولكن يبقى أمر يحتاج إلى المعالجة هنا. وهو أن هناك اختلافاً بين الروايات.. فهل تعدد قذف مارية، فتعددت آليات البراءة؟! أو أن الاتهام كان واحداً لكن التبرئة قد تعددت أمام العديد من الفرقاء؟! أو أن هذه الإختلافات متعمدة لأجل إثارة الشبهة حول صحة الحديث؟!

علي (عليه السلام) في سرية حسمي:

ويقولون: إن النبي (ﷺ) أرسل زيد بن حارثة إلى حسمي . وهو وادٍ في ذات القرى . وذلك بعد أن أخذ رجل منهم اسمه

الهنيد، وابنه وناس من جذام طريق دحية الكلبي، وسلبوه ما معه.
فأخبر دحية النبي (ﷺ)، فأرسل إليهم سريةً عليها زيد بن حارثة، فأغاروا عليهم، فقتلوا منهم رجلين،
وقتلوا الهنيد وابنه، وأخذ ابلهم وشاءهم، ومئة من النساء والصبيان.
فشكا الجذاميون ذلك إلى رسول الله (ﷺ)، وقالوا: إنهم مسلمون.
فأراد أن يرسل علياً (عليه السلام) إلى زيد ليأمره برد ما أخذ منهم.
فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله إن زيداً لا يطيعني، فأعطاه سيفه علامة.
فخرج (عليه السلام)، فإذا رسول لزيد علي ناقة من ابلهم، أرسله زيد بشيراً، فأنزله علي عن الناقة، وردّها علي
القوم مع الجذاميين الذين كانوا قدموا المدينة لإنجاز هذه المهمة، وأردف علي (عليه السلام)، ذلك البشير خلفه.
فقال: يا علي، ما شأنني؟!
فقال: ما لهم، عرفوه، فأخذوه.
ثم ساروا، فلقوا الجيش، فطلب زيد من علي علامة.
فقال: هذا سيفه (عليه السلام)، فعرف زيد السيف، فرد عليهم

كل ما أخذ منهم^(١) .

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

١ . إنه (ﷺ) انتدب علينا هنا لإرجاع الحقوق إلى أصحابها، وانتدبه أيضاً لإرجاع الحقوق إلى بني جذيمة .. وانتدبه للمبيت على فراشه ليلة الهجرة، وانتدبه لتبليغ مشركي مكة سورة براءة، وانتدبه لقتل مرحب، وانتدبه لرد الكتائب يوم أحد، وانتدبه لمبارزة الوليد في بدر، وانتدبه لقتل ابن صياد وانتدبه .. و .. وقد أدى كل ما انتدبه له على أكمل وجه وأحسنه .
وانتدب غيره . وهو عمر بن الخطاب . لإبلاغ أهل مكة رسالته، فامتنع، بحجة أنه ليس له عشيرة تمنعه، وانتدبهم لمبارزة عمرو بن عبد ود، وضمن لهم على الله الجنة، فلم يستجيبوا ..
وانتدبهم لإجابة أبي سفيان في حرب أحد بأمور بعينها، فخالفوه فيها، وانتدبهم ليأتوه بكتف ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فلم يستجيبوا لطلبه، واتهموه بأنه يهجر .. وانتدبهم ليحلقوا رؤوسهم في الحديبية، فثاقلوا ولم يجيبوا طلبه إلا بعد لأي .. وانتدبهم لقتل ابن صياد،

١ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٩ و ١٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٧٩ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٨٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٨٨ و ٨٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٧٥ .

فلم يجد عندهم ما يجدي.. و.. و..

وقد فشلوا في سائر المهمات الكبرى التي أوكلت إليهم أيما فشل..

فهل جاء ذلك كله على سبيل الصدفة.. أم أن الأمور جرت وفق ما أراد محبوبهم إشاعته، والتسويق له؟!

٢ - إنه (عليه السلام) يلتزم بدقة في تنفيذ ما يأمره النبي به.. حتى أنه حين قال له في خير: إذهب ولا تلتفت.

وقف ولم يلتفت، وقال: علام أقاتل الناس!؟

قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله^(١)..

١ - راجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٩٣ والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٣٨٠ وإسناده صحيح، ومسند أحمد ج ٢ ص ٣٨٤ - ٣٨٥ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١ وسنن سعيد بن منصور ج ٢ ص ١٧٩ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٥٨ و ٥٩ و ٥٧ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٥٩ والغدير ج ١٠ ص ٢٠٢ و ج ٤ ص ٢٧٨ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٠٠ ومسند الطيالسي ص ٣٢٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١١٠ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ١٣٦ و ج ١٢ ص ٤٩٤ ومناقب أمير المؤمنين ج ٢ = ص ٥٠٣ والأمالى للطوسي ص ٣٨١ والعمدة ص ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٩ والطرائف ص ٥٩ وجمار الأنوار ج ٢١ ص ٢٧ و ج ٣٩ ص ١٠ و ١٢ والنص والإجتهد ص ١١١ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٦٦ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١١١ ورياض الصالحين ص ١٠٨ وكنز العمال ج ١ ص ٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٢ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج ١ ص ١٧٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٥ وينايع المودة ج ١ ص ١٥٤.

وهنا أيضاً نلاحظ: أنه (عليه السلام) ينتزع الناقة من رسول زيد، ويرد الرسول خلفه، ويسلمها إلى أصحابها، ولا يسمح بركوب ناقة صدر أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإرجاعها إلى أربابها ولو خطوات يسيرة.

٣ . قد ظن ذلك الرسول: أن أخذ الناقة منه، كان على سبيل العقوبة له، ولذلك قال: يا علي، ما شأني؟! .

فقال له علي (عليه السلام): ما هم، عرفوه، فأخذوه.. فليس لأحد الحق في أن يتصرف بمال غيره إلا بإذنه.. .
٤ . وأما قول علي (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله) إن زيدا لا يطبعني، فهو مدح وثناء على زيد، من حيث أنه هو الآخر يراعي قواعد الإنضباط في تنفيذ الأوامر النبوية الصادرة إليه، ولا يتعامل على أساس العلاقات الشخصية، حين يطلب منه القيام بمسؤوليات معينة.. حتى لو كان ذلك من علي (عليه السلام) نفسه، الذي يعلم زيد أنه نفس النبي (صلى الله عليه وآله)، لأن زيدا يرى أن الولاية الفعلية هي للنبي

(ﷺ) لا لعلي (عليه السلام) .. وكان يعلم أن علياً (عليه السلام) يتعامل معه وفق ما تقتضيه الحياة العادية للناس،
لا بالمعجزة والكرامة والغيب .

وكان النبي (ﷺ)، وكذلك علي (عليه السلام) يريد من الناس أن يلتزموا بهذا النهج، لكي لا تبقى أية ثغرة
يمكن أن يتسرب منها ما يفسد أو يعيق تنفيذ القرار النبوي .

ولم يكن زيد . من جهته . بالذي يجهل موقع علي (عليه السلام) من النبي (ﷺ) ومن هذا الدين .. ولكنه يريد
أن يُري الناس بصورة تطبيقية، كيف يلتزم المسؤول بحرفية البيانات والبلاغات الصادرة إليه من القيادة العليا،
وأنه لا مجال للمحاباة في هذا الأمر، ولا يصح الإعتماد على الإجتهدات الشخصية .

الذين يحاربون الله ورسوله:

روي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، قال: قدم على رسول الله (ﷺ) قوم من بني ضبة، مرضى .

فقال لهم رسول الله (ﷺ): أقيموا عندي، فإذا برئتم بعثتكم في سرية .

فقالوا: أخرجنا من المدينة .

فبعث بهم إلى إبل الصدقة، يشربون من أبوالها، ويأكلون من ألبانها،

فلما برئوا واشتدوا قتلوا ثلاثة ممن كان في الإبل.

فبلغ رسول الله (ﷺ) ذلك، فبعث إليهم علياً (عليه السلام)، فإذا هم في واد قد تحيروا فيه لا يقدر أن يخرجوا منه، قريباً من أرض اليمن، فأسرهم، وجاء بهم إلى رسول الله (ﷺ).. فنزلت هذه الآية: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (١).

فاختار رسول الله القطع، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف (٢).

بعث علي (عليه السلام) إلى بني سعد:

وفي شعبان سنة ست بعث (ﷺ) علياً (عليه السلام) في مئة رجل إلى بني سعد بن بكر بفدك التي كان بينها

وبين المدينة ست ليال.

١ - الآية ٣٣ من سورة المائدة.

٢ - راجع: نور الثقلين ج ١ ص ٦٢١ و ٦٢٢ والبرهان ج ١ ص ٤٦٥ و ٤٦٧ عن الكليني، والعياشي، وغيرهما. والكافي ج ٧ ص ٢٤٥ وكنز الدقائق ج ٤ ص ١٠٢ و ١٠٣ وتفسير العياشي ج ١ ص ٣١٤ وتفسير الصافي ج ٢ ص ٣١ وتهديب الأحكام ج ١٠ ص ١٣٥ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١٨ ص ٥٣٥ وميزان الحكمة ج ١٠ ص ٥٧٤ وتفسير الميزان ج ٥ ص ٣٣١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٩٧.

وسببه أنه بلغ النبي (ﷺ) أن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر، وأن يجعلوا لهم تمر خيبر. وفي الطريق أخذوا رجلاً هناك، فسألوه فأقر انه عين لبني سعد، وأنه مرسل من قبلهم ليهود خيبر، ليعرض عليهم نصرهم مقابل التمر، ثم دلمهم على موضع تجمعهم..

فهاجمهم (ﷺ) بمن معه، فهربوا بالظعن، وغنم المسلمون خمس مئة بغير وألفي شاة. فعزل (ﷺ) صفي المغنم لرسول الله (ﷺ)، وعزل الخمس، وقسم الباقي على السرية^(١). ونقول:

لا حاجة إلى بسط القول في دلالات هذا الحدث غير أننا نشير إلى ما يلي:

١ - إن الحرب الوقائية هي التدبير السديد، إذا توفرت شروطها، وقد كانت هذه السرية وقائية، استطاع (ﷺ) أن يورد ضررته في هؤلاء الأشرار قبل اكتمال استعدادهم، وقبل إحكام أمرهم، بل قبل أن يتمكنوا

١ - راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨٢ و ١٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٩٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٩٣ و ٣٧٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٩٠.

من إتمام الإتفاق مع من يريدون أن يعينوهم على رسول الله ..
وهذه الحرب الوقائية التي خاضها علي (عليه السلام) بأمر النبي (صلى الله عليه وآله) لها دلالاتها، ومن ذلك:
ألف: قوة جهاز جمع المعلومات عن الأعداء.
ب: دقة تلك المعلومات ..
ج: أنها قد وصلت في الوقت المناسب ..
د: أن المسلمين استطاعوا أن يفاجئوا عدوهم، وأن يصلوا إليه دون أن يشعر ..
هـ: قدرتهم على إبطال نشاطات جهاز استخبارات العدو، وشل حركته، وضربه في المواقع الحساسة منه ..
و: دلت على تمكنهم من الإسترشاد بعناصر استخبارات العدو أنفسهم، للحصول على معلومات ثمينة جداً وحساسة عن ذلك العدو ..
ز: أعطت هذه الحرب الوقائية المسلمين المزيد من الهيبة في المحيط الذي سوف يستقبل صدق هذه الضربة الموفقة .. وسيزيد في تردد الآخرين في الإقدام على أي عمل يسيء إلى علاقتهم بالمسلمين ..
ح: أنها ستزيد المؤمنين ثقة بأنفسهم، وتجربتهم على مواجهة أعدائهم ..
ط: تفتح أمامهم آفاقاً جديدة تتمازج فيها القوة والفتوة مع الفكر والتدبير، واجترار المفاجآت للعدو ..
٢- إن بني سعد.. يسعون إلى العدوان على الناس وقتلهم، وإنزال أشد البلاء فيهم، لا لذنب أتوه إليهم، ولا نصرة منهم لمظلوم، أو مناوأة

منهم لظالم.. ولا لأجل تأييد حق وإحقاقه، وإبطال باطل وإزهاقه.

وإنما مجرد الطمع في الدنيا!! ويا ليتته كان طمعاً بشيء ذي بال، تحفوا إليه النفوس، كالحصول على الملك والجاه العريض، وقيادة العساكر، والدساكر، والأمر والنهي، أو يا ليتته كان طمعاً بالحصول على الأراضي والدور والبساتين والقصور، وإنما هو طمع بشيء من التمر، الذي يحصل عليه كل أحد، ويستوي فيه الذكي والغبي، والغني والفقير، والقوي والضعيف، والوضيع والشريف.

ومن الواضح: أن التبرع بقتل الأنبياء والأولياء، وإنزال المصائب والبلايا بالأبرياء، من أجل الحصول على حفنة من تمر، هو الغاية في قصر النظر، والغباء، وفي الرذالة والسقوط، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك..
٣. على أنه لا شيء يضمن لهم أن يفني اليهود لهم بما تعهدوا به، لو تم لهم ما أرادوا، فاليهود هم أهل الطمع والجشع، ولا يمكن أن يتنازلوا لهذه القبيلة الضعيفة عن تمر خبير، بعد قتلهم النبي والوصي، والقضاء على الإسلام وأهله، وصيرورتهم أسياد المنطقة، بل هم سوف يطردون هؤلاء الرعاع، وينكثون عهدهم.. ولليهود تاريخ عريق في نكث العهود، والخلف في الوعود.. ولا سيما إذا كانت الغلبة لهم، والقوة معهم.

حفيد إبليس:

وزعموا: أن النبي (ﷺ) كان على جبل من جبال تھامة، فجاءه حفيد إبليس، واسمه هامة بن الهيم، بن لاقيس بن إبليس، الذي

ادعى أنه تاب على يد نوح..

وذكر أنه عاتبه على دعوته على قومه حتى بكى، وعاتب هوداً على دعوته على قومه حتى بكى، وعاتب صالحاً على دعوته على قومه حتى بكى.. وزار يعقوب، وكان مع يوسف.. ولقي إلياس، ولا زال يلقاه، وكان مع إبراهيم حين ألقى في النار، ولقي موسى، وعيسى الذي حمّله السلام لمحمد.

فقال (ﷺ): وعلى عيسى السلام.

فعلمه النبي (ﷺ) سورة المرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، والمعوذتين، وطلب منه (ﷺ) أن لا يدع زيارته^(١).

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٣٨ و ٤٣٩ عن ابن الجوزي في الموضوعات والآلي المصنوعة، والنكت البديعات، وعن عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، والعقبلي في الضعفاء، وابن مردويه في التفسير، وأبي نعيم في حلية الأولياء والدلائل، والبيهقي في الدلائل، والمستغفري في الصحابة، وإسحاق بن إبراهيم المنجنيقي، والفاكهي في كتاب مكة، وبحار الأنوار ج ٦٠ ص ٣٠٣ و ٨٣ - ٨٤ و ج ٣٨ ص ٥٤ - ٥٧ و ج ٢٧ ص ١٤ - ١٧ و ج ١٨ ص ٨٤ وبصائر الدرجات ص ٢٧. وراجع: مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٥١٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٣١ و ج ١٤ ص ٣٣٠ و ج ١٥ ص ٦١٣ وكنز العمال ج ٦ ص ١٦٤ ولسان الميزان ج ١ ص ٣٥٦ والشفاء لعباس ج ١ ص ٣٦٢ والضعفاء للعقبلي ج ١ ص ٩٨ و ج ٤ ص ٩٦ وإكمال الكمال ج ٧ ص ٣٣٠ والموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ وميزان الاعتدال ج ١ ص ١٨٦ والإصابة ج ٦ ص ٤٠٧.

ونقول:

إننا لا نشك في أن هذه الرواية موضوعة:

أولاً: لما تضمنته من الإساءة إلى ساحة قدس الأنبياء، ونسبة الجهل أو الظلم، والخطأ إليهم..
ثانياً: إنها تنسب التعسف والظلم للساحة الإلهية أيضاً، لأنه تعالى كان يستجيب لدعوات أنبيائه، ويهلك الناس، وهم لا يستحقون ذلك.
ثالثاً: إن حفيد إبليس عندما يكون أتقى وأورع، أو أعقل وأحكم من الأنبياء، فالنبوة تصبح به أليق، وعنهم أبعدهم..

رابعاً: زعمت رواية حفيد إبليس: أنه كان مع هود في مسجده مع من آمن من قومه^(١) مع أن القرآن يصرح بأن قوم هود هلكوا على بكرة أبيهم، ولم ينج منهم إلا هود وأهله إلا امرأته..

١ - بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٦ وبصائر الدرجات ص ١١٨ ومدينة المعاجز ج ١ ص ١٢٨ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٤ ص ٣٣٠ وكنز العمال ج ٦ ص ١٦٥ وضعفاء العقيلي ج ١ ص ٩٩ وطبقات المحدثين بأصبهان ج ٣ ص ٢٦٧ والموضوعات لابن الجوزي ج ١ ص ٢٠٧ وميزان الاعتدال ج ١ ص ١٨٧ ولسان الميزان ج ١ ص ٣٥٦ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٨٦.

إضافات وزيادات مشبوهة:

وقد أضافت النصوص المروية في كتب الشيعة: أنه لما طلب من النبي (ﷺ) أن يعلمه شيئاً من القرآن قال (ﷺ) لعلي (عليه السلام) علمه.

فقال هام: يا محمد، إنا لا نطيع إلا نبياً أو وصي نبي، فمن هذا؟!!

قال: هذا أخي، ووصيي، ووزيري، ووارثي علي بن أبي طالب.

قال: نعم، نجد اسمه في الكتب إلباً، فعلمه أمير المؤمنين.

فلما كانت ليلة الهرير بصفين جاء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) (١).

ونقول:

أولاً: هناك زيادة طويلة ذكرتها الرواية الواردة في روضة الكافي، وفيها ما يناقض هذا الذي ذكر آنفاً، فقد

صرحت: بأن النبي (ﷺ) سأل حفيد إبليس، إن كان يعرف وصيه؟!!

فقال: إذا نظر إليه يعرفه بصفته واسمه الذي قرأه في الكتب.

فقال له: انظر، فنظر في الحاضرين، فلم يجده فيهم.

وبعد حديث طويل سأله فيه النبي (ﷺ) عن أوصياء الأنبياء "عليهم السلام"، وأجابه، ووصف له علياً

(عليه السلام)، جاء علي

١ - تفسير القمي ج ١ ص ٣٧٥ والتفسير الصافي ج ٣ ص ١٠٧ وبحار الأنوار ج ٦٠ ص ٨٤ وج ٢٧ ص ١٤ و ١٦ وج ١٨ ص ٨٤ عن تفسير القمي، ونور الثقلين ج ٣ ص ٨.

(عليه السلام)، فعرفه بمجرد أن وقع نظره عليه.

ثم تذكر الرواية: أن الهام بن المهيم بن لاقيس قتل بصفتين^(١).

ثانياً: إن نفس اعتراض هذا الجني على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين طلب من علي (عليه السلام) أن يعلمه شيئاً من القرآن يدل على خلل أساسي في إيمانه، لأن الإيمان برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معناه الطاعة له، والإستسلام لأوامره ونواهيه، ومن يرفض ذلك لا يكون كذلك.

ثالثاً: ما الذي جعل لهذا الجني الحق في أن لا يطيع ما عدا الأنبياء وأوصيائهم، حتى حين يأمره الأنبياء والأوصياء بتلك الطاعة؟! وما الذي يميزه عن غيره من بني جنسه في ذلك لو كان الأمر خاصاً به؟!
أليس ذلك يعدُّ معصية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه؟! وألا يعتبر ذلك من التناقض غير المقبول ولا المعقول، إلا من الحمقى، الذين لا يقدرّون الأمور كما ينبغي؟!!

رابعاً: بل إن الجني ادعى: أن الجن جميعاً لا يطيعون غير الأنبياء وأوصيائهم، حيث قال: "إننا لا نطيع".
خامساً: يضاف إلى ذلك: أن الأمر قد صدر لعلي (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحضور ذلك الجني، ولم يكن الأمر من غير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلي (عليه السلام) إنما يريد أن يجري أمر الرسول، فما معنى اعتراض ذلك الجني على ذلك الأمر؟!!

١- بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٥٤ - ٥٧. وج ٢٧ ص ١٥ - ١٧ وأشار في هامشه إلى: = الروضة ص ٤١ و ٤٢ وبصائر الدرجات ص ٢٧ و الروضة في فضائل أمير المؤمنين (بتحقيق علي الشكرجي) ص ٢٢٣. وراجع: مدينة المعاجز ج ١ ص ١٣٦.

الفصل السابع:

أحداث جرت في الحديبية.. وبعدها..

ساقى العطاشى فى الجحفة:

قال الشيخ المفيد: روى إبراهيم بن عمر، عن رجاله، عن فايد مولى عبد الله بن سالم، قال: "لما خرج رسول الله (ﷺ) فى عمرة الحديبية نزل الجحفة، فلم يجد بها ماء، فبعث سعد بن مالك بالروايا، حتى إذا كان غير بعيد رجوع سعد بالروايا، فقال: يا رسول الله، ما أستطيع أن أمضي، لقد وقفت قدماي رعباً من القوم!

فقال له النبي (ﷺ): اجلس.

ثم بعث رجلاً آخر، فخرج بالروايا حتى إذا كان بالمكان الذي انتهى إليه الأول رجوع، فقال له النبي (ﷺ): "لم رجعت"؟!

فقال: والذي بعثك بالحق، ما استطعت أن أمضي رعباً.

فدعا رسول الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما،

فأرسله بالروايا، وخرج السقاة وهم لا يشكون في رجوعه، لما رأوا من رجوع من تقدمه .
فخرج علي (عليه السلام) بالروايا حتى ورد الحرار^(١) فاستقى، ثم أقبل بها إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وله زجل^(٢) .
فكبر النبي (صلى الله عليه وآله)، ودعا له بخير^(٣) .
ونقول:

١ . لا مبرر لرجوع أولئك الرجال الذين أرسلهم النبي (صلى الله عليه وآله) لإحضار الماء، بعد أن رأوا من المعجزات
الظاهرة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، ما يدعوها للتفاني والتنافس في تنفيذ أوامره (صلى الله عليه وآله) حباً بالفوز
برضاه (صلى الله عليه وآله)، ورغبة بالنجاة في الآخرة..
٢ . إن هذه الحادثة تذكرنا أيضاً بما جرى لأبي بكر وعمر في خيبر وفدك وقريظة وذات السلاسل، حيث
رجعا بالعسكر منهزمين، يجبن

١ - الحرار: جمع حرة، وهي أرض ذات أحجار سود نخرة. الصحاح ج ٢ ص ٦٢٦ .

٢ - الزجل: رفع الصوت الطرب. لسان العرب ج ١١ ص ٣٠٢ .

٣ - الإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٢١ و ١٢٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٥٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢
ص ٦٢٣ وكشف الغمة ج ١ ص ٢١٠ والإصابة ج ٣ ص ١٩٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٨٨ وكشف اليقين ص ١٣٩ .

بعضهم بعضاً.

٣. إن علياً (عليه السلام) وحده هو الذي كان الله ورسوله وجهاد في سبيله أحب إليه من كل شيء حتى من نفسه، وكانت لذته وسعادته في طاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ونيل رضا الله تبارك وتعالى.. وقد ظهرت آثار هذه السعادة حين أقبل بالروايا وله زجل، أي رفع الصوت الطرب..

٤. لا ندري لماذا كتبت الرواية اسم الشخص الثاني الذي أرسله النبي (صلى الله عليه وآله) بالروايا، فرجع خائفاً منهزماً؟! مع أنها ذكرت اسم الأول، وهو سعد بن مالك، وذكرت اسم الثالث، وهو علي (عليه السلام)، فهل هو من الفئة التي تعودنا التعصب لها من بعض الفئات إلى حد تزوير الحقائق، إن لم يمكن إخفاؤها؟! هل هو أبو بكر، أو عمر مثلاً؟!!

ونود أن لا تذهب بنا الظنون، فنحسب أن ذكر سعد بن مالك كان للتمويه وإبعاد الشبهة عمن يجبون؟!!

لا ولكنه خاصف النعل:

وقالوا أيضاً: "وفي هذه الغزاة أقبل سهيل بن عمرو إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال له: يا مُحَمَّد، إن أرقاءنا لحقوا بك، فارددهم علينا.

فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حتى تبين الغضب في وجهه، ثم قال: لتنتهن. يا معشر قريش. أو ليعثن الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان، يضرب رقابكم على الدين. فقال بعض من حضر: يا رسول الله، أبو بكر ذلك الرجل؟!!

قال: لا .

قيل: فعمر؟!

قال: لا، ولكنه خاصف النعل في الحجرة .

فتبادر الناس إلى الحجرة ينظرون من الرجل!! فإذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) .
وروى جماعة هذا الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقالوا فيه: إن علياً قص هذه القصة، ثم قال:
سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .
وكان الذي أصلحه أمير المؤمنين من نعل النبي "صلى الله عليهما وآلهما" شسعهما، فإنه كان انقطع،
فخصف موضعه، وأصلحه" (١) .

١ - الإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٢٢ و ١٢٣ وأشار في هامشه إلى: كفاية الطالب ص ٩٦ ومصباح الأنوار ص ١٢١ وباختلاف يسير في سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٩٧ وإعلام الوري ص ١٩١ وفي (ط أخرى) ص ٣٧٢ وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٣٣ والمستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٢٩٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٦٠ و ٣٦٤ وج ٣٢ ص ٣٠١ وج ٣٦ ص ٣٣ وج ٣٨ ص ٢٤٧ والإفصاح ص ١٣٥ والعمدة لابن البطريق ص ٢٢٤ وعوالي الآلي ج ٤ ص ٨٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٢٤١ ودرر الأخبار ص ١٧٤ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص ٢٣٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٢٣ والمناقب للخوارزمي ص ١٢٨ وكشف الغمة ج ١ ص ٢١١ ونهج الإيمان ص ٥٢٣ وكشف اليقين ص ١٠٦ .

ونلاحظ هنا ما يلي:

١. إن النبي (ﷺ) قد غضب هذا الغضب الشديد، انتصاراً منه لأناس مستضعفين، ظلمهم أسيادهم بحرماتهم من حق الحرية الإعتقادية والدينية.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل هو يهدد قريشاً، التي كانت ترى نفسها سيدة المنطقة العربية بأسرها، وترى أن لها الحق . من موقعها الديني، وكذلك من موقع مالكيته لأولئك الأرقاء . أن يكون القرار الأول والأخير بالنسبة لأرقائها بيدها، لا ينازعها فيه أحد..
والناس يعترفون لها بهذا وذاك، ويقرونها على ما تزعمه لنفسها..

نعم، إن النبي (ﷺ) ليس فقط لا يعترف لها بشيء مما تزعمه لنفسها ويزعمه الناس لها، وإنما هو يعطي لنفسه الحق في شن حرب كاسحة، ومدمرة، يريد لها أن تنتهي بضرب رقاب نفس هؤلاء الأسياد المتسلطين، حتى لو كانوا من قريش، أو كانوا سدنة البيت، لمجرد ضمان حرية الفكر والعقيدة حتى لمن هم عبيد أرقاء لهم، وقد اشتراهم أولئك الناس بأموالهم. لأن ملكيتهم لهم لها حدود وقيود، ولا تصل إلى حد منعهم من التفكير، والتدخل في اعتقاداتهم.

٢. إنه (ﷺ) يهدد قريشاً بطريقة تجرد فيها الشواهد على

جدية ذلك التهديد، وأنه يسير باتجاه التنفيذ، حيث صرح لها: بأن من يتولى تنفيذ هذا القرار هو من نفذ مهمات مشاهمة بكل دقة وأمانة وحزم.. ولم تنزل تشهد قريش والمنطقة بأسرها آثار جهده وجهاده، طاعة لله ولرسوله..

٣ . إنه (ﷺ) يصوغ هذا التهديد بطريقة تستدعي طرح الأسئلة لمعرفة المزيد من الأوصاف، أو تدعو للتصريح باسم هذا الذي أشار إليه..

٤ . لا ندري، فلعل طرح اسمي أبي بكر، وعمر، ليحيب النبي (ﷺ) بنفي أن يكونا مرادين في كلامه، قد جاء من قبل شخص يريد أن يسمع الناس هذا التصريح، لقطع دابر الكيد الإعلامي الذي قد يمارسه ذلك الحزب الذي عرف بالانحراف عن علي (عليه السلام) منذ بدايات الهجرة، وربما قبل ذلك أيضاً. أو أنه كان يريد أن يظهر مقام الخليفتين من رسول الله (ﷺ) حتى إن اسمهما لي طرح قبل أن يطرح اسم أي رجل آخر.

ولعل النبي (ﷺ) قد عرّف بعض أهل السر عنده بما يدبره هؤلاء في الخفاء، مما له مساس بمستقبل الدين والأمة، فكان بعض أهل السر يشعرون بأنه لا بد من إيضاح الأمور للناس بطريقة أو بأخرى، ليتحملوا مسؤولياتهم، بعد أن تكون الحجة عليهم قد تمت..

٥ . يسجل النبي (ﷺ) هذا الوسام الرائع للأمير المؤمنين (عليه السلام) في إطار فريد ورائع، حين بيّن أن هذا الذي يستطيع

أن يضرب رقاب قريش على الدين، ليس ممن يرغب في شيء من حطام الدنيا، وليس هو ممن يميزون أنفسهم عن الآخرين..

وهو إنسان لا يمدح بكثرة المال، ولا بشيء مما يمدح به أهل الدنيا، ولا يحتاج في استحضار صورته إلى أي إطار تظهر عليه الألوان، والأشكال، والزخرفات، بل هو يظهر في صورته وهو يخصف نعلًا.. وهي صورة لا يتوقعون ظهور الحاكم والقائد والرئيس فيها في أي من الظروف والأحوال.

واللافت: أن هذه النعل التي يخصفها ليست له، وإنما هي لغيره، إنها لرسول الله (ﷺ).. الأمر الذي يشير إلى طبيعة نظرتة لنفسه، ويؤكد صحة ما يلهج به، حيث يقول: أنا عبد من عبيد محمد^(١).

٦ - إن قوله (ﷺ) عن أولئك المستضعفين: "هم عتقاء الله" يستبطن أمرين:

أحدهما: أنه ليس هو المسؤول عنهم، ولا المطالب بهم، بل هم الذين خرجوا وفروا من سلطان قريش، وليس لقريش أن تطالبه بأن ييسر سلطتها على أرقائها، ولا استنابته بملاحقتهم كلما هربوا منها.

١ - الكافي ج ١ ص ٩٠ وشرح أصول الكافي ج ٣ ص ١٣٠ و ١٣١ والإحتجاج ج ١ ص ٣١٣ وعوالي السالّي ج ١ ص ٢٩٢ والفصول المهمة في أصول الأئمة ج ١ ص ١٦٨ وبحار الأنوار ج ٣ ص ٢٨٣ ونور البراهين ج ١ ص ٤٣٠ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٦٤ وميزان الحكمة ج ١ ص ١٤٤ وج ٤ ص ٣٢٠٧ ونور الثقلين ج ٥ ص ٢٣٣.

وبنود صلح الحديبية لا تشمل هؤلاء؛ لأنهم قد هربوا من قريش قبل عقده، والصلح إنما يعالج الحالات التي تحدث بعد توقيعه.

الثاني: أن إسلامهم هو الذي أعتقهم، فإن العبد إذا أسلم في دار الحرب قبل مولاه، فالمروي: أن ذلك من أسباب عتقه، خصوصاً إذا خرج إلى دار الإسلام قبله^(١).

وهؤلاء قد أسلموا وخرجوا إلى دار الإسلام قبل أسيادهم، وهذا معناه: أنه لا سلطة لقريش عليهم، لأنهم خرجوا عن صفة الرق باختيارهم الإسلام. فلا يجوز لرسول الله (ﷺ) أن يرجعهم إليه، أو أن يساعد على ذلك؛ لأن ذلك عدوان عليهم، ومصادرة لحرياتهم، بل أصبح من واجبه (ﷺ) الدفاع عنهم، والمنع من ظلمهم، ومن استعبادهم.

بيعة النساء في الحديبية:

قال الشيخ المفيد (رحمته الله): "وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) المبايع

١ - سنن البيهقي ج ٩ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ وراجع: تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٥٢ والنهية للطوسي ص ٢٩٥ والوسائل كتاب الجهاد ج ١١ ص ٨٩ والتنقيح الرائع ج ٣ ص ٢٥٦ والسرائر ج ٢ ص ١٠ و ١١ ومسالك الأفهام ج ١٠ ص ٣٥٧ و = ٣٥٨ وشرائع الإسلام كتاب العتق وكتاب الجهاد، وكنز العرفان (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ١٢٩ وعوالي اللآلي ج ٣ ص ١٨٧.

للنساء عن النبي (ﷺ)، وكانت بيعته لهن يومئذ: أن طرح ثوباً بينه وبينهن، ثم مسحه بيده، فكانت مبايعتهن للنبي (ﷺ) بمسح الثوب، ورسول الله (ﷺ) يمسخ ثوب علي بن أبي طالب (عليه السلام) مما يليه^(١).
ويلاحظ هنا أمران:

الأول: إن النبي (ﷺ) وعلياً (عليه السلام) قد استفادا في بيعة النساء، من طريقة مبتكرة، تعطي المعنى وتدلل على المقصود بصورة كافية، ومفهومة.. لأنهما يريدان تحاشي أمر محظور، وهو مصافحة النساء، أو أي شيء يعطيهن المزيد من الجرأة على الإقتراب من الرجل، ولو بمثل أن تمسح على الثوب الذي يلبسه النبي (ﷺ) أو علي (عليه السلام).

الثاني: قد يقال: إن المفروض هو أن تختص البيعة بالرجال ولا داعي لبيعة النساء، لأن الرجال هم الذين يضحون، وهم الذين يحاربون، وهم أصحاب القرار.. أما النساء فلا شأن لهن في ذلك..
ونجيب: بأنه وإن كان ليس على النساء قتال ونزال، ولا يتولين القضاء والحكومة، ولكن ذلك لا يعني أنهن لا دور لهن، بل لهن دور في الكثير من الشؤون، التي لا بد من التزامهن بما يرضي الله، وبطاعة رسوله فيها، فلا

١- الإرشاد ج ١ ص ١١٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ح ٢ ص ٦٢٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٥٨.

بأس بأخذ البيعة منهن على الإلتزام بمثل هذه الأمور..

ثم إننا لا نوافق على القول بأنه لا شأن للمرأة في كثير من الأمور، فإن المقصود إن كان هو إعادة تكريس المنطق الجاهلي الذي يسلب المرأة حقوقها التي جعلها الله لها، فهذا مرفوض جملة وتفصيلاً..
وإن كان المقصود: أن شؤونها ليست بذات أهمية، لكي تؤخذ منها البيعة، فهو غير صحيح أيضاً، فإن مقام السيدة الزهراء "عليها السلام" عند الله يدلنا على أهمية الشؤون التي تعود إليها، والتي استحقت مقامها هذا لقيامها بتلك الواجبات على أكمل وجه.

على أننا نقول:

إن للرجال شؤوناً تخصهم، وليس للمرأة فيها نصيب، وللمرأة شؤون ليس للرجال فيها نصيب، لأن كلاً منهما مهياً لما خلق له.

وامتياز الرجال أو بعضهم على النساء، أو على بعضهن، إذا اقتضته شؤون الخلقة، والتكوين، فإنما كان بسبب انسجام هذه الميزات، مع تلك المسؤوليات الملقاة على عاتق هذا أو ذاك، لكي تحقق أهدافاً تحتاج إلى هذه الميزات أو تلك، بهذا المستوى من الفعالية والتأثير..

علي (عليه السلام) في الحديثية:

لقد كان من حق المسلمين أن يمارسوا حريتهم في التفكير، وفي التقديس، والإعتقاد، والعبادة، وما إلى ذلك.. ومن حقهم أيضاً أن يزوروا

بيت الله تبارك وتعالى، ويؤدوا مناسكهم، وليس من حق أحد أن يمنعهم منه. فكيف إذا كان البلد الذي يقع فيه هذا البيت هو وطن من يريد زيارته، وقد ولد وعاش فيه، ثم ظلم وقهر، وأجبر على الخروج منه، والتغرب عنه.

وها هو رسول الله (ﷺ) يقرر المسير إلى زيارة بيت الله للعمرة، فلماذا هبت قريش لمواجهته ومواجهة المسلمين، ومنعهم من دخول بيت الله، حتى تطورت الأمور، واصطف المسلمون والمشركون للقتال؟! قال الشيخ المفيد "رحمته": "كان اللواء يومئذٍ إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، كما كان في المشاهد كلها.. وكان من بلائه في ذلك اليوم عند صف القوم في الحرب للقتال، ما ظهر خبره، واستفاض ذكره، وذلك بعد البيعة التي أخذها النبي (ﷺ) على أصحابه، والعهد عليهم بالصبر^(١). فلجأت قريش إلى طلب الصلح، على أن يرجع النبي (ﷺ) بمن معه في عامه هذا، ثم يحجون في العام الذي بعده..

وتقرر كتابة كتاب في ذلك، ونزل الوحي على رسول الله (ﷺ) بأن يجعل أمير المؤمنين (عليه السلام) كاتبه يومئذٍ، والمتولي لعقد الصلح بخطه^(٢).

١- الإرشاد ج ١ ص ١١٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٥٨ والمستجد من كتاب الإرشاد ص ٧٣.

٢- الإرشاد ج ١ ص ١١٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٥٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٢٧.

وقبل متابعة الحديث نشير إلى ما يلي:

أولاً: لقد عَجَزَ التاريخ عن الإفصاح عن حقيقة ما فعله علي (عليه السلام) حين اصطفا الفريقين، وكيف استفاض ذكر ما جرى، وظهر خبره، ولم نجد منه شيئاً إلى يومنا هذا؟!

ألا يدلنا ذلك على أن ثمة يداً خائنة قد عبثت بالحقائق، وأسقطت ما أمكنها إسقاطه، أو حرفت ما لم يمكن التستر عليه.. مما يرتبط بأمر المؤمنين (عليهم السلام)؟!

ثانياً: إن كتابة علي (عليه السلام) الكتاب في الحديبية كانت بأمر من الله تعالى، وهذا يدل على أن هناك شيئاً اقتضى هذا الأمر الإلهي.. فهل هو أنه سيجري له (عليه السلام) في واقعة التحكيم، مثل ما جرى في هذه الواقعة؟! أي أنه (صلى الله عليه وآله) أراد أن يخبر الناس بما سيجري لعلي في التحكيم ليكون ذلك من دلائل مظلوميته، ومن شواهد إمامته، ومن موجبات زيادة يقين الناس بهذا الأمر؟! أو لأنه لو تصدى غيره لكتابة الكتاب لم يحسن التصرف، أو كان قد تصرف على خلاف رضا الرسول (صلى الله عليه وآله)؟!

قد يكون كل ذلك مأخوذاً بنظر الإعتبار..

ما جرى حين كتابة الكتاب:

هناك تفاصيل مختلفة تذكر لما جرى حين كتابة الكتاب في الحديبية..

وقد أوعزنا إليها في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ)، الجزء الخامس عشر.. ونذكر منها هنا ما يرتبط بأمر المؤمنين علي (عليه السلام)، وخلاصة ما قالوه:

إن النبي (ﷺ) قال لعلي (عليه السلام): أكتب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

فاعترض سهيل بن عمرو . مبعوث المشركين . وطلب أن يكتب: باسمك اللهم، فاستجاب النبي (ﷺ) لهذا الطلب..

ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله..

فقال سهيل: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، أكتب في قضيتنا ما نعرف، أكتب محمد بن عبد الله..

فقال (ﷺ) لعلي (عليه السلام): امحه.

فقال علي (عليه السلام): ما أنا بالذي أمحاه (أو أمحاك).

وفي حديث محمد بن كعب القرظي: فجعل علي يتلكأ، وأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله، فقال رسول الله (ﷺ): أكتب، فإن لك مثلها تعطيها، وأنت مضطهد^(١).

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤ وفي هامشه: عن صحيح البخاري ج ٥ ص ٣٥٧ (٢٦٩٩) ومسنند أحمد ج ٤ ص ٣٢٨ و ٨٦ وج ٥ ص ٢٣ و ٣٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٢٢٠ و ٢٢٧ وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٢٠) والطبري في جامع البيان ج ٢٦ ص ٥٩ و ٦٣ وابن كثير في التفسير ج ٧ ص ٣٢٤ وانظر مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٥ و ١٤٦. وراجع: ميزان الحكمة ج ٤ ص ٣١٦ و مجمع البيان ج ٩ ص ١٩٩ والميزان ج ١٨ ص ٢٦٩ والمناقب للخوارزمي ص ١٩٣ وصفين للمنقري ص ٥٠٩ والمسترشد ص ٣٩١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٣٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٢٨ وينايع المودة ج ٢ ص ١٨ والأنوار العلوية ص ٢٤٩ وعن الإحتجاج ج ١ ص ٢٧٧ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣١٣ ونور الثقلين ج ٥ ص ٥٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢١٤ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٣٥ وج ٣٣ ص ٣١٤ و ٣١٦ و ٣١٧ وج ٣٢ ص ٥٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٣٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٤٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤٣.

وعن وعد النبي "ﷺ" لعلي بأن له مثلها وهو مقهور راجع أيضاً: = تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢١ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٠٤ وحبیب السیر ج ١ ص ٣٧٢ وتفسير البرهان ج ٤ ص ١٩٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٥٢ و ٣٥٧ وتفسير القمي، والخرايج والجرايح، والخصائص للنسائي (ط التقديم بمصر) ص ٥٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ١٩٠ وج ٢ ص ٥٨٨ والمغني لعبد الجبار ج ١٦ ص ٤٢٢ وينايع المودة ص ١٥٩ وصبح الأعشى ج ١٤ ص ٩٢.

وذكر الواقدي: أن أسيد بن حضير، وسعد بن عباد أخذوا بيد علي (عليه السلام)، ومنعاه: أن يكتب إلا محمد رسول الله، وإلا فالسيف بيننا وبينهم^(١).

ونقول:

إن لنا هنا وقفات، نذكر منها ما يلي:

من كتب العهد في الحديبية:

زعم بعضهم: أن كاتب العهد في الحديبية هو محمد بن مسلمة^(٢).

وعن معمر قال: سألت عنه الزهري، فضحك، وقال: هو علي بن أبي طالب، ولو سألت عنه هؤلاء

قالوا: عثمان^(٣).

ولعلمهم حاولوا استخلاصه من قولهم: إن قريشاً أبت إلا أن يكتب

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥١ . ٥٤ وفي هامشه قال: وأخرجه أبو داود في الجهاد باب (١٦٧) وأحمد ج ٤ ص ٣٢٩ و ٣٣٠ والسيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٧٦ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥١٠ وكنز العمال ج ١٠ ص ٤٨٠ والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٧٧.

٢ - راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤ و ٢٥ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٤٣ ورسالات نبوية ص ١٧٩.

٣ - راجع: المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٤٣ والنزاع والتخاصم ص ١٢٧ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٥٨٥ و ج ٣ ص ٨٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٣ ص ٤٦٠.

علي (عليه السلام) أو عثمان^(١).

ونقول:

أولاً: تقدم: أن الوحي هو الذي أمر بأن يتولى علي (عليه السلام) كتابة العهد في الحديبية.

ثانياً: تكاد المصادر تجمع على أن علياً (عليه السلام) هو كاتب العهد^(٢).

-
- ١- مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٨٥ عن: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦١٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٣ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية) ج ٢ ص ٢١٢.
- ٢- راجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٠٥ والنزاع والتخاصم ص ١٢٧ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣١٢ و ٣١٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٢٩ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٧٨ و ٥٨ عن المصادر التالية:
- الدر المنثور ج ٦ ص ٧٨ والحلبية ج ٣ ص ٢٣ و ٢٥ و ٢٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦١٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٤ وج ١ ص ٧٣ و ٢٠٣ وج ٣ ص ٢١٤ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٤٣ وأنساب الأشراف (تحقيق محمد حميد الله) ص ٣٤٩ ومسند أحمد ج ١ ص ٣٤٢ وج ٣ ص ٢٦٨ وج ٤ ص ٢٩٨ و ٨٦ و ٣٢٥ وصحيح البخاري ج ٢ ص ٧٣ وج ٣ ص ٢٤١ و ٢٤٢ وج ٤ ص ١٢٦ و ج ٥ ص ١٧٩ وصحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٠٩ - ١٤١١ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٤٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٧٩ وج ٩ ص ٢٢٦ و ٢٢٧ والمصنف لابن أبي شيبه ج ١٤ ص ٤٣٥ و ٤٣٩ وبحار الأنوار ج ١٨ ص ٦٢ وج ٢٠ ص ٣٢٧ و ٣٣٣ و ٣٣٥ و ٣٥١ . ٣٥٣ و ٣٥٧ و ٣٥٩ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٧١ وج ٣٣ ص ٣١٤ وج ٣١ ص ٢٢١ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٨ ص ٤٥ وجامع البيان ج ٢٦ ص ٦١ وتفسير النيسابوري (بهامش جامع البيان) ج ٢٦ ص ٤٩.
- وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٠ ص ٢٥٨ وج ٢ ص ٢٧٥ والبرهان ج ٤ ص ١٩٢ و ١٩٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٩ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٥ وفتح الباري ج ٥ ص ٢٢٣ وج ٧ ص ٢٨٦ والكافي ج ٨ ص ٣٢٦ ومرآة العقول ج ٢٦ ص ٤٤٤ وأدب الإماء والإستماء ص ١٢ وصفين للمنقري ص ٥٠٨ و ٥٠٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٧١ ورسالات نبوية ص ١٧٨ والمطالب العالية ج ٤ ص ٢٣٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٤ و ٣٥ والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٧٥ . ٢٧٧ وروح المعاني ج ٩ ص ٥ وعمدة القاري ج ١٤ ص ١٢ و ١٣ و ج ١٣ ص ٢٧٥ ونور الثقلين ج ٥ ص ٥٢ = و ٥٣ وتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٥ و ٣٦ وحبیب السیر ج ١ ص ٣٧٢ وتفسير الميزان ج ١٨ ص ٢٦٧ ومجمع البيان ج ٩ ص ١١٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٢١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٠٤ وج ٣ ص ٣٢٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٦٣٦ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٣١٦ و ٣١٧ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٣٩٠.
- وراجع: ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٤٦ و ١٤٧ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٦١٦ والأموال ص ٢٣٢ و ٢٣٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٢ وتفسير الخازن ج ٤ ص ١٥٦ و ١٥٧ وكشف الغمة ج ١ ص ٢١٠ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٢٠ وإعلام الوری ص ٩٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤ و ٥٣ وعن السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٥ وعن المستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٢٠ وعن تاريخ بغداد ونهاية الأرب ج ١٧ ص ٢٣٠ وأصول السرخسي ج ٢ ص ١٣٥ والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ ومسند أبي عوانة ج ٤ ص ٢٣٧ و ٢٣٩ وصبح الأعشى ج ١٤ ص ٩٢ والعثمانية ص ٧٨ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٢١٥ وخصائص الإمام علي (عليه السلام) للنسائي ص ١٥٠ و ١٥١ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٣٣ - ٢٣٦ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٤١٩ و ٤٢٠ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٤١ و ٦٤٢ وج ١٨ ص ٣٦١ عن بعض من تقدم وعن مصادر أخرى. ومشكل الآثار ج ٤ ص ١٧٣ والرياض النضرة ج ٢ ص ١٩١.

ثالثاً: صرح ابن حجر: بأن قولهم: بأن كاتب الكتاب هو ابن مسلمة من الأوهام^(١).

١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤ و ٢٥ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٠٩ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية) ج ٣ ص ٤٣ ورسالات نبوية ص ١٧٩ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٨٤.

ونحن نحشى أن يكون المقصود هو مكافأة مُجد بن مسلمة على مشاركته في الهجوم على بيت فاطمة الزهراء "عليها السلام" فور وفاة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله)..

كما أنه يهدف إلى التشكيك في كل عملٍ إيجابي أو فضيلة أو كرامة لعلي (عليه السلام)، والسعي لمنحها لمناوئيه وأعدائه.

حديث امتناع علي (عليه السلام):

تقدم قولهم: إن علياً (عليه السلام) امتنع عن محو اسم النبي (صلى الله عليه وآله)، وذكرنا بعض مصادره، ويضيف ابن حبان: أنه (صلى الله عليه وآله) أمر علياً (عليه السلام) بمحو اسمه مرتين، فأبى ذلك فيهما معاً^(١).

قال السرخسي: "وطاب لأتباع المذاهب أن يقولوا لشيعته علي (عليه السلام): إذا كنتم قد استطعتم أن تحشدوا الشواهد المتواترة، بل التي لا تكاد تحصى على مخالفات صريحة، وقبيحة، ومؤذية للصحابة الكبار، فإن علياً (عليه السلام) قد وقع بنفس المحذور، حين امتنع عن طاعة أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الحديبية بمحو اسمه الشريف^(٢).

وفي سؤال وجهه للسيد المرتضى، جاء ما يلي: "... ليس يخلو، إما أن يكون قد علم أن النبي (صلى الله عليه وآله) لا يأمر إلا بما فيه مصلحة،

١ - الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢٢٢ و ٢٢٣.

٢ - أصول السرخسي ج ٢ ص ١٣٥.

وتقتضيه الحكمة والبيّنات، وأن أفعاله عن الله سبحانه وبأمره، أو لم يعلم.

فإن كان يعلم، فلم خالف ما علم؟!!

وإن كان لم يعلمه، فقد جهل ما تدّعيه العقول من عصمة الأنبياء عن الخطأ، وجوّز المفسدة فيما أمر به النبي (ﷺ) لهذا، إن لم يكن قطع بها.

وهل يجوز أن يكون أمير المؤمنين (عليه السلام) توقف عن قبول الأمر، لتجويزه أن يكون أمر النبي (ﷺ) معتبراً له ومختبراً؟! مع ما في ذلك لكون النبي (ﷺ) عالماً بإيمانه قطعاً، وهو خلاف مذهبكم، ومع ما فيه من قبح الأمر على طريق الاختبار بما لا مصلحة في فعله على كل حال.

فإن قلتم: إنه يجوز أن يكون النبي (ﷺ) قد أضمر محذوفاً، يخرج الأمر به من كونه قبيحاً.

قيل لكم: فقد كان يجب أن يستفهم ذلك، ويستعلمه منه، ويقول: فما أمرني قطعاً من غير شرط أضمرته أولاً^(١).

ونقول:

أولاً: لقد أجاب السيد المرتضى بما يتوافق مع مذاق المعترض في نظره للأمور، ونوضح مراده على النحو التالي:

١ - رسائل الشريف المرتضى ج ١ ص ٤٤١ و ٤٤٢.

لو سلمنا: صدور هذا الأمر، فإن إمتناع وتوقف علي (ﷺ) عن المحو لا يدل على عدم عصمته، لأنه جَوَّز أن يكون أمر النبي (ﷺ) بالمحو ليس أمراً حقيقياً، بل مجازة لسهيل، لا لأنه (ﷺ) يُؤثِّر ذلك.. فتوقف حتى يظهر: أنه مُؤثِّر له.

وتوقفه هذا يقوم مقام الإستفهام، لتأكد له حقيقة هذا الطلب، وأنه أمر حقيقي، أو ليس بحقيقي^(١). لا سيما وأنه (ﷺ) يعلم أن المحو هو رغبة المشركين، وليس رغبة النبي (ﷺ). قال العيني عن قوله (ﷺ): "ما أنا بالذي أحياه: ليس بمخالفة لأمر رسول الله (ﷺ)؛ لأنه علم بالقرينة أن الأمر ليس للإيجاب"^(٢).

وقال القسطلاني، والنووي: "قال العلماء: وهذا الذي فعله علي من باب الأدب المستحب، لأنه لم يفهم من النبي (ﷺ) تحمُّم محو على نفسه، ولهذا لم ينكر عليه، ولو حتم محوه لنفسه لم يجز لعلي تركه، ولا أقره النبي (ﷺ) على المخالفة"^(٣).

ثانياً: إن المسارعة للمحو قد لا تكون مستحبة، ولعل النبي (ﷺ) كان يرغب بهذا التلبث والتريث، ليظهر به أن اصحاب النبي (ﷺ)، لا يرضون بأن يتعرض النبي (ﷺ)

١- رسائل الشريف المرتضى ج ١ ص ٤٤٢.

٢- رسائل الشريف المرتضى ج ١ ص ٤٤٣.

٣- شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٢ ص ١٣٥.

لكسر كلمته، وإهاتته وإظهار ضعفه، ثم يكون إصراره (ﷺ) على المحو هو الذي يحسم الأمر.. فلم يكن هذا المحو بسبب قوة المشركين وضعف عزيمة المسلمين، بل كان تفضلاً وتكرماً من الرسول، ورفقاً وسجاجة خلق..

ثالثاً: قد يكون الأمر للتخيير، مثل جالس الحسن وابن سيرين، وقد يكون للإباحة، مثل قوله تعالى: **(فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا)**^(١).. وكالأمر عقيب الحظر، أو عقيب توهمه. وهو هنا من هذا القبيل، فإن النبي (ﷺ) قد رفع الحظر عن محو اسمه بقوله: "احمه". وهو لا يدل على أكثر من إباحة ذلك.. ثالثاً: إن هذه القضية موضع شك وريب من أساسها، وذلك لأسباب عديدة، سوف نوردتها في الفقرة التالية..

الشك فيما ينسب لعلي (عليه السلام):

إن شكنا في صحة ما ينسب إلى علي (عليه السلام) يستند إلى الأمور التالية:
أولاً: إن علياً (عليه السلام) يقول: "لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد: أنني لم أردد على الله ولا على رسوله ساعة قط الخ.." (٢).

١- الآية ١٥ من سورة الملك.

٢- نصح البلاغة (بشرح عبده) ج ٢ ص ١٩٦ و ١٩٧ وراجع: شرح نصح البلاغة للمعتزلي ج ١٠ ص ١٧٩ و ١٨٠ و غرر الحكم ج ٢ ص ٢٨٨ و شرح أصول الكافي ج ١٢ ص ٤٥٤ و بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣١٩ والأنوار البهية ص ٥٠ والمراجعات ص ٣٣٠ ونبابع المودة ج ١ ص ٢٦٥ و ج ٣ ص ٤٣٦.

وأما عدم محو اسم رسول الله (ﷺ) حين قال له (ﷺ) فالظاهر أنه (ﷺ) عرف أن أمر يفيد اباحة هذا الفعل لعلي (ﷺ). وان الأمر يعود إليه (ﷺ) وأنه لا مانع عند النبي (ﷺ) من محو الاسم.. وقال المعتزلي - وهو يشير إلى اعتراضات بعض الصحابة على النبي (ﷺ) في الحديبية -: "إن هذا الخبر صحيح لا ريب فيه، والناس كلهم روه" (١).
ويؤكد ذلك: أن النبي (ﷺ) يقول: "علي مع الحق، والحق مع علي، يدور معه حيث دار"، أو "علي مع القرآن، والقرآن مع علي"، ونحو ذلك (٢). فإن من يكون مع الحق ومع القرآن، لا يمكن أن

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٠ ص ١٨٠.

٢ - راجع: دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٠٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٨ ص ٧٢ وعبقات الأنوار ج ٢ ص ٣٢٤ عن السندي في دراسات اللبيب ص ٢٣٣ وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٥ وج ١ ص ١٤١ - ١٤٦ والجمل ص ٨١ وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٢١ والمستدرک ج ٣ ص ١١٩ و ١٢٤ وربيع الأبرار ج ١ ص ٨٢٨ و ٨٢٩ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٤ ونزل الأبرار ص ٥٦ وفي هامشه عنه وعن: كنوز الحقائق ص ٦٥ وعن كنز العمال ج ٦ ص ١٥٧ وملحقات إحقاق الحق ج ٥ ص ٧٧ و ٢٨ و ٤٣ و ٦٢٣ و ٦٣٨ وج ١٦ ص ٣٨٤ و ٣٩٧ وج ٤ ص ٢٧ عن مصادر كثيرة جداً.

تصدر منه مخالفة لرسول الله (ﷺ) ولا عصيان لأمره.

ويؤكد مدى طاعة علي للرسول (ﷺ)، قوله (عليه السلام): أنا عبد من عبيد محمد^(١).

فهل يمكن أن يقارن من هذا حاله بمن يقول عن نفسه: أنا زميل محمد؟!^(٢).

وقد بلغ في التزامه بحرفية أوامره (ﷺ): أن النبي (ﷺ) قال له في خيبر: "اذهب ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك".

فمشى هنيهة، ثم قام ولم يلتفت للعزمة، ثم قال: علام أقاتل الناس؟

قال النبي (ﷺ): قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله^(٣).

١- بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٨٣ والتوحيد للصدوق ص ١٧٤ والإحتجاج ج ١ ص ٤٩٦ والكافي ج ١ ص ٩٠ وشرح أصول الكافي ج ٣ ص ١٣٠ و ١٣١ وعوالي اللآلي ج ١ ص ٢٩٢ والفصول المهمة ج ١ ص ١٦٨ وبحار الأنوار ج ٣ ص ٢٨٣ وعن ج ١٠٨ ص ٤٥ ونور البراهين ج ١ ص ٤٣٠.

٢- راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٩١ والغدير ج ٦ ص ٢١٢ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٥٩٠ وج ٣ ص ٧١٦ والفايق في غريب الحديث ج ١ ص ٤٠٠ وج ٢ ص ١١.

٣- راجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٩٣ والإحسان بترتيب = صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٣٨٠ وإسناده صحيح، ومسند أحمد ج ٢ ص ٣٨٤ - ٣٨٥ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١ وسنن سعيد بن منصور ج ٢ ص ١٧٩ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٥٨ و ٥٩ و ٥٧ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٥٩ والغدير ج ١٠ ص ٢٠٢ وج ٤ ص ٢٧٨ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٠٠ ومسند الطيالسي ص ٣٢٠ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٠ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ١٣٦ وج ١٢ ص ٤٩٤ ومناقب أمير المؤمنين ج ٢ ص ٥٠٣ والأماشي للطوسي ص ٣٨١ والعمدة ص ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٩ والطرائف ص ٥٩ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٧ وج ٣٩ ص ١٠ و ١٢ والنص والإجتهد ص ١١١ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٦٦ والسنن الكبرى ج ٥ ص ١١١ ورياض الصالحين ص ١٠٨ وكنز العمال ج ١ ص ٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٢ وجواهر المطالب ج ١ ص ١٧٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٥ وينايع المودة ج ١ ص ١٥٤.

وقال ابن عباس لعمر، عن علي (عليه السلام): إن صاحبنا من قد علمت، والله إنه ما غير ولا بدل، ولا أسخط رسول الله (صلى الله عليه وآله) أيام صحبته له (١).

ولو أنه خالف أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الحديدية، لكان النبي (صلى الله عليه وآله) سخط منه، ولم يصح قول ابن عباس هذا.

ثانياً: إن الساعين للطعن في علي (عليه السلام)، وتقبيح ما يصدر منه

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٥١ ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج ٥ ص ٢٢٩ وج ١٣ ص ٤٥٤ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٢٤٩ عنه وعن الزبير بن بكار في الموفقيات، وقاموس الرجال ج ٦ ص ٢٥ والدر المنثور ج ٤ ص ٣٠٩.

والتحايل عليه، لا يحددهم حد، ولا يقعون تحت عد، فلو كان قد صدر منه أمر قبيح لكانوا قد ملأوا الدنيا بأرجازهم وأزجالهم، ولكانوا قد تفننوا وتفاصحوا في خطبهم الطنانة والرنانة في لومه، وتوجيه الإهانات له، والغمز من قناته..

ثالثاً: إن النصوص ليست على نسق واحد في بيانها لهذا الأمر، بل في بعضها تصريح بما يكذب هذه النسبة..

فقد أظهرت بعض النصوص: أن اعتراض سهيل، قد أحفظ المسلمين، فبادر بعضهم للإمساك بيد علي (عليه السلام) ومنعه من الكتابة^(١).

وإن كنا نرى أن الأوفق بالطاعة هو انتظار أمر النبي (صلى الله عليه وآله) لا المبارزة إلى الإمساك بيد علي (عليه السلام).. وفي بعضها: أن سهيلاً هو الذي طلب من علي (عليه السلام) محو الاسم الشريف، فرفض (عليه السلام) طلبه. فبادر (صلى الله عليه وآله) للطلب من علي أن يضع يده على اسمه الشريف، حسماً للنزاع، وإعزازاً منه لعلي (عليه السلام)^(٢).

١- المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦١٠ و ٦١١ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٩٦ وغاية البيان في تفسير القرآن ج ٦ ص ٥٨ و ٥٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤٣ والسيرة الحلبية (ط المعرفة) ج ٢ ص ٧٠٨.

٢- راجع: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص ١٤٩ وإحقاق الحق (قسم الملحقات) ج ٨ ص ٤١٩ وج ٢٣ ص ٤٦١ والأمالي للطوسي ص ١٩٠ و ١٩١ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٣١٦ وراجع ج ٢٠ ص ٣٥٧ والخرايج والجرايح ج ١ ص ١١٦ وصفين للمنقري ص ٥٠٩ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٨٧.

وعن علي (عليه السلام): أن المشركين هم الذين راجعوه في هذا الأمر^(١).
رابعاً: في نص آخر: أن علياً (عليه السلام) هو الذي محا الكلمة، وقال للنبي (صلى الله عليه وآله): لولا طاعتك لما
محوتها^(٢).

ولعل الجدل الذي جرى بين علي (عليه السلام) وسهيل قد انتهى بتدخل الصحابة للإمساك بيد علي
(عليه السلام)، ثم تدخل النبي (صلى الله عليه وآله) بقوله:

ضع يدي عليها، وبذلك يكون قد حفظ أصحابه، ولم يعطل عملية الصلح.
ويؤيد ذلك: أن علياً (عليه السلام) قد محا عبارة: بسم الله الرحمن الرحيم، وكتب: باسمك اللهم، قائلاً: لولا
طاعتك لما محوتها، فمن يقول هذا كيف يعصيه بعد لحظات؟! فإن الطاعة إذا كانت تدعو لمحو الأولى، فهي
تدعو لمحو الثانية، خصوصاً إذا كان ذلك في مجلس واحد.
كما أن من يرضى بمحو الأولى التي هي الأصب، لماذا لا يرضى بمحو

١ - صفين للمنقري ص ٥٠٨.

٢ - كشف الغمة ج ١ ص ٣١٠ و (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٠٩ والإرشاد للمفيد ص ١٢٠ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٥٩ و ٣٦٣
و ٣٥٧ وعن إعلام الوری ص ٩٧ وكشف الغطاء (ط.ق) ج ١ ص ١٥.

الثانية؟!

خامساً: لنفترض: أن سهيل بن عمرو طلب من علي ذلك، ورفض علي طلبه، ثم قال له النبي (ﷺ):

أصحها.. فإن هذا القول لا يدل على إلزام علي (ﷺ) بالمحو، بل هو يدل على رفع الحظر، أي أنه أصبح يستطيع أن يححو إذا شاء.. فقد أوكل الأمر إليه.
فإذا بادر الصحابة للإمساك بيد علي (ﷺ) ليمنعوه من اختيار هذا الطرف . وهو طرف المحو . فإن تدخل النبي (ﷺ) بقوله:

ضع يدي عليها، يكون قد أتى لرفع الحرج عن علي (ﷺ) مع اخوانه من الصحابة، وإرادة إعزازه، وتعلية شأنه، مقابل سهيل بن عمرو.

سادساً: إن العديد من النصوص والروايات لم تشر إلى امتناع علي (ﷺ) عن محو الإسم الشريف، بل ساقط الحديث على أساس الأمر، وطاعة الأمر، ولا شيء سوى ذلك، فراجع، ما ذكره ابن حبان، وما روي عن الإمام الصادق (ﷺ)^(١)، واليعقوبي، وابن كثير، وغيرهما تجد طائفة

١- الثقات ج ١ ص ٣٠٠ و ٣٠١ وراجع: الكافي ج ٨ ص ٢٦٩ عن الإمام الصادق (ﷺ) مع بعض إضافات وتغييرات لا تضر.
وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٦٨ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٨ وتفسير البرهان ج ٤ ص ١٩٤ والإكتفاء = للكلاعي ج ٢ ص ٢٤٠ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٦ وحياة محمد لهيكل ص ٣٧٤ وإكمال الدين ص ٥٠.

من هذه النصوص المروية عن:

الزهري، وابن عباس، وأنس بن مالك، ومروان بن الحكم، والمسور بن مخرمة، وهو المروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً^(١).

١- تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٤ وراجع: البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٧٧ و ٢٨١ وروح المعاني ج ٩ ص ٥٠ والكشاف ج ٣ ص ٥٤٢. وحول النص المنقول عن الزهري راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٦٣٤ و البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٨ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٩ و ٣٥٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٣١ و ٣٣٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٠ و ٣٢١ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٥٣ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بمأمشه) ومسنند أحمد ج ١ ص ٨٦. وحول النص المنقول عن ابن عباس راجع: الرياض النضرة المجلد الثاني ص ٢٢٧ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٥٢٢ ومسنند أحمد ج ١ ص ٣٤٢ وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص ١٤٨ و ١٤٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٠ عن أحمد، وأبي داود، والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٥١ وتلخيص المستدرک للذهبي (مطبوع بمأمشه) وصحاحه على شرط مسلم، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٩٢. وروايتا أنس ومروان والمسور توجدان معاً أو إحداهما، أو بدون تسمية، في المصادر = = التالية: صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٩ و ٧٨ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٣٧ ومسنند أحمد ج ٣ ص ٢٦٨ و ج ٤ ص ٣٣٠ و ٣٢٥ وجامع البيان ج ٢٥ ص ٦٣ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٧ عنهم، وعن عبد بن حميد، والنسائي، وأبي داود، وابن المنذر، وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٥. وراجع: المواهب اللدنية ج ١ ص ١٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٣٧٠ و ٣٧١ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٩٨ و ٢٠٠ و البداية والنهاية ج ٤ ص ١٧٥ ومختصر تفسير ابن كثير ص ٣٥١ و ٣٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٣٣ والسنن الكبرى الكبرى ج ٩ ص ٢٢٠ و ٢٢٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢١ عن المدارك، وتفسير الخازن ج ٤ ص ١٥٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٠٥ و ١٤٦ و ١٤٧ والإحسان بتقريب صحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٧٧ وبهجة المحافل ج ١ ص ٣١٦ وزاد المعاد ج ٢ ص ١٢٥ ومسنند أبي عوانة ص ٢٤١. وحول ما روي عن علي (عليه السلام) وغيره راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٣٢ وقريب منه ما في ينابيع المودة ص ١٥٩ ومسنند أحمد ج ٤ ص ٨٦ و ٨٧ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٥ وقال: رواه أحمد ورجاله الصحيح. ومختصر تفسير ابن كثير ص ٣٤٧ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٩٢ وتفسير المراغي ج ٩ ص ١٠٧ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٨ عن أحمد، والنسائي، والحاکم وصححه، وابن جرير، وأبي نعیم في الدلائل، وابن مردويه.

لعلها قضية مستعارة:

ولنا أن نحتمل: أن تكون أجزاء هامة من هذه القضية قد استعيرت من قصة أخرى.. بهدف إثارة الشبهات والتساؤلات حول أقدس شخصية بعد رسول الله (ﷺ)..

والقصة هي: أن تميم بن جراشة قدم على رسول الله (ﷺ) في وفد ثقيف، فأسلموا، وسألوه أن يكتب لهم كتاباً فيه شروط، فقال: اكتبوا ما بدا لكم، ثم إيتوني به.

فأتوا علياً (عليه السلام) ليكتب لهم.

قال تميم: "فسألناه في كتابه: أن يحل لنا الربا والزنى. فأبى علي (عليه السلام) أن يكتب لنا.

فسألناه خالد بن سعيد بن العاص.

فقال له علي: تدري ما تكتب؟!!

قال: أكتب ما قالوا، ورسول الله أولى بأمره.

فذهبنا بالكتاب إلى رسول الله (ﷺ)، فقال للقارئ: اقرأ.. فلما انتهى إلى الربا قال: ضع يدي عليها في الكتاب.

فوضع يده، فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ) الآية^(١)..

ثم محاسنها.

١ - الآية ٢٧٨ من سورة البقرة.

وألقيت علينا السكينة، فما راجعناه.

فلما بلغ الزنى وضع يده عليها، وقال: (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) الآية^(١)، ثم محاه. وأمر بكتابتنا أن ينسخ لنا^(٢).

لك مثلها يا علي:

وقد قلنا: إن رسول الله (ﷺ) قال لعلي (عليه السلام) في الحديبية: لك مثلها، تعطيها، وأنت مضطهد، أو مضطر..

وظهر مصداق قوله (ﷺ) في حرب صفين، حينما أخذوا بكتابة كتاب المودعة، فابتدأوا فيه بعبارة:

هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان..

فقال معاوية: بنس الرجل أنا إن أقررت: أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته.

وقال عمرو: لا بل نكتب اسمه، واسم أبيه، إنما هو أميركم، فأما أميرنا فلا.

فلما أعيد إليه الكتاب أمر بمحوه.

فقال الأحنف: لا تمح اسم إمرة المؤمنين عنك؛ فإني أخوف، إن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً، فلا تمحها.

١ - الآية ٣٢ من سورة الإسراء.

٢ - أسد الغابة ج ١ ص ٢١٦ وقال: أخرجه أبو موسى، ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٧٢.

فقال (عليه السلام): إن هذا اليوم كيوم الحديبية، حين كتب الكتاب عن رسول الله (ﷺ): هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله (ﷺ) وسهيل بن عمرو.

فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك، إني لظالم لك إن منعتك أن تطوف بيت الله، وأنت رسوله، ولكن اكتب: من محمد بن عبد الله..

فقال لي رسول الله (ﷺ): يا علي، إني لرسول الله، وأنا محمد بن عبد الله، ولن يححو عني الرسالة كتابي لهم: من محمد بن عبد الله، فاكتبها، فامح ما أرادوا محوه، أما إن لك مثلها، ستعطيها وأنت مضطهد^(١). لماذا كان التزوير؟!

ولعل السبب في هذا التزوير:

١. أن ما أخبر به رسول الله (ﷺ) بقوله: ولك مثلها يا علي تعطيها وأنت مضطهد مقهور^(٢).. قد أخرج اتباع معاوية ومحبيه بعد

١- بحار الأنوار ج ٣٢ ص ٥٤١ و ٥٤٢ وصفين للمنقري ص ٥٠٣ و ٥٠٤ والمسترشد ص ٣٩١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٣٢ والدرجات الرفيعة ص ١١٧ وينايع المودة ج ٢ ص ١٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٢٨ ومصادر ذلك كثيرة.

٢- راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢٠ و ٢٠٤ والمعيار والموازنة ص ٢٠٠ وخصائص أمير المؤمنين علي (عليه السلام) للنسائي ص ١٤٩ و ١٥٠ وإحفاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٤١٩. والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤٣ والسيرة = الحلبية ج ٣ ص ٢٠ ومجمع البيان ج ٩ ص ١١٨ و ١١٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢١٤ وبحار الأنوار ج ٢ ص ٣٣٥ و ٣٥٢ و ٣٥٧ و ٣٥٩ و ٣٦٣ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣١٦ و ٣١٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٣٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٤٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٧٩ و ١٨٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٢١ وحيب السير ج ١ ص ٣٧٢ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣١٣ والخرايع والجرايع ج ١ ص ١١٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ١٩٠ و ج ٢ ص ٥٨٨ و ٢٣٢ والمغني لعبد الجبار ج ١٦ ص ٤٢٢ وينايع المودة للقندوزي ص ١٥٩ وصبح الأعشى ج ١٤ ص ٩٢ والأمالى للطوسي ج ١ ص ١٩٠ و ١٩١ وصفين للمنقري ص ٥٠٨ و ٥٠٩ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢١٠ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٢٠ وإعلام الورى ص ٩٧ والبرهان ج ٤ ص ١٩٣ ونور الثقلين ج ٥ ص ٥٢ والفتوح لابن أعمش ج ٤ ص ٨ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٧٧ والأخبار الطوال ص ١٩٤ عن تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٥٢ وعن فتح الباري ج ٥ ص ٢٨٦.

قضية التحكيم بعد صفين.
فلجأوا إلى إثارة الشبهات حول علي (عليه السلام)، لتخفيف الوطأة عن فريقهم.
٢. إن نفس الطعن بقداسة علي (عليه السلام)، وفي عصمته، والخط من

مقامه، والنيل منه، وابتدال شخصيته، ونسبة الرذائل والمعاصي إليه، وتصغير شأنه، حتى يصبح كسائر الناس العاديين، أمر مطلوب، ومحجوب لأعدائه، ومناوئيه. وبذلك تضعف حجة الطاعنين في مناوئيه، ويخرج أتباعهم من الإحراجات القوية التي تواجههم.

٣ - تكريس أبي بكر على أنه الرجل المميز بين جميع الصحابة، الذي كان يرى في الحديبية رأي رسول الله (ﷺ)، ويدعو الناس للقبول منه، والتسليم له..
قال دحلان: " .. ولم يكن أحد في القوم راضياً بجميع ما يرضى به النبي (ﷺ)، غير أبي بكر الصديق، وبهذا يتبين علو مقامه.

ويمكن أن الله كشف لقلبه، وأطلع على بعض تلك الأسرار التي ترتبت على ذلك الصلح، كما أطلع على ذلك النبي (ﷺ)، فإنه حقيق بذلك، كيف وقد قال النبي (ﷺ): "والله، ما صب الله في قلبي شيئاً إلا وصبته في قلب أبي بكر" (١).

وقد نسي دحلان أن أبا بكر قد حزن في الغار. ولم يحزن الرسول (ﷺ)، فأين ذهب ما كان النبي قد صبه في قلب أبي بكر آنئذ. وكذلك الحال في مبارزة عمرو في الخندق وكذلك ما جرى في خيبر وسواها..
٤ - إن السعي إلى جعل علي وعمر في سياق واحد، من حيث إن هذا يشك في دينه في الحديبية، وذلك يعصي أوامر الرسول الأكرم "صلى الله عليه

وآله" من شأنه أن يوجد حالة من التوازن، ثم تترجح كفة الفريق الآخر حيث جعل أبو بكر فوق الجميع، بل هو في مستوى رسول الله (ﷺ).

١ - السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤٣.

الباب السادس:

خير وفدك..

الفصل الأول:

فتح ثلاثة حصون من خيبر..

المسير إلى خيبر:

عن الضحاك الأنصاري، قال: لما سار النبي (ﷺ) إلى خيبر جعل علياً (عليه السلام) على مقدمته، فقال (ﷺ): من دخل النخل فهو آمن.

فلما تكلم النبي (ﷺ) نادى بها علي (عليه السلام)، فنظر النبي (ﷺ) إلى جبرائيل يضحك، فقال: ما يضحكك؟! قال: إني أحبه.

فقال النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام): إن جبرائيل يقول إنه يحبك!

قال (عليه السلام): بلَعْتُ أن يحبني جبرائيل؟! قال (ﷺ): نعم، ومن هو خير من جبرائيل، الله عزَّ وجلَّ^(١).

١ - أسد الغابة ج ٣ ص ٣٤ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٦ و المعجم الكبير للطبراني ج ٨ ص ٣٠١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٧٩ و ج ٢١ ص ٣٠٦ و ٣٠٧.

ونقول:

إننا نشير هنا إلى عدة أمور، في سياق العناوين التالية:

الرايات لم تكن قبل خيبر:

قال ابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد: إن النبي (ﷺ) فرق الرايات، ولم تكن الرايات إلا يوم خيبر، وإنما كانت الألوية^(١).

وكانت راية رسول الله (ﷺ) سوداء، من برد عائشة تدعى العقاب، ولواؤه أبيض، دفعه إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام)..

ودفع راية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سعد بن عباد. وكان شعارهم: يا منصور أمت^(٢).

١- سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٠ وقال في الهامش: أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٤ ص ٤٨ وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤٢٠٢) والواقدي في المغازي ج ١ ص ٤٠٧، و (ط أخرى) ج ٢ ص ٦٤٩.

والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٠٦ وإمتاع الأسماع ص ٣١٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٤.

٢- سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٠ وفي الهامش قال: أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٤ ص ٤٨ وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤٢٠٢) والواقدي في المغازي ج ٢ ص ٦٤٩.

وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٤ والإمتاع ص ٣١١ و ٣١٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤٤٢.

وأضاف الحلبي: راية إلى أبي بكر، وراية إلى عمر^(١).

ونقول:

أولاً: قالوا: إن اللواء الذي دفعه النبي (ﷺ) إلى علي (عليه السلام) يوم خيبر . وكان أيضاً . كان يقال له: العقاب أيضاً^(٢).

وذلك يشير إلى عدم الفرق بين اللواء والراية، فإن العقاب الذي كان عند النبي (ﷺ) كان يقال له: راية تارة، ويقال له: لواء أخرى.

ثانياً: ذكروا: أن النبي (ﷺ) أعطى اللواء لعلي (عليه السلام) في قضية قتل مرحب، مع أن الكلمة التي تناقلوها عن النبي (ﷺ) في ذلك هي: "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله إلخ...".
وفي نص آخر: أنه (ﷺ) قال لعلي (عليه السلام): خذ هذه الراية وتقدم^(٣).

١ - السيرة الخلبية ج ٣ ص ٣٥ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٤.

٢ - السيرة الخلبية ج ٣ ص ٣٦ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٤ عن سيرة الدمياطي.

٣ - راجع: السيرة الخلبية ج ٣ ص ٣٦ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٤ وكشف الغطاء ج ١ ص ١٥ وشرح الأخبار للقاضي النعمان ج ١ ص ٣٠٢ والعمدة ص ١٥٣ والطرائف لابن طاووس ص ٥٧ والصوارم المهركة ص ٣٥ وبحار الأنوار ج ٣٩ ص ٩٠ وبغية الباحث ص ٢١٨ والمعجم الكبير للطبراني ج ٧ ص ٣٥ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ١٣ والكامل لابن عدي ج ٢ ص ٦١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٨٩ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٧٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٩٨.

وذلك يؤكد على عدم الفرق بين اللواء والراية أيضاً.
إلا أن يقال: إنه (ﷺ) قد جمع لعلّي (عليه السلام) هنا بين الراية واللواء.
ثالثاً: تقدم في غزوة أحد: أنهم تارة يقولون: كانت راية رسول الله (ﷺ) مع علي (عليه السلام) في بدر وفي كل مشهد.

وأخرى يقولون: كان علي (عليه السلام) حامل لواء رسول الله (ﷺ) في بدر وفي كل مشهد، والظاهر أنهم يريدون الحديث عن شيء واحد..

رابعاً: ومما يدل على أن الراية واللواء كانا سابقين على خيبر، وقد جمعهما النبي (ﷺ) لعلّي (عليه السلام) قبل هذه الغزوة، قول الشيخ المفيد "ﷺ": "ثم تلت بدرًا غزاة أحد، فكانت راية رسول الله (ﷺ) بيد أمير المؤمنين (عليه السلام) فيها، كما كانت بيده يوم بدر، فصار اللواء إليه يومئذ، ففاز بالراية، واللواء جميعاً"^(١).

وقال "ﷺ" أيضاً، ما ملخصه: كانت راية قريش ولوؤها بيد قصي بن كلاب، ثم لم تزل بيد ولد عبد المطلب، فلما بعث النبي "ﷺ"

١- الإرشاد ج ١ ص ٧٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٧٩ و ٨٠ عنه، والمستجد من الإرشاد (المجموعة) ص ٦٥ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٥٤.

صارت راية قريش وغيرها إلى النبي (ﷺ)، فأعطاهما علياً (عليه السلام) في غزاة ودان، وهي أول غزاة حملت فيها راية في الإسلام.

ثم لم تنزل مع علي (عليه السلام) في المشاهد، في بدر، وأحد.

وكان اللواء بيد بني عبد الدار، فأعطاه رسول الله (ﷺ) إلى مصعب بن عمير، فاستشهد، ووقع اللواء من يده، فتشوقته القبائل، فأخذه (ﷺ) فدفعه إلى علي (عليه السلام)، فجمع له يومئذ الراية واللواء، فهما إلى اليوم في بني هاشم^(١).

خامساً: ويدل على عدم صحة قولهم: إنه (ﷺ) جمع الراية واللواء يوم خيبر ما رواه أبو البخترى عن الإمام الصادق عن أبيه "عليه السلام": "أن رسول الله (ﷺ) بعث علياً (عليه السلام) يوم بني قريظة بالراية، وكانت سوداء تدعى العقاب، وكان لواؤه أبيض^(٢)".

١- الإرشاد ص ٤٨ و (ط دار المفيد) ج ١ ص ٧٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٨٠ و ج ٤٢ ص ٥٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٩٩ و (ط المطبعة الحيدرية) ج ٣ ص ٨٥ وكفاية الطالب ص ٣٣٥ وإعلام الوري ص ١٩٣ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٣٧٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٣٧.

٢- قرب الإسناد ص ١٣١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٦ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ١٤٤ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ١١٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ١١٥.

قال المجلسي: الراية: العلم الكبير، واللواء أصغر منها، قال في المصباح: لواء الجيش علمه، وهو دون الراية^(١).

والحديث عن اتحاد اللواء مع الراية واختلافهما لا أثر له هنا، فالنصوص تقول: إنه (ﷺ) كان يعطي اللواء لعلي (عليه السلام)، وكان يعطي الراية لعلي سواء اتحدا أو اختلفا.
راية النبي (ﷺ) من برد عائشة:
وقد زعمت الرواية المتقدمة: أن الراية المسماة بالعقاب هي من مرط لعائشة، وكانت سوداء..
ونقول:

أولاً: لماذا اختار النبي (ﷺ) مرط عائشة ليتخذ منه راية حربيه؟! هل لأنه لم يجد في المدينة ما يجعله راية سوى ذلك المرط؟! وهو الثوب الذي يؤتزر به!!
ثانياً: تقدم: أن الشيخ المفيد "رحمته الله" قال: إن الراية كانت قد عقدت، وأعطيت لعلي (عليه السلام) في غزوة ودان، وهي إنما كانت في صفر، وهو الشهر الثاني عشر بعد الهجرة النبوية الشريفة، أو نحو ذلك.. ويشك في أن تكون عائشة في بيت النبي (ﷺ) آنئذٍ، لأنها إنما

١ - بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٦.

دخلت بيت النبي (ﷺ) إما بعد الهجرة بثمانية أشهر، كما قيل، أو دخلته بعدها بثمانية أو بتسعة أشهر، كما عن ابن شهاب الزهري^(١).

وقال ابن الأثير: بنى بها في المدينة سنة اثنتين^(٢).

فإذا كان وجود عائشة في بيت النبي (ﷺ) مشكوكاً فيه، فلا يصح إطلاق القول بأن مرط عائشة قد جعل راية للنبي (ﷺ)، لأن ذلك يصبح موضع شك وريب كبير أيضاً.
ثالثاً: سيأتي في فتح خيبر الحديث الذي يقول: إن أبا بكر . كما يروي بريدة . أخذ راية رسول الله (ﷺ)، وكانت بيضاء، ثم نهض

١- الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٤ ص ٣٥٦ . ٣٥٧ وراجع: الإصابة ج ٤ ص ٣٥٩ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ٢٣١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٧ وراجع ص ٣٥٨ عن المواهب اللدنية، وتاريخ الياضي، والوفاء لابن الجوزي. وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٥٨ و ٢١٧ والثقات لابن حبان ج ١ ص ١٤٤ والمستدرک للحاكم ج ٤ ص ٤ والمنتخب من ذيل المذيل للطبري ص ٩٣ وعميون الأثر ج ٢ ص ٣٨٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤٠٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ٢٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٣٢.
٢- أسد الغابة ج ١ ص ٣٣ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٩٩.

إلخ...^(١).

لم يؤمر على علي (عليه السلام) أحداً:

قلنا أكثر من مرة: إنه (عليه السلام) لم يؤمر على علي (عليه السلام) أحداً، فهو قائد الجيش كله في هذه الحرب، وفي كل حرب، وهو أيضاً على مقدمة الجيش فيها.

وكانت الأنباء عن هذا الجيش وقائده تصل إلى يهود خيبر، الذين كانوا يتابعون الأحداث عن كثب، ولا سيما ما حلّ بإخوانهم من بني قريظة

١ - الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٤ . ١٨٨ . والإرشاد للمفيد = (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٢١ وراجع: شرح الأخبار للقاضي النعمان ج ١ ص ١٤٧ والعمدة لابن البطريق ص ١٥٠ عن تفسير الثعالبي، والطرائف لابن طاووس ص ٥٨ وإحقاق الحق ج ٥ ص ٣٧٣ ومسنند أحمد ج ٥ ص ٣٥٨ والمناقب للخوارزمي (ط النجف) ص ١٠٣ وفي (طبعة أخرى) ص ١٦٧ وجمار الأنوار ج ٢١ ص ٣ وج ٣٩ ص ١٠ ومناقب أهل البيت للشيرازي ص ١٣٩ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٧ وعن فتح الباري ج ١٠ ص ١٢٩ ومجمع البيان ج ٩ ص ٢٠١ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص ١٥٦ وتفسير الميزان ج ١٨ ص ٢٩٥ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٠٠ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢١٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٣٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٤ .

والنضير، وقينقاع. وكذلك ما جرى لقريش في حروبها الثلاثة الكبرى مع رسول الله (ﷺ): بدر، وأحد، والخذق.

كما أن كون الجيش بقيادة علي (عليه السلام)، لا بد أن يعطي الجيش الإسلامي مزيداً من الإعتزاز، والإندفاع، والثقة بالنصر..

ثمة قيادات أخرى مزعومة:

وقال الدباريكري: "واستعمل على مقدمة الجيش عكاشة بن محصن الأسدي، وعلى الميمنة عمر بن الخطاب، وعلى الميسرة واحداً من أصحابه، وفي بعض الكتب علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وهذا غير صحيح:

لأن الروايات الصحيحة تدل على: أن علياً في أوائل الحال لم يكن في العسكر، وكان به رمد شديد، ولما لحق بالعسكر، أعطاه الراية، وأمره على الجيش، ووقع الفتح على يده كما سيجيء.. " انتهى^(١).
ونقول:

إن لنا على ما ذكره بعض المؤرخين:

أولاً: إن عمر بن الخطاب لم يكن قد عرفت عنه تلك الشجاعة التي تؤهله لهذا المقام الخطير، وهو أن يكون على ميمنة الجيش.. بل وجدنا منه خلاف ذلك، خصوصاً في أحد والخذق فضلاً عن أحد وسواها.

١ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٢.

ولمحات هؤلاء الناس، نقول:

ألم يكن أبو دجانة، أو الزبير، أو المقداد، أو الحباب بن المنذر، أو سعد بن عباد، موجودين؟! فلماذا لم يعط القيادة لواحد منهم؟!

ثانياً: لماذا أجهم الديار بكري اسم الذي كان على الميسرة؟! هل لأنه كان معروفاً بدرجة لم تسمح باستبداله بغيره؟! أو هل كتموا اسمه كما كتمت عائشة اسم علي حين ذكرت:

أن النبي (ﷺ) خرج في مرض موته إلى الصلاة يتوكأ على الفضل بن العباس وعلى رجل آخر، لا تحب أن تذكره عائشة بخير، وهو علي (عليه السلام)؟!

ثالثاً: قولهم: إن علياً (عليه السلام) في أوائل الحال لم يكن في العسكر ليس دقيقاً، إذ إنه سيأتي: أن علياً (عليه السلام) كان على رأس الجيش إلى خيبر، من حين خروج ذلك الجيش من المدينة، ولكنه حين طال مقامه في خيبر - ربما عشرة أيام - رمدت عيناه، لأن الرمد لم يصب علياً (عليه السلام) كل هذه المدة الطويلة، بل أصابه قبل قتل مرحب بوقت يسير، وكان قتل مرحب في أواخر حرب خيبر، وبعد حصار حصون اليهود عشرات الأيام، فإن حصن القموص وحده حوصر عشرين يوماً.

وقد أعطى النبي (ﷺ) اللواء لعلي (عليه السلام) قبل أن يفتح أي حصن من خيبر.

علي (عليه السلام) يسمع الناس أقوال النبي (صلى الله عليه وآله):
وقد تولى علي (عليه السلام) إسماع الناس أقوال النبي (صلى الله عليه وآله)، ونحن نعلم بأن علياً (عليه السلام) لا يقدم على أمر
من دون توجيهه أو إذن من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مما يعني: أن ذلك قد جاء من خلال تنسيق مسبق.. وإلا
فقد كان يمكن أن يتصدى غير علي (عليه السلام) لهذه المهمة..

حب الله لعلي (عليه السلام):

وتقدم: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد مهد لإعلان حب جبرائيل، ثم حب الله لعلي بإخباره (عليه السلام) بضحك
جبرائيل حين نادى مكرراً كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولكن علياً (عليه السلام) بادر إلى هضم نفسه، ولم يعطها مداها، حين قال متسائلاً: بلغت أن يجني
جبرائيل؟!!

مع أنه هو الذي جاء بالنصر في بدر وأحد، وحمراء الأسد، والخندق، فضلاً عن قريظة والنضير..

فاتح حصن ناعم علي (عليه السلام):

وكان أول حصن فتح من حصون النطاة حصن ناعم، وقد فتح على يد علي (عليه السلام) (١).

١- السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٤٠ وعون المعبود ج ٨ ص ١٧٢.

وفيه قتل محمود بن مسلمة، وقيل: إن مرحباً هو الذي قتله.
وزعموا: أن أخاه مُجَدّاً أخبر النبي (ﷺ) بقتل أخيه، فقال له (ﷺ): إنه سوف يرسل رجالاً يجب الله
ورسوله ويحبه الله ورسوله ليأخذ له بثأر أخيه، ثم أرسل علياً (عليه السلام).
ونقول:

إننا نشك في صحة ذلك، لما يلي:
أولاً: إن النبي (ﷺ) إنما قال كلمته هذه حين قتل علي (عليه السلام) مرحب اليهودي.. إلا إذا كان هؤلاء
يريدون التشكيك، أو صرف الأنظار عن فرار عمر بالراية يوم خيبر.. أو أنه (ﷺ) قال ذلك على سبيل
الإخبار بالغيب، الذي علمه الله إياه حول ما سيكون من فرار البعض، ثم فتح خيبر على يد علي (عليه السلام)..
ثانياً: لماذا لم يرسل مُجَدّاً بن مسلمة بالذات لهذه المهمة؟! أعني: مبارزة مرحب، ليشفي غليل صدره من
قاتل أخيه، فإنهم يسعون إلى تسطير الفضائل لابن مسلمة، ربما ليكافئوه على مناصرته، ومؤازرته، ومشاركته
في الهجوم على بيت فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ) بعد وفاة أبيها..

ثالثاً: زعمت بعض النصوص التي يروونها مضادة منهم لعلي (عليه السلام): أن ابن مسلمة هو الذي قتل مرحباً، الذي يدعون أنه قتل محمود بن مسلمة..

مع أنهم يذكرون ما يدل على أن مرحباً كان حبيباً وقريباً لمحمد بن مسلمة، وأن ابن مسلمة قد انزعج لقتله، وحقد على قاتله.

فقد قال ابن قتيبة: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: ذنبي إلى محمد بن مسلمة أنني قتلت أخاه يوم خيبر: مرحب اليهودي^(١).

ولعله كان أخاه على الحقيقة، أو كان أخاه من الرضاعة، أي لم يكن أخاه لأمه..

رابعاً: هناك نص يقول: إن الذي قتل محمود بن مسلمة هو كنانة بن الربيع، أو شخص آخر، أسره علي (عليه السلام)، وسلمه لمحمد بن مسلمة ليقتله بأخيه^(٢).

١- الإمامة والسياسة (ط سنة ١٣٥٦ هـ) ج ١ ص ٥٤ و (تحقيق الزيني) ج ١ ص ٥٣ و (تحقيق الشيرازي) ج ١ ص ٧٣ وقاموس الرجال ج ٨ ص ٣٨٨ و (ط مركز النشر الإسلامي) ج ٩ ص ٥٨٦ عنه.

٢- راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٤٠ و شرح السير الكبير للسرخسي ج ١ ص ٢٨١.

الحباب في حصن الصعب:

وزعمت بعض الروايات: أنه بعد فتح حصن ناعم دفع النبي (ﷺ) اللواء للحباب بن المنذر، وندب الناس لمهاجمة حصن الصعب بن معاذ، وكان حصناً منيعاً، فما رجعوا حتى فتحه الله عليهم، وذكروا تفاصيل عما فعله الحباب في فتحه لهذا الحصن.

وقد ناقشنا أقاويلهم هذه في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) (١)، فلا حاجة إلى ذلك هنا.. فراجع..

غير أننا نريد أن نشير هنا إلى أن الظاهر: أن المقصود باللواء الذي أعطاه للحباب هو لواء الجيش كله، مع أننا قلنا أكثر من مرة: إن النبي (ﷺ) لم يعط لواءه لأحد غير علي (عليه السلام) في أي من حروبه إلا في أربعة مواضع هي:

١ - غزوة تبوك.

٢ - غزوة خيبر، حين أعطى الراية لأبي بكر، فرجع منهزماً.

٣ - غزوة خيبر أيضاً، حين أعطى الراية لعمر، فرجع هو الآخر منهزماً.

٤ - قريظة، حين أرسل كبار أصحابه، فخرج إليهم بنو قريظة من حصنهم، فعادوا إلى النبي (ﷺ) مهزومين..

أما في غزوة ذات السلاسل، فيبدو أنه (ﷺ) لم يجرد جيشاً بنفسه، بل أرسل سرية، وأمر عليها تارة هذا وتارة ذلك، من دون أن

١ - الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) ج ١٧ فصل: "فتح سائر حصون النطا والشق".

يخرج هو من المدينة ..

وإنما فعل (ﷺ) ذلك في قريظة وخيبر، لإلّا يقول قائل: لو كنا مكان علي (عليه السلام) لفعلنا مثل فعله، ولحكّم أخرى لا مجال للبحث فيها هنا ..

ونحن لا نستطيع أن نتجاهل النص المتواتر الذي يقول: إن علياً (عليه السلام) كان صاحب لواء (أو راية) رسول الله (ﷺ) في بدر وفي كل مشهد. وكان (ﷺ) يؤمره على الناس، ولم يؤمر عليه أحداً قط^(١)، وهذا ما كتبه المأمون للعباسيين في رسالة منه لهم^(٢).

١ - مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٥١ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٣٣٥ وج ٤٧ ص ١٢٧ وراجع: شرح الأخبار ج ١ ص ٣٢٠ ودلائل الإمامة ص ٢٦١ ونوادر المعجزات ص ١٤٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٩٦ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص ١٢٣ و ١٣٥ ونهج الإيمان ص ٤٦٧ .

٢ - الطوائف لابن طاووس ص ١٣١ . ١٣٥ (ط الفارسية) عن كتاب نديم الفريد، لابن مسكويه صاحب كتاب: حوادث الإسلام، و(ط مطبعة الخيام) ص ٢٧٧ وبحار الأنوار ج ٤٩ ص ٢٠٩ وينايع المودة ج ٣ ص ٣٧٥ و خلاصة عقبات الأنوار ج ٧ ص ١٢١ والغدير ج ١ ص ٢١٢ ومواقف الشيعة ج ١ ص ٣١٥ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ١٥١ والإمام علي (عليه السلام) في آراء الخلفاء ص ١٨٠ وغاية المرام ج ٢ ص ٥٣ وراجع كتابنا: الحياة السياسية للإمام الرضا ص ٤٥٧ فما بعدها .

وعلى هذا، فإنه إن كان حاضراً ومشاركاً في فتح الحصون، فهو يعني: أنه كان أمير الجيش في جميعها..
حصن النزار:
وذكروا هنا أيضاً: أن صفية بنت حيي، وابنة عمها قد أخذتا من حصن النزار، لأن اليهود أخرجوا
النساء والذرية إلى الكتيبة، وفرغوا حصن النطاة للمقاتلة.
ولكن كنانة بن الحقيق رأى أن حصن النزار أحسن ما هنالك، فأبقاها فيه، هي ونسيات معها؛ فأسرت
تلك النسوة في حصن النزار^(١).

ونقول:

هناك نصوص كثيرة تقول: إن علياً (عليه السلام) هو الذي فتح الحصن، وجاء بصفية إلى رسول الله
(ﷺ)^(٢).

فإن كان علي (عليه السلام) هو الذي فتح هذا الحصن أيضاً، كما فتح حصن القموص، فهو يدل على وجود
تصرف خطير في الحقائق التاريخية،

١- المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٦٨ و ٦٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٢٢٢.

٢- قد ذكرنا مصادر ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب، وراجع: بحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٢ وعن الخصائص للنسائي ص ٦٣ وفي
هامشه عن: أعلام النساء ج ٢ ص ٣٣٣ وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٩٠ والدر المنثور ج ١ ص ٢٦٣.

ومحاولة تحريف لها..

يضاف إلى ذلك: أن هذا النص يفيد: أن رمد عيني علي (عليه السلام) الذي هباً الفرصة لأخذ أبي بكر وعمر وغيرهما الراية في حصن القموص، ثم فرارهما بها . إن هذا الرمد . قد كان بعد فتح حصن النزار، وفي أيام حصار حصن القموص، الذي استمر عشرين ليلة، كما سيأتي..

الفصل الثاني:

المنهزمون .. نصوص .. وآثار..

النصوص والآثار:

وكان حصن القموص من أشد حصون خيبر، وأكثرها رجالاً^(١).
وقد فتح الله هذا الحصن على يد علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، بعد أن حاصره المسلمون عشرين يوماً^(٢).
وزعموا: أن كنانة بن أبي الحقيق صالح النبي على حصن القموص^(٣).
وهو غلط، فإن الصلح كان على حصن الكتيبة، أما حصن القموص، فقد فتحه علي (عليه السلام) كما هو
صريح كلمات المؤرخين، وروايات

-
- ١ - إعلام الوري ج ١ ص ٢٠٧ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢١ وراجع: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٦.
 - ٢ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٤١ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٤٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٤ وراجع: قصص الأنبياء للراوندي ص ٣٤٤ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٠٧ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢١ وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١٨.
 - ٣ - المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٧٠ وراجع: البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٢٢٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٧٦.

المحدثين .

وهنا أعطى النبي (ﷺ) أبا بكر، راية رسول الله وكانت بيضاء، فسار بالناس فانهزم، بمن معه حتى انتهى إلى رسول الله (ﷺ) يجينه أصحابه ويجبنهم .
فأرسل عمر باللواء فرجع، ولم يكن فتح، فانهزم هو وأصحابه، حتى انتهى إلى النبي (ﷺ)، وأصحابه يجبنونه، ويجبنهم^(١) .

تفاصيل روايات الفشل والفاشلين:

روى الشيخان، عن سهل بن سعد .

والبخاري، وابن أبي أسامة، وأبو نعيم، عن سلمة بن الأكوع .

١ - تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٠ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٤ ص ١٢٧ و ١٢٨ ولم يذكرها غير عمر في هذا النص، وكذا في الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٨ والإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٢٦ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٨ عن الخرايج والجرايح وراجع ص ٣ وج ٣٩ ص ١٠، وراجع: العمدة لابن البطريق ص ١٥٠ والطرائف لابن طاووس ص ٥٨ ومجمع البيان للطبرسي ج ٩ ص ٢٠١ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص ١٥٦ وتفسير الميزان ج ١٨ ص ٢٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٩٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٣٢٢ .

وأبو نعيم، والبيهقي، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه.
وأبو نعيم، عن ابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وأبي سعيد الخدري، وعمران بن حصين، وجابر بن عبد
الله، وأبي ليلي.

ومسلم، والبيهقي، عن أبي هريرة.

وأحمد، وأبو يعلى، والبيهقي، عن علي (عليه السلام).

قال بريدة: كان رسول الله (ﷺ) تأخذه الشقيقة، فيمكث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خير
أخذته الشقيقة، فلم يخرج إلى الناس، فأرسل أبا بكر، فأخذ راية رسول الله (ﷺ) - وكانت بيضاء^(١) - ثم
نفض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع، ولم يكن فتح.

١- الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٨ والإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٢١ وراجع: شرح
الأخبار للقاضي النعمان ج ١ ص ١٤٧ والعمدة لابن البطريق ص ١٥٠ عن تفسير الثعالبي، والطرائف لابن طاووس ص ٥٨ وإحقاق
الحق ج ٥ ص ٣٧٣ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٨ والمناقب للخوارزمي (ط النجف) ص ١٠٣ وفي (طبعة أخرى) ص ١٦٧.
وراجع: بحار الأنوار ج ٢١ ص ٣ وج ٣٩ ص ١٠ ومناقب أهل البيت للشيرازي ص ١٣٩ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٣٧ وعن فتح
الباري ج ١٠ ص ١٢٩ ومجمع البيان ج ٩ ص ٢٠١ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص ١٥٦ وتفسير الميزان ج ١٨ ص ٢٩٥
وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٠٠ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢١٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٣٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير
ج ٣ ص ٣٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٤.

وقد جهد (وقتل محمود بن مسلمة)^(١).

ثم أرسل عمر، فأخذ راية رسول الله (ﷺ)، فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول، ثم رجع، ولم يكن فتح.

وعن علي (عليه السلام): أن الغلبة كانت لليهود في هذين اليومين^(٢). انتهى.

وفي نص آخر: أنه (ﷺ) أرسل عمر في اليوم الأول، ثم أرسل أبا بكر في اليوم الثاني، ثم أرسل عمر في اليوم الثالث، ولم يكن فتح^(٣).

١ - راجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٢١٣ فما بعدها عن البيهقي، وراجع المصادر المتقدمة في الإحالة السابقة. غير أننا ذكرنا فيما تقدم: أن محمود بن مسلمة قد قتل في حصن ناعم.

٢ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ فما بعدها ودلائل النبوة ج ٤ ص ٢٠٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٤١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٠ وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ ومعالم التنزيل (ط مصر) ج ٤ ص ١٥٦ وتذكرة الخواص ص ٢٥ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٤ ص ١٢٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨.

٣ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ وراجع: مناقب أهل البيت للشيرازي ص ١٤١.

وعن بريدة: حاصرنا خيبر، فأخذ اللواء أبو بكر، فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذه عمر من الغد، فخرج ورجع، ولم يفتح له. وأصاب الناس يومئذ شدة جهد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إني دافع اللواء الخ. (١).

ونحن لم نعرف حقيقة هذا الجهد، إذ لم نجد منه إلا الهزيمة. والعودة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يجنب أصحابه وهم يجنبونه.

وعند الطبري: فأنكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يجنبه أصحابه ويجنبهم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لأعطين الراية - اللواء - غداً رجالاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. فلما كان من الغد تناول لها أبو بكر، وعمر، فدعا علياً (عليه السلام) الخ. (٢).

١- مسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٣ وراجع: الخصائص للنسائي (ط التقدم بمصر) ص ٥ والسيرة النبوية لابن هشام (المطبعة الخيرية بمصر) ج ٣ ص ١٧٥ وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٣٤ وشرح أصول الكافي ج ١٢ ص ٤٩٤ والعمدة لابن البطريق ص ١٤٠ والطرائف لابن طاووس ص ٥٥ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ١٣٣ وج ٣٩ ص ٧ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ١٥٠ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٩٢ و ٩٣ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٧٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٣١٨ وينايع المودة للقندوزي الحنفي ج ١ ص ١٥٥.

٢- تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٠ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٤ ص ١٢٧ و ١٢٨ ولم يذكر غير عمر في هذا النص، وكذا في الرياض النضرة (ط مجد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٥. والإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ١٢٦ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٨ عن الخرايج والجرايح وراجع ص ٣ وج ٣٩ ص ١٠، وراجع: العمدة لابن البطريق ص ١٥٠ والطرائف لابن طاووس ص ٥٨ ومجمع البيان للطبرسي ج ٩ ص ٢٠١ وخصائص الوحي لابن البطريق ص ١٥٦ وتفسير الميزان ج ١٨ ص ٢٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٩٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٣٢٢.

وعن أبي ليلى، وابن عباس: بعث أبا بكر فسار بالناس، فانهزم حتى رجع إليه، وبعث عمر فانهزم بالناس حتى انتهى إليه، فقال رسول الله (ﷺ): لأعطين الخ..^(١).
زاد بعضهم قوله: ثم بعث رجلاً من الأنصار فقاتل ورجع، ولم يكن فتح^(٢).

١- منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٥ ص ٤٤ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣١٨ وبحار الأنوار ج ٣ ص ٥٢٥ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٣٧ وعن المصنف لابن أبي شيبه ج ١ ص ٤٩٧ وج ٨ ص ٥٢٢ وكنز العمال ج ١٣ ص ١٢١.

٢- راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٦ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٤.

فأخبر رسول الله (ﷺ) بذلك فقال: "لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله عليه، ليس بفرار، يحب الله ورسوله، يأخذها عنوة".

وفي لفظ: "يفتح الله على يديه".

قال بريدة: فبتنا طيبة أنفسنا أن يفتح غداً، وبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها.

فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (ﷺ) كلهم يرجو أن يعطاها.

قال أبو هريرة: قال عمر: فما أحببت الإمارة قط حتى كان يومئذ^(١).

قال بريدة: فما منا رجل له من رسول الله (ﷺ) منزلة إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل، حتى تناولت أنا لها، ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه، وليس منة^(٢).

وفي حديث سلمة، وجابر: وكان علي تخلف عن رسول الله (ﷺ) لرمد شديد كان به لا يبصر، فلما

سار رسول الله (ﷺ) قال: لا، أنا أتخلف عن رسول الله (ﷺ)!!

فخرج فلحق برسول الله (ﷺ) في الطريق، أو بعد

١ - ستأتي مصادر كثيرة لهذا الحديث إن شاء الله تعالى.

٢ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٤ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٤ ص ١٢٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٤ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٠ ص ٤٦٣ ومصادر أخرى كثيرة.

وصوله إلى خير^(١).

ثم ذكر البخاري وغيره، قوله (ﷺ): لأعطين الراية غداً..

إلى أن قال: فنحن نرجوها، فقليل: هذا علي، فأعطاه، ففتح عليه^(٢).

وفي نص آخر: فإذا نحن بعلي، وما نرجوه، فقالوا: هذا علي الخ..^(٣).

-
- ١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٤ وراجع: صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح) ج ٥ ص ١٧١ وراجع ص ٢٣ و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٧٦.
- ٢- صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج ٥ ص ١٧١ و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٧٦ والعمدة لابن البطريق ص ١٤٧ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٤٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥١.
- ٣- صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج ٥ ص ٢٣ و (ط دار الفكر) ج ٤ ص ١٢ و ٢٠٧ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٧ ص ١٢٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٦٢ وعمدة القاري ج ٤ ص ١٤٣ و ج ١٦ ص ٢١٥ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٢٦٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ والخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ و ٢٥٢ والعمدة لابن البطريق ص ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ وبحار الأنوار ج ٣٩ ص ١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٨٩ وإمتاع الأسماع ج ١١ ص ٢٨٦ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٣١٩ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٦٢.

قال بريدة: وجاء علي (عليه السلام) حتى أناخ قريباً، وهو زمد، قد عصب عينيه بشق برد قطري.

فقال رسول الله (ﷺ): ما لك؟!!

قال (عليه السلام): رمدت بعدك.

فقال رسول الله (ﷺ): ادن مني.

فدنا منه، ثم ذكر أنه أعطاه الراية، فنهض بها معه، وعليه حلة أرجوان حمراء، قد أخرج خملها، فأتى خير

الخ..^(١).

وفي نص آخر: قال بريدة: فلما أصبح رسول الله (ﷺ) صلى الغداة، ثم دعا باللواء، وقام قائماً.

قال ابن شهاب: فوعظ الناس، ثم قال: "أين علي"؟

قالوا: يشتكى عينيه.

قال: "فأرسلوا إليه".

قال سلمة: فجئت به أقوده، قالوا كلهم: فأُتي به رسول الله (ﷺ) "

١- البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٥ فما بعدها، وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٠١ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص ١٥٦ والمنقب للخوارزمي ص ١٦٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٥ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢٢٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٣ ص ١٣٠.

، فقال له رسول الله (ﷺ): "ما لك؟"

قال: رمدت حتى لا أبصر ما قدامي.

قال: "ادن مني".

وفي حديث علي عند الحاكم: فوضع رأسي عند حجره، ثم بزق في ألية يده، فذلك بها عيني.

قالوا: فبرئ، كأن لم يكن به وجع قط، فما وجعهما علي حتى مضى لسبيله، ودعا له، وأعطاه الراية^(١).

١ - راجع هذه الكرامة الجليلة في المصادر التالية: منتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج ٤ ص ١٢٧ و ١٢٨ والصواعق المحرقة (ط الميمنية) ص ٧٤ وحياة الحيوان (مطبعة الشرفية بالقاهرة) ج ١ ص ٢٣٧ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص ٥٦٤ والإصابة ج ٢ ص ٥٠٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٠٧ ومناقب الإمام علي لابن المغازلي (ط المكتبة الإسلامية) ص ١٧٦ ومصابيح السنة (ط الخيرية بمصر) ج ٢ ص ٢٠١ والإستيعاب (مع الإصابة) ج ٣ ص ٣٦٦ ومعالم التنزيل ج ٤ ص ١٥٦ والشفاء (ط مصر) ج ٢ ص ٢٧٢ وجامع الأصول ج ٩ ص ٤٦٩ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ٢٥٨ وكفاية الطالب ص ١٣٠ و ١١٦ و ١١٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص ٧٤ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ٢ ص ١٨٨ و ج ١ ص ٥٠ وصحيح البخاري (ط محمد علي صحيح بمصر) ج ٥ ص ١٧١ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٥ و ج ٧ ص ١٢٠ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣ و ٣٥٣ و ٣٥٨ والجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٦٣٨ والخصائص للنسائي (مطبعة التقدم بمصر) ص ٤ و ٥ و ٦ و ٧ والسيرة النبوية لابن هشام (المطبعة الخيرية بمصر) ج ٣ ص ١٧٥ وطبقات ابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج ٣ ص ١٥٧ والمعجم الصغير ص ١٦٣ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٨ و ١٠٨ و ١١٦ و ٤٣٧ و راجع ص ١٢٥ = ولباب التأويل ج ٤ ص ١٥٢ و ١٥٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ و ٤٩ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٩ عن الخرايج والجرايح، ومعارج النبوة ص ٢١٩ والخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ فما بعدها وتاريخ الخلفاء (ط مطبعة السعادة) ص ١٦٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٠ و حلبة الأولياء ج ١ ص ٦٢ وتذكرة الخواص ص ٢٤ و ٢٥ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢١٩ و ٢٢٠ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢١ و ٢٥ و ٢٨ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ و ١٢٢ ومصادر كثيرة أخرى.

وذكروا: أنه (ﷺ) أرسل سلمة بن الأكوع إلى علي (عليه السلام)، فجاء يقوده وهو أرمم^(١).

١ - صحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٥ ومسند أحمد ج ٤ ص ٥٤ والطبقات الكبرى لابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج ٣ ص ١٥٧ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي (ط المكتبة الإسلامية) ص ١٧٦ ومعالم التنزيل ج ٤ ص ١٥٦ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٤ ص ١٣٠ وحياة الحيوان (مطبعة الشرفية بالقاهرة) ج ١ ص ٢٣٧ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٧ ولباب التأويل للخازن ج ٤ ص ١٥٢ و ١٥٣.

قال سهل: فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟
فقال: "أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم. ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى، وحق رسوله. فوالله، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم"^(١).
وقال أبو هريرة: إن رسول الله (ﷺ) قال لعلي: "اذهب فقاتلهم حتى يفتح الله عليك، ولا تلتفت".
قال: علام أقاتل الناس؟
قال: "قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله".
فخرجوا، فخرج بها . والله يأيح . يهرول هرولة، وإنما خلفه تتبع أثره.

١ - صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج ٥ ص ١٧١ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٢١ ومسنند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣ والخصائص للنسائي ص ٦ وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ والسنن الكبرى ج ٩ ص ١٠٧ وتذكرة الخواص ص ٢٤ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٨ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص ٥٦٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ فما بعدها وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص ٧٤ وراجع: الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ٢ ص ١٨٤ و ١٨٨.

حتى ركزها تحت الحصن.

فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟

قال: عليّ.

أو قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال اليهودي: غلبتهم (أو علوتم)، والذي أنزل التوراة على موسى. فما رجع حتى فتح الله تعالى على

يديه^(١).

وعن حذيفة: "لما تهيأ علي (عليه السلام) للحملة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

"يا علي، والذي نفسي بيده، إن معك من لا يخذلك. هذا جبريل (عليه السلام) عن يمينك، بيده سيف لو

ضرب الجبال لقطعها، فاستبشر بالرضوان والجنة.

يا علي: إنك سيد العرب، وأنا سيد ولد آدم."

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٤ و ١٢٥ والأنس الجليل (ط الوهبيّة) ص ١٧٩ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ١٧٥ وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ والإكتفاء للكلاعي (ط مكتبة الخانجي) ج ٢ ص ٢٥٨ والكمال (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢٢٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها، وذخائر العقبى ص ١٨٤ - ١٨٨. والخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ و ٢٥٢ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٩ و بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٦.

وفي رواية: أنه (ﷺ) ألبسه درعه الحديد^(١)، وشد ذا الفقار في وسطه، وأعطاه الراية، ووجهه إلى الحصن.

فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟! الخ. (٢).

-
- ١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٩ وراجع: تحف العقول ص ٣٤٦ وعن عون المعبود ج ٨ ص ١٧٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧١.
- ٢- السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٩ وراجع: شرح اللمعة للشهيد الثاني ج ٧ ص ١٥٢ وزبدة البيان للأردبيلي ج ١٢ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ١٣٦ و ج ١٢ ص ٤٩٤ ومناقب أمير المؤمنين للكوفي ج ٢ ص ٥٠٧ و ٥٠٨ وعن الإحتجاج ج ١ ص ١٦٧ والعمدة ص ١٤٢ و ١٤٦ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٧ والطرائف لابن طاووس ص ٥٦ وعن ذخائر العقبى ص ٧٣ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٣ و ج ٣٩ ص ٨ و ١٢ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٢٨٧ و ٢٨٨ ومناقب أهل البيت ص ١٣٧ والغدير ج ٢ ص ٤١ ومستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ١٠ وأضواء على الصحيحين للنجمي ص ٣٤١ وفضائل الصحابة ص ١٦٦ وعن مسند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣ وعن صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٠ و ٢٠٧ و ج ٥ ص ٧٧.
- وراجع: عن صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٠٧ وعن فتح الباري لابن حجر ج ٧ ص ٣٦٦ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٤٦ و ١١٠ و ١٣٧ وعن الخصائص للنسائي ص ٥٦ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٢٠٧ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٣٧٨ والمعجم الكبير ج ٦ ص ١٥٢ و ١٩٨ ورياض الصالحين ص ١٤٥ ونظم درر السمطين ص ٩٩ وفيض القدير ج ٦ ص ٤٦٥ ومجمع البيان للطبرسي ج ٩ ص ٢٠١ وتفسير الميزان ج ١٨ ص ٢٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٨٦ و ٨٨ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٨ = وعن الإصابة لابن حجر ج ١ ص ٣٨ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٢١١ وبشارة المصطفى ص ٢٩٧ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٣٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥١ وجواهر المطالب ج ١ ص ١٧٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٥ وينايع المودة ج ١ ص ١٥٣ ومجمع النورين للمرندي ص ٢٤٢.

فخرج علي بها، وهو يهرول"^(١).

١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ وراجع: الأربعون حديثاً لابن بابويه ص ٥٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٢٨ والعمدة ص ١٥٣ والطرائف لابن طاووس ص ٥٧ وبحار الأنوار ج ٣٩ ص ٩ وج ٧٢ ص ٣٣ وبغية الباحث ص ٢١٨ والمعجم الكبير ج ٧ ص ٣٥ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ١٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٨٩ و ٩٠ والجوهرة في نسب علي وآله للبري ص ٧٠ والبداية النهاية ج ٤ ص ١١٢ وج ٧ ص ٣٧٣ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٩٨ والجمل للمفيد ص ١٩٦ ومصادر كثيرة أخرى.

وفي نص آخر: أركبه رسول الله (ﷺ) يوم خير، وعممه بيده، وألبسه ثيابه، وأركبه بغلته، ثم قال له: "امض يا علي، وجبرئيل عن يمينك، وميكائيل عن يسارك، وعزرائيل أمامك، وإسرافيل وراءك، ونصر الله فوقك، ودعائي خلفك"^(١).

رايتان أم ثلاث؟!:

وقد ذُكرَ في بعض النصوص: أنه (ﷺ) أرسل أبا بكر، فرجع منهزماً، ثم أرسل عمر، فرجع منهزماً أيضاً..

وبعضها اقتصر على عمر..

وبعضها ذكر: أنه أرسل عمر مرتين، مرة قبل أبي بكر، ومرة بعده.

لكن الذي لفت نظرنا هو: إضافة راية الثالثة لرجل من الأنصار، وأنه رجع منهزماً أيضاً^(٢).

والظاهر: أن المقصود بذلك هو: سعد بن عبادة، بل لقد صرح الواقدي باسمه، وبأنه قد رجع مجروحاً^(٣).

١ - راجع: بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٨ و ١٩ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٧٨ ومدينة المعاجز ج ٢ ص ٣٠٧.

٢ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و (ط أخرى) ج ٢ ص ٧٣٦ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٣.

٣ - المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٣ وإمتاع الأسماع ج ١٣ ص ٣٣٣.

مع أن الذي ذكرته الروايات الكثيرة، هو: هزيمة أبي بكر وعمر، وربما اقتضرت بعض الروايات على ذكر عمر أيضاً.

فهل السبب في هذه الإضافة لسعد، وربما لابن مسلمة وغيره، هو إخراج هذا الأمر عن دائرة قريش، وعن دائرة الذين استأثروا بالأمر بعد رسول الله (ﷺ)، لتشمل الهزيمة زعيم الأنصار، الذي نافسهم في السقيفة، فأرادوا أن ينيلوه شرف (!!) الهزيمة وإثم الفرار الذي باؤوا به؟! وفي نص المقرئ: "ثم خرج مرحب، فحمل على علي، وضربه، فاتقاه بالترس، فأطن ترس علي (عليه السلام)، فتناول باباً كان عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده حتى فتح الله عليه الحصن.

وبعث رجلاً يبشر النبي (ﷺ) بفتح حصن مرحب.

ويقال: إن باب الحصن جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً.

وروي من وجه ضعيف عن جابر: ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً، فكان جهدهم أن أعادوا الباب الخ.." (١).

١- الإمتاع ص ٣١٤ و ٣١٥ والثاقب في المناقب ص ٢٥٧ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ٣٣٣ وقال في الهامش: انظر حديث فتح خيبر في تاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ١٧٤ و ٢٤٨ والمستجد من الإرشاد (المجموعة) للعلامة الحلبي ص ١٢٨ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١ وج ٤١ ص ٢٧٩ والإمام علي للهمداني ص ٦١٣ وكشف الخفاء ج ١ ص ٢٣٢ و ٣٦٦ ومجمع البيان ج ٩ ص ٢٠٢ والميزان ج ١٨ ص ٢٩٦ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢١٦ وعن دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٢١٢ ونجح الإيمان لابن جرير ص ٣٢٣ عن مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ١٢٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٩.

أقوال النبي (ﷺ) في المصادر والمراجع:

وفي جميع الأحوال نقول:

ذكرت الروايات: أن النبي (ﷺ) قال في خير بعد فرار المهاجرين والأنصار: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله^(١).

١- تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥ ومسند أحمد ج ١ ص ٩٩ و ١٨٥ و ج ٥ ص ٣٣٣ و ٣٥٣ و ٣٥٨ وصحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج ٥ ص ١٧١ وتاريخ البخاري ج ١ ق ٢ ص ١١٥ و ج ٤ ص ١١٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ فما بعدها، وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١ و ١٢٠ و ج ٥ ص ١٩٥ وتذكرة الخواص ص ٢٤ و ٢٥ والكمال في التاريخ (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢١٩ و ٢٢٠ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٥ و ٢٨ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص ٧٤ وسنن ابن ماجة (ط مكتبة التازية بمصر) ج ١ ص ٥٦ والجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٦٣٨ والخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص ٤ و ٥ و ٣٢ و ٦ و ٧ و ٨ و منتخب كنز العمال ج ٥ ص ٤٤ و ٤٨ و ج ٤ ص ١٣٠ و ١٢٧ و ١٢٨ والصواعق المحرقة (ط المكتبة الميمنية بمصر) ص ٧٤ والمناقب المرتضوية (ط بمبي) ص ١٥٨ ومدارج النبوة للدهلوي ص ٣٢٣ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ وحياة الحيوان (مطبعة الشرفية) ج ١ ص ٢٣٧ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص ٥٦٤ والإصابة ج ٢ ص ٥٠٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٩ والخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ وتاريخ الخلفاء (مطبعة السعادة بمصر) ص ١٦٨ ونور الأبصار ص ٨١ وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص ١٦٩ وتاج العروس ج ٧ ص ١٣٣ وينايع المودة (ط بمبي) ص ٤١ والطبقات الكبرى لابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج ٣ ص ١٥٦ و ١٥٧ = ومشارك الأنوار للصغائي (ط مكتبة الأستانة) ج ٢ ص ٢٩٢ وكفاية الطالب (ط الغري) ص ١٣٠ وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ والعقد الفريد (ط مكتبة الجمالية بمصر) ج ٣ ص ٩٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٠ ومناقب الإمام علي لابن المغازلي (ط المكتبة الإسلامية) ص ١٧٦ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٨ و ١٣٢ و ٤٣٧ والشفاء (ط مصر) ج ١ ص ٢٧٢ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٤ . ١٨٨ و ج ٢ ص ١٨٨ و ١٩٠ ولباب التأويل ج ٤ ص ١٥٢ و ١٥٣ والمعجم الصغير (ط دهلي) ص ١٦٣ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٣ ص ٣٦٦ ومصابيح السنة (ط المكتبة الخيرية بمصر) ج ٢ ص ٢٠١ ومعالم التنزيل ج ٤ ص ١٥٦ وجامع الأصول ج ٩ ص ٤٦٩ و ٤٧١ و ٤٧٢ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ و بحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٨ و ٢١ و ٢٠ عن الخراج والجرايح وعن إعلام الوری ص ١٠٧ و ١٠٨ وعن الخصال ج ٢ ص ١٢٠ و ١٢٤.

ليس بفرار^(١) .

أو: كرار غير فرار^(٢) .

أو: لا يرجع حتى يفتح الله عليه^(٣) .

أو: يفتح الله على يديه^(٤) .

-
- ١- مسند أحمد ج ١ ص ١٣٣ والخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص ٥ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة الخيرية بمصر) ج ٣ ص ١٧٥ وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ والإستيعاب (مع الإصابة) ج ٣ ص ٣٦٦ وكفاية الطالب (ط الغري) ص ١٣٠ ومنتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج ٥ ص ٤٨ وج ٤ ص ١٢٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٣ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٠ عن الخصال ج ٢ ص ١٢٠ و ١٢٤ .
- ٢- مسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٨ و ٢١ عن الخرايج والجرايح وعن إعلام الوري ص ١٠٧ ومنتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج ٥ ص ٤٨ والمناقب المرتضوية (ط بمبي) ص ١٥٨ ومعارج النبوة ص ٢١٩ والرياض النضرة (ط مُجد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٥ و ١٨٧ .
- ٣- المعجم الصغير (ط دهلي) ص ١٦٣ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٨ والمغازي ج ٢ ص ٦٥٣ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٨ و ٢١ و ٢٠ عن الخرايج والجرايح وعن إعلام الوري ص ١٠٧ وعن الخصال ج ٢ ص ١٢٠ .
- ٤- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ ومصادر أخرى .

أو قال: لا يولي الدبر، يفتح الله عليه^(١).
فاستشرف لها الناس، فبعث علياً^(٢).

١ - المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٨ والمعجم الصغير (ط دهلي) ص ١٦٣ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٥ والسنن الكبرى ج ٩ ص ١٠٧ والإستيعاب (مع الإصابة) ج ٣ ص ٣٦٦ وكفاية الطالب (ط الغري) ص ١٣٠ وتذكرة الخواص ص ٢٤ ومنتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج ٥ ص ٤٨ وج ٤ ص ١٣٠ والصواعق المحرقة (ط المكتبة الميمنية بمصر) ص ٧٤ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص ٥٦٤ والإصابة ج ٢ ص ٥٠٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها = وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص ٤ ولباب التأويل ج ٤ ص ١٨٢ و ١٨٣ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ ومعارج النبوة ص ٢١٩ والخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ و ٢٥٢ وتاريخ الخلفاء (ط مكتبة السعادة بمصر) ص ١٦٨ ونور الأبصار ص ٨١ وإسعاف الراغبين بهامشه ص ١٦٩ وتاج العروس ج ٧ ص ١٣٣ وينايع المودة (ط بمبي) ص ٤١.

٢ - مسند أحمد ج ١ ص ١٣٣ وراجع: تاريخ البخاري (ط حيدر آباد الدكن) ج ١ ق ٢ ص ١١٥ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٠ و سنن ابن ماجة (ط المكتبة التازية بمصر) ج ١ ص ٥٦ والجامع الصحيح ج ٥ ص ٦٣٨ والخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص ٤ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٤٣٧ ومنتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج ٤ ص ١٢٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها وراجع: الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٨ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣.

أو: فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها^(١).

وفي اليوم التالي غدا الناس على رسول الله (ﷺ) كلهم يرجو أن يعطاها^(٢).

١ - صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج ٥ ص ١٧١ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣ وتاج العروس ج ٧ ص ١٣٣ وينايع المودة (ط بمبي) ص ٤١ فما بعدها ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٢٠٥ وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ والسنن الكبرى ج ٩ ص ١٠٧ وجامع الأصول ج ٩ ص ٤٧٢ وتذكرة الخواص ص ٢٤ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٢ والصواعق المحرقة (ط = الميمنية بمصر) ص ٧٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٩ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٤ ومسند الطيالسي ص ٣٢٠ والخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ و ٢٥٢ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص ٧٤ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٤ . ١٨٨ . وتاريخ الخلفاء (ط مكتبة السعادة بمصر) ص ١٦٨ وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ١٦٩ ونور الأبصار ص ٨١.

٢ - صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج ٥ ص ١٧١ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص ٥٦٤ والإصابة ج ٢ ص ٥٠٢ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص ٧٤ والخصائص للنسائي ص ٦ ومصابيح السنة (ط مكتبة الخيرية بمصر) ج ٢ ص ٢٠١ وتذكرة الخواص ص ٢٤ والصواعق المحرقة (ط المكتبة الميمنية بمصر) ص ٧٤.

وعند الراوندي: فتناول جميع المهاجرين والأنصار، فقالوا: أما علي فهو لا يبصر شيئاً، لا سهلاً ولا جبلاً^(١).

وعند الطبري: فتناولت لها قريش ورجال، كل واحد منهم يرجو أن يكون هو صاحب ذلك^(٢).
وفي نص آخر: تناول لها أبو بكر وعمر^(٣).

-
- ١- بحار الأنوار ج ٢١ عن الخرايج والجرايح.
 - ٢- تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٠٧ = = والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢١٩ وراجع: منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٤ ص ١٢٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٥ فما بعدها والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٤-١٨٨ والخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ و ٢٥٢ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨.
 - ٣- راجع: كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٠ ص ٤٦٣ وخصائص الوحي المبين ص ١٥٦ وتفسير الثعلبي ج ٩ ص ٥٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٠٠ وغاية المرام ج ٥ ص ٥٨ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٤ ص ١٢٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨ والعمدة لابن البطريق ص ١٥٠ والدرر لابن عبد البر ص ١٩٩.

الفصل الثالث:
وقفات مع النصوص..

نصوص الفصل السابق في وقفات:

وبعد.. فإن لنا هنا وقفات عديدة مع النصوص التي تقدمت في الفصل السابق، نقتصر منها على ما يلي:

ابن الصباغ ينقل عن صحيح مسلم:

قال ابن الصباغ: "وفي صحيح مسلم: قال عمر بن الخطاب: فما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ، فتساورت لها، وحرصت عليها حتى أبديت وجهي، وتصديت لذلك ليتذكرني..

ثم قال: قالوا: وإنما كانت محبة عمر لما دلت عليه من محبته الله ورسوله، ومحبتهما له، والفتح"^(١).

ونقول:

إن العبارة الأخيرة ربما تجعل ذريعة للقول بأن النبي (ﷺ) حين منع عمر من الراية يكون قد اتهم عمر بشيء لا يجب أحد أن يتهم به..

١ - الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٣٨ و (ط دار الحديث) ج ١ ص ٢١٨ عن أبي السعادات الياضي في المرهم، وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٨١ و ٢٨٧.

ثم إن سائر الروايات قد اقتصر على القول: بأن عمر قال: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ.
قال: فتساورت لها، رجاء أن أدعى لها^(١).

فدعا (ﷺ) علياً (عليه السلام)، فأعطاه إياها، وقال: امش، ولا تلتفت.

فصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس!؟

١ - صحيح مسلم (ط محمد علي صبيح) ج ٧ ص ١٢١ ومسند الطيالسي ص ٣٢٠ والتاج الجامع للأصول ج ٣ ص ٣٢٦ ومسند أحمد ج ٢ ص ٣٨٤ وعن صحيح البخاري ج ٧ ص ٥٤٤ (٤٢٠٩ و ٤٢١٠) والخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥١ و ٢٥٢ وخصائص علي بن أبي طالب للنسائي ص ٧ والطبقات لابن سعد (ط دار الثقافة الإسلامية مصر) ج ٣ ص ١٥٦ ومعارج النبوة ص ٢١٩ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٢٠٥ وجامع الأصول ج ٩ ص ٤٧٢ وتذكرة الخواص ص ٢٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص ٧٤ و ٧٥ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٨ والنهاية لابن الأثير ج ٢ ص ٤٢٠ وينايع المودة ج ١ ص ١٥٤ وبحار الأنوار ج ٣٩ ص ١٢ و ١٣ وشرح صحيح مسلم للنووي ج ١٥ ص ١٧٦ والديباج على مسلم ج ٥ ص ٣٨٧ ورياض الصالحين للنووي ص ١٠٨ والجوهرة في نسب علي بن أبي طالب وولده ص ٦٨ وشرح أصول الكافي للمازندراني ج ٦ ص ١٣٦ و ج ١٢ ص ٤٩٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٨.

قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن مُجَدَّ رسول الله .
فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم ومالههم إلا بحقها، وحسبهم على الله ^(١) .
فهل كانت لدى ابن الصباغ نسخة من صحيح مسلم تختلف عن النسخة التي وصلت إلينا؟
أم أن أحداً قد كتب في هامش نسخته توضيحاً لكلام عمر، فظنه ابن الصباغ جزءاً من الرواية، فأدرجه فيها؟!
أو أن ابن الصباغ نفسه قد شرح كلمة عمر بالنحو المتقدم، لكن نساخ كلامه قد أسقطوا (بعض الكلمات)؟!
إن كل ذلك محتمل.. ويؤيد هذا الاحتمال الأخير: أن الماحوزي نقل كلام ابن الصباغ بإضافة ما يدل على أنه كان بصدد توضيح كلام عمر،

١ - صحيح مسلم (ط مُجَدَّ علي صبيح) ج ٧ ص ١٢١ ومسند الطيالسي ص ٣٢٠ والتاج الجامع للأصول (ط مصر) ج ٣ ص ٣٢٦ ومسند أحمد ج ٢ ص ٣٨٤ والخصائص للنسائي ص ٧ والطبقات لابن سعد (ط دار الثقافة الإسلامية) ج ٣ ص ١٥٦ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٨ والمعجم الصغير (ط دهلي) ص ١٦٣ وتذكرة الخواص ص ٢٤ و ٢٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥ والرياض النضرة (ط مُجَدَّ أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٨ .

فراجع^(١) .

اللهم لا مانع لما أعطيت:

١. ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن النبي (ﷺ) أرسل عمر إلى اليهود مرتين:

إحداهما: قبل أبي بكر .

والثانية: بعده .

فهل فعل النبي (ﷺ) ليسقط دعاوى عمر لنفسه الشدة والصلابة؟!!

أو أنه أراد بذلك أن يسد الطريق على الأعذار التي قد يتعلل بها عمر لهزيمته في المرة الأولى؟! أو أنه قصد الأمرين معاً؟!!

٢ . هل كان إرسال أبي بكر لمهاجمة الحصن الخيبري، لكي لا يدعي محبوه له الشجاعة النادرة، لمجرد أنه

قال لعمر: إن النبي (ﷺ) قد مات بعد أن كان عمر قد أنكر موته في غياب أبي بكر، أو لأنه كان مع

النبي (ﷺ) في العريش، أو نحو ذلك.

وقد ظهر من هزيمته، وهزيمة صاحبه هنا، بالإضافة إلى هزائمهما في قريظة، وأحد، وحنين، وسواهما،

ونكولهما عن عمرو بن عبد ود في الخندق.. ظهر أن هذا هو طبعهما الحقيقي.. وأن توثبهما للراية حين

أعطاهما

١ - كتاب الأربعين للماحوزي ص ١٨١ و ١٨٩ .

النبي (ﷺ) لعلني في خير لم يكن في محله، بل كان توثباً لما يريدان أن يحصلوا عليه من دون مخاطرة..
ولربما يكون ادعاء هذا التوثب قد جاء متأخراً منهما، ليستردا بعض ماء الوجه الذي فقدها بهزيمتهما في
اليومين الأولين.

وعلى كل حال، فإن هذين الرجلين كانا قد أثبتنا بصورة عملية، وبنحو قد تكرر، وتقرر أنهما ليسا من
السنخ الذي يفتح الله على يديه الحصون، وتقر بقلع أبوابها العيون..
بل الذي يقوم بهذه المهمات الجسام، هو من نزل فيه قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ
مَرْصَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)^(١).

ومن يجب الله ورسوله، ويجه الله ورسوله، ومن هو كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه..
وهو ذلك الذي لا مطمع له بالدنيا، ولا أرب له بشيء من حطامها، ومن يرضى بما قسم الله تعالى له،
ويرى أن ما به من نعمة فمن الله، وفق ما صرح به حين قال: "اللهم لا مانع لما أعطيت".
أبشر يا محمد بن مسلمة:

وذكرت بعض روايات الواقدي: أن النبي (ﷺ) دفع

١ - الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

لواءه إلى أحد المهاجرين، فرجع، ولم يصنع شيئاً، فدفعه إلى آخر، فكذلك.. فدفع لواء الأنصار إلى رجل منهم، فرد كتائب اليهود إلى الحصن.. فخرج ياسر ومعه جماعته، فكشف الأنصار حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ).

وعرض (ﷺ) الإسلام على أهل خيبر، مقابل أن يحرزوا أموالهم ودماءهم، فرفضوا، فقال (ﷺ): لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله^(١)، ليس بفرار^(٢). ونقول:

١. قد تكتم الراوي على أسماء المهاجرين، والأنصاري، وإن كان قد ألمح إلى الأنصاري بما يفهم منه أنه سعد بن عباد.

٢. رغم أن الأنصاري قد رد اليهود إلى حصونهم، فقد ظهر أن الراوي يرغب بأن يساويه مع ذنك المهاجرين، حيث ذكر أنه كان يؤنب أصحابه على ما جرى له..

٣. إن الراوي قد أجهم التعابير، لكي لا يفهم الناس فرار المهاجرين، مع أنه يذكر أنه صار يستبطن أصحابه، بدلاً من كلمة "يجب". .. وكأنه يريد أن يجعل التبعة على الأصحاب، لا على قائدهم.

١- في الإمتاع ص ٣١٤ لم يذكر كلمة "ويحب الله ورسوله".

٢- المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٣ و ٦٥٤ وإمتاع الأسماع ص ٣١٣ و ٣١٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج ١٣ ص ٣٣٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤.

٤ . إنه نسب اللواء الذي أعطي للمهاجري إلى رسول الله، ولكنه بالنسبة للأنصاري، قال: أعطاه لواء الأنصار، ليعطي ميزة للمهاجري بأن رسول الله من فئته.. وبأن اللواء الذي أعطاه إياه هو اللواء الأعظم. ولكنه وقع في محذور نسبة الفرار بلواء الجيش كله إلى المهاجرين.. أما الأنصاري، فإنما فر بلواء الأنصار وحسب، فما عمله المهاجريّان يكون في غاية القبح، لأن فرارهما ينسب لرسول الله، وللجيش كله، وفرار الأنصاري ينحصر به ويقومه.

مع أنه قد أقر للأنصاري بتحقيق إنجاز هام عجز عنه المهاجريّان، وهو أنه رد كتائب اليهود إلى حصنهم..

الأرمد يطحن:

وفي بعض النصوص: أنه لما سأل النبي (ﷺ) عن علي (عليه السلام) قالوا: هو في الرحل يطحن.

قال: وما كان أحدكم ليطحن؟! فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر^(١).

١ - مسند أحمد ج ١ ص ٣٣١ والخصائص للنسائي (ط التقديم بمصر) ص ٨ وفي (طبعة أخرى) ص ٦٣ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٣٢ وكفاية الطالب (ط مكتبة الغري) ص ١١٦ وراجع: العمدة لابن البطريق ص ٨٥ و ٢٣٨ وذخائر العقبى ص ٨٧ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٣٨ وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٢٤١ وج ٤٠ ص ٥٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ١١٢ و ٢٩٢ والمراجعات ص ١٩٦ والغدير ج ١ ص ٥٠ وج ٣ ص ١٩٥ ومواقف الشيعة ج ٣ ص ٣٩٣ وعن مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٩ وكتاب السنة لابن عاصم ص ٥٨٩ والسنن الكبرى ج ٥ ص ١١٣ وعن خصائص الوحي المبين لابن البطريق ص ١١٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٩٨ و ٩٩ و ١٠١ وج ٤٦ ص ١٥٠ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٦٨ وعن الإصابة لابن حجر ج ٤ ص ٤٦٧ وعن البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٧٤ والمناقب للخوارزمي ص ١٢٥.

ونلاحظ: أنه (ﷺ) حتى وهو أرمدم، لا يكاد يبصر، لا يكون اتكالياً على غيره في خدمته لنفسه، وللمقاتلين بالاستناد إلى رمد عينيه، بل يكون هو العامل، الذي يختار عملاً يقدر على أدائه، مما فيه فائدة للجيش، الذي هو بصدد دفع أعداء الله تعالى.

في حين أن غيره سارع إلى الحضور في مجلس النبي (ﷺ)، وكثير منهم مستشرف للراية طامعاً وآملاً بالفوز بها، حين عرف أن حاملها سوف يفتح الله على يديه، وأن ذلك سوف يكون وساماً ربما يكون له تأثيره في تبوء المقامات، وتحقيق الطموحات..

وكأن استشرف هؤلاء الطامعين للراية إنما كان للوعد بالفتح الذي أطلقه رسول الله (ﷺ).. رغم فرارهم بها بالأمس وقبله..

ولعلمهم ظنوا: أن الفتح سيأتي على سبيل الإعجاز، ومن دون تعب، ونصب، وتضحية.. ذاهلين عن أن الفتح إنما يكون على يدي الكرار غير الفرار.

ومن يكون الله ورسوله أحب إليه من كل شيء حتى من نفسه..

ومن لا يريد بهذا الجهاد أن يحصل لنفسه على المكاسب أو المناصب الدنيوية..
ومن يلتزم بحرفية أوامر رسول الله (ﷺ)، ولا يتعدها.
ومن لا يعتبر إعطاء الراية له والفتح على يديه مكسباً دنيوياً.. بل هو عطاء إلهي على قاعدته التي
اطلقها (عليه السلام) في هذا الموقف بالذات، حين قال: "اللهم لا مانع لما أعطيت"^(١).
ومهما يكن من أمر، فإن النبي (ﷺ) قد لامهم على تركهم علياً يطحن، ومبادرتهم إلى مجلسه (ﷺ)،
لأنه رأى أن مبادرتهم هذه، واستشرفهم للراية أيهم يعطاها سعي للدنيا، وطلب لها..
وما كان أحراهم لو اشتغلوا بالطحن، فإنه سيكون نافعاً لهم في دنياهم وفي آخرتهم، التي هم أحوج إليها
من أي شيء آخر..
ولو أنهم افسحوا المجال لعلي (عليه السلام) ليحضر، لكان حضوره (عليه السلام) في ذلك المجلس هو المرضي لله،
لأن حضوره سيكون من أجل الآخرة، وللعمل على حل العقدة، ونصرة أهل الحق.. ولأجل ذلك استحقوا
اللوم من النبي (ﷺ)، فإنهم أوكلوا الطحن إلى علي (عليه السلام)، وكان الحري بهم أن يتولوه عنه.
كما أن هذا اللوم الذي وجهه النبي (ﷺ) لهم يعطي أن

١ - قد ذكرنا مصادر هذه الكلمة في موضع آخر، فراجع.

عليهم أن يعرفوا أقدار الناس، وأقدار أنفسهم، وأن يضعوا الأمور في مواضعها، وأن يוכלوا كل عمل إلى أهله.. فلا يוכלوا الطحن واستقاء الماء، وحراسة النساء إلى القادة والذادة، وعلماء الأمة وربانيها.

علام أقاتلهم؟!:

وثمة سؤال يقول:

لم يكن علي (عليه السلام) يعلم هدف القتال في خير، فلماذا إذن وقف وسأل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: علام أقاتلهم؟!..

ونجيب:

بأن سؤاله هذا إنما هو لتعريف الذين جاؤا من أجل الغنائم، وأرادوا الحصول على الراية، للحصول على الإمارة والشهرة، والسمعة، والرفعة في الدنيا، فإنهم قد أخطأوا الطريق، والغاية على حد سواء.. ويزيد هذا الخطأ فداحة وقباحة، إذا كانوا يسعون إلى فرض إسلامهم على غيرهم بالقهر والقوة، وبالسيف، لا بالحجة والبرهان.

وقد لوحظ هنا: أنه (عليه السلام) لم يقل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أقاتلهم حتى يكونوا مسلمين؟!!

بل قال: "حتى يكونوا مثلنا"، لأن السؤال الأول يجاب عنه بنعم أو بلا.. لكن كلمة "مثلنا" قد مهدت لبيان ذلك الأمر الحساس الذي يراد إفهامه للناس، وهو أنه بعد أن أقيمت الحجة عليهم، وأصبحوا مجرد معاندين وجاحدين، يمارسون البغي والعدوان، صار المطلوب مستوى معيناً من المثلية، وهي الدرجة التي توجب حقن دمائهم، وهي قول لا إله

إلا الله، مُجَّد رسول الله ..

أما سائر المراتب والدرجات فهي إنما تحصل بالسعي الدؤوب من قبل الأفراد أنفسهم، كل بحسب حاله وقدراته، ودرجات معرفته، وطبيعة ظروفه، وأحواله.

تعريف اليهود حق الله وحق الرسول:

وثمة أمر آخر، وهو: أنه (ﷺ) طلب من علي أن يعرف اليهود حق الله وحق رسوله .. وهذا الطلب يدل على أن الأمر قد تجاوز حدود إقامة الحجة، فقد أثبتت الدلائل القاطعة لهم الألوهية والرسولية له (ﷺ) .. وهم الآن في مقام جحد حق الله وحق رسوله، وهذا القتال في خيبر إنما هو على هذا ..

ما هو حق الله، وحق الرسول؟!:

إن حق الله على الناس هو: توحيده، وطاعته، وعبادته، وحق الرسول هو القبول منه وعنه، وتوقيره، ونصرته، والشهادة والإعتراف له بالرسولية ..

أما تعريفهم بأوامر الله ونواهيه، وشرائعه، فيأتي في مرحلة لاحقة، حيث يطلب منهم هم أن يسعوا لذلك من خلال تقواهم، وخوفهم منه، ورغبتهم بما عنده سبحانه ..

كما أن معرفة سائر ما يرتبط بالنبى والنبوة، فإن الدواعي الباطنية هي التي تدفع للحصول عليه.

هداية الناس هدف نبيل:

ثم إنه (ﷺ) عقب كلامه عن حق الله وحق رسوله ببيان مسؤوليات الناس تجاه إخوانهم في الإنسانية، فإن على رأس هذه المسؤوليات العمل على هدايتهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فلا يكون همُّ الفاتحين لحصون خبير هو فتح الحصون والحصول على الأموال والسبايا، والغلبة، وقهر الرجال، بل يكون همهم هو إعزاز الناس، وفتح قلوبهم للحق، وإنقاذهم من ضلالاتهم، وجهالاتهم.

توحيد اليهود مشوب بالشرك:

إن قوله (ﷺ) لعلي (عليه السلام): قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، يشير إلى أن توحيد اليهود مشوب بالشرك، أو بغيره من المعاني التي تنافي التوحيد الخالص، ولو بمستوى عبادة الذات، والمال، والسلطان، فضلاً عن قولهم: عزير ابن الله، واعتقادهم بالتجسيم الإلهي، وقولهم: (أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً^(١)). وقولهم: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)^(٢)، وقولهم: (يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ)^(٣)، ونسبة العجز، والظلم إليه وغير ذلك.. وقد جعل (ﷺ) حفظ الأنفس والأموال منوطاً بالشهادتين،

١- الآية ١٥٣ من سورة النساء.

٢- الآية ١٣٨ من سورة الأعراف.

٣- الآية ٦٤ من سورة المائدة.

لأن للكفر وللإيمان مراتب، فأشد وأقبح مراتب الكفر، الإلحاد والشرك، فإن الشرك ظلم عظيم. ثم يلي هذه المرتبة مرتبة الذين يفرقون بين الله ورسله، ويقولون: نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض أولئك هم الكافرون حقاً.

وهناك أيضاً مرتبة الإعتراف بوجود الله، وإنكار النبوة الخاتمة، وإن اعترفوا أيضاً بأن له رسالاً وكتباً وشرائع، وثواباً، وعقاباً، كما هو حال أهل الكتاب.

ولذلك كان لهؤلاء أحكام تختلف عن أحكام المشركين والملحدين، فيجوز التزويج متعة بالكتابية، ولا يجوز تزويجهم. ويصح اعتبارهم من أهل الذمة وعقد العهد معهم، ويمنع التعرض لهم في ممارساتهم الدينية، وفق حدود وقيود..

فإذا ارتقوا في إيمانهم، وشهدوا الشهادتين، وقبلوا الإسلام ديناً، حققت دماؤهم وأموالهم، وجاز التزوج منهم والتزويج لهم، وتحل ذبائحهم، ويحكم بطهارتهم، ويورثون.

فإن قبلوا الإمامة زادت امتيازاتهم على ذلك أيضاً، فحرمت غيبتهم، ووجبت لهم حقوق الأخوة الإيمانية، وإن طلق أحدهم وفق المذاهب الأخرى لم يقبل منه، فلا يمضى الطلاق بالثلاث، ويحكم بفساد طلاقه إن كان بلا شهود.

فإذا صار من أهل العدالة صحت الصلاة خلفه، وجاز إشهاده على الطلاق، وغيره.

ثم إن الواحد منهم يتدرج في مراتب الفضل والكمال، فللعالم فضله، وللتقي مقامه، وقد يصير التقي العالم ولياً من الأولياء.. وقد اصطفى الله تعالى الأنبياء من هؤلاء.. ثم تدرج الأنبياء في مراتب الفضل، فالرسول أفضل من النبي بلا رسالة، وأولو العزم من الرسل أفضل من غيرهم، وأصحاب الشرائع أفضل من سائر أولي العزم، والنبي الخاتم، وهو نبينا الأكرم (ﷺ) أفضل من جميع الخلق.. وللأئمة أيضاً درجاتهم في الفضل، وأفضلهم الأئمة الإثنا عشر، وأفضلهم علي "عليه السلام".. بل هو أفضل الخلق على الإطلاق بعد رسول الله (ﷺ)..

وعلى كل حال، فإن للإمامة مراتبها، وأعظمها مرتبة الإمامة للنبوة الخاتمة أيضاً.. ولكل خصوصية مقامها وأحكامها التي تناسبها..

هل قاتل الشيخان؟!

زعمت النصوص المتقدمة: أن أبا بكر وعمر قاتلا في خيبر قتالاً شديداً، وقد جهدا فلم يفتح لهما..

وهذا غير صحيح:

أولاً: إن قول النبي (ﷺ): لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كزار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله عليه، فيه تعريض ظاهر، يصل إلى حد الإتهام لمن سبق علياً (عليه السلام) بأنهم فرارون، وبأنهم لا يحبون الله ورسوله..

بل بعض النصوص تذكر: أنه (ﷺ) قال: هكذا تفعل

المهاجرون والأنصار؟! حتى قالها ثلاثاً. لأعطين الراية إلخ..^(١).

وفي بعضها: فغضب رسول الله (ﷺ)، وقال: ما بال أقوام يرجعون منهزمين، يجبنون أصحابهم؟^(٢).
فلو كان أبو بكر وعمر قد قاتلا حتى جهدا لم يصح هذا التعريض منه بهما وبمن معهما، بل كان يجب الإشادة بهما، وإغداق الأوسمة عليهما وعليهم، وذلك يدل على أن هزيمتهم لم تكن بسبب قوة اليهود، بل بسبب الجبن والتخاذل، الأمر الذي الحق ضرراً بالغاً بروحية المسلمين..
ثانياً: ويدل على ذلك: أن الأصحاب كانوا يتبادلون الإتهامات حول ما حدث، كما دلت عليه النصوص المتقدمة.

ثالثاً: في بعض النصوص ما يشير إلى أن عمر بن الخطاب لم يصل إلى العدو، بل سار بالراية غير بعيد، ثم رجع يجن أصحابه ويجنونه، فقال (ﷺ): ليست هذه الراية لمن حملها، جيئوني بعلي^(٣)..

١- بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٢ وج ٣٢ ص ٣٤٤ والإحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٦٤.

٢- الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٩ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٨.

٣- الإرشاد للمفيد ج ١ ص ٢٦ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٥ وراجع: مدينة المعاجز ج ١ ص ١٧٤.

يجب الله ورسوله:

قلنا فيما سبق: أن كلام النبي (ﷺ) حول الراية قد تضمن تعريضاً بمن انحزم بها، لأن حب الله تعالى وحب رسوله آثاره ومؤثراته، وشواهده وملاحمه، ولم نجد شيئاً منها في الذين أخذوا الراية قبل علي (عليه السلام). فحب الله وحب رسوله يفرضان إثارة رضاها على النفس، وعلى المال، وعلى الجاه، وعلى أي شيء من حطام الدنيا.

وقد أظهر الفارون أنهم يؤثرون سلامة أنفسهم، أو حفظ مصالحهم على رضا الله ورسوله، فارتكبوا إثم الفرار من الزحف، والتفريط بدين الله، وعباد الله، وبسلامة رسول الله، مع علمهم بأن هذا الفرار يُطمع الأعداء بالمسلمين، ويسقط روح الصمود والتصدي لدى الأولياء، وأين هذا مما يدعونه من حب الله ورسوله، وإثارة الجهاد في سبيله؟!!

علي (عليه السلام) يحبه الله ورسوله:

وإذا كان علي (عليه السلام) يحب الله ورسوله، وقد صدقته شواهد الإمتحان، على قاعدة:

كل من يدعي لما هو فيه صدقته شواهد الإمتحان

فإنه إن قام بما يدعوه إليه ذلك الحب، من التماس رضا الله في كل شيء، والتزام طاعة رسوله، والوفاء والتضحية، وبذل النفس والمال وكل شيء في هذا السبيل.. فلا بد أن يحبه الله ورسوله، قبل، ومع، وبعد ذلك.. لأن الله

يجب من يجبه، ويعمل بما يرضيه.

وقد تضمن هذا التعريض بالفارين تحذير لهم ولغيرهم بأن عليهم أن يلتزموا طريق الصدق والإخلاص لله في أعمالهم، وإلا فمن الممكن أن يتعرضوا لمثل هذا الإمتحان العسير.. حين لا بد من ممارسة هذا الحق لتحصين الساحة من حدوث إخلالات كبيرة وخطيرة.

كرار غير فرار:

وقد وصف (ﷺ) علياً (عليه السلام): بأنه كرار غير فرار - بصيغة التكثير - ليفيد: أن الكر على الأعداء هو طبيعة وخلق في علي (عليه السلام).. لكن طبيعة غيره هي الفرار، وهو كثير الصدور منهم.. وقد تجلت كثرة الكر منه (عليه السلام)، وكثرة الفر منهم في مواطن عديدة، مثل: بدر، وأحد، والنضير، والخذق، وقرظة، وغير ذلك..

لا يولي الدبر:

ثم أكد صفة الرجل الذي يحب الله ورسوله.. وصفة الذين فروا بالراية بقوله: لا يولي الدبر.. وهذا التعبير من شأنه أن يزيد في نفور السامع من هذا العمل.. ويجعل الناس يتذكرون فرارهم في اليومين السابقين أفراداً وجماعات.

واللافت هنا: أن هذا الكرار بالذات سوف يأخذ معه نفس هؤلاء الذين فروا بالأمس مع قادتهم، وسوف يفرون هم وقادتهم عنه مرة أخرى

أيضاً كما ورد في النصوص.

لا يرجع حتى يفتح الله عليه:

١ . وربما يخطر في بال أحد من الناس أن الذي لا يولي الدبر قد لا يتمكن من تحقيق النصر، فيرجع خالي الوفاض.. وهذا الرجوع لا يعد هزيمة.. فأخبر (ﷺ): أنه (عليه السلام) لا يرضى حتى بهذا الرجوع، بل هو يصر على تحقيق النصر والفتح، ولا يرجع بدونه..

٢ . ويلاحظ هنا: أنه (ﷺ) لم ينسب الفتح إلى علي (عليه السلام)، فلم يقل: لا يرجع حتى يفتح حصنهم، أو حتى ينتصر عليهم، بل هو ينسب الفتح إلى الله، من حيث أن علياً بجهدته وجهاده يستحق اللطف والكرامة الإلهية، فيجعل الله تعالى الفتح على يديه..

وكيف لا يعطيه الله هذه الكرامة، وهو يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وهو كرار غير فرار، وهو لا يولي الدبر؟!!

فمن الطبيعي بعد هذا أن تكون النتيجة هي هذا التشريف، والتكريم الإلهي، فكأنها من الأمور التي تكون قياساتها معها.

لا يخزيه الله أبداً:

وجاء في بعض النصوص أيضاً قوله (ﷺ): لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً.. مما يعني: أن هزيمة أولئك كانت من القبح بحيث تعد من مفردات الخزي. وهو أمر لا تنحسر آثاره وتبعاته بسهولة، بل يبقى يلاحق فاعليه بكوابيسه المخيفة، والمؤذية، ويلقي بكلاكله الثقيلة عليهم

عبر السنين والأحقاب .

وليلاحظ: أنه (ﷺ) قد حكم حكماً قاطعاً بعدم لحوق الخزي بعلي (عليه السلام) في أي من الظروف والأحوال، وعبر الأحقاب والأزمان.. وهو (ﷺ) (مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (١).

ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم:

ويقولون: لما قال النبي (ﷺ): لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير

فرار، قال عمر: ما أحبب الإمارة إلا ذلك اليوم (٢).

١ - الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

٢ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥ وراجع: شرح أصول الكافي ج ٦ ص ١٣٦ و ١٣٧ و ٤٩٤ ومناقب أمير المؤمنين ج ٢ ص ٥٠٣ وأمالي الطوسي ص ٣٨٠ والعمدة ص ١٤٤ و ١٤٩ والطرائف لابن طاووس ص ٥٩ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٧ وج ٣٩ ص ١٠ و ١٢ وكتاب الأربعين للماجوزي ص ٢٩٠ ومقام الإمام علي للعسكري ص ٣٠ و ٤٢ ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٢٢٩ وأضواء على الصحيحين ص ٤٣٢ وعن صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٤٧ و ٣٦٥ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١١ و ١٨٠ وعن خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٥٧ ورياض الصالحين للنووي ص ١٠٨ وعن تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ٤٥٩ وج ٤٢ ص ٨٣ و ٨٤ وعن الإصابة ج ٤ ص ٤٦٦ وعن البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٣٧٢ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٤٢٢ وعن عيون الأثر ج ١ ص ٢٩١ ونشأة التشيع ص ١٢٠ وعن التاج الجامع للأصول ج ٣ ص ٣٣١ ورواه الشيخان.

ونقول:

هناك دلائل تشير إلى ما يخالف هذا القول من عمر، فلاحظ ما يلي:
أولاً: لما جاء وفد ثقيف إلى المدينة، وقال لهم النبي (ﷺ): لتسلمن أو لأبعثن إليكم رجلاً مني، وفي رواية: مثل نفسي، فليضربن أعناقكم، وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم..
قال عمر: فوالله، ما تمنيت الإمارة إلا يومئذٍ، وجعلت أنصب صدري له، رجاء أن يقول: هو هذا.
فالتفت النبي (ﷺ) إلى علي (عليه السلام)، وقال: هو هذا، هو هذا^(١).

١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥ وراجع: الطرائف لابن طاووس ص ٦٥ وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٢٥ وج ٤٠ ص ٨٠ والمناقب للخوازمي ص ١٣٦ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٤٨١ والعدد القوية للحلي ص ٢٥٠ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٦٠ وقال في الهامش: روى الحديث في أواسط ترجمة أمير المؤمنين (عليه السلام) من كتاب الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٤٦ وأما عبد الرزاق فروى الحديث في فضائل علي (عليه السلام) تحت الرقم ٢٣٨٩ من كتاب المصنف ج ١١ ص ٢٢٦، وليلاحظ: ترجمة أمير المؤمنين (عليه السلام) من تاريخ دمشق ج ٢ ص ٣٧٣.

فكيف يقول عمر عن نفسه في واقعة خيبر: ما تمنيت الإمارة إلى يومئذ؟!
ثانياً: هل كان عمر زاهداً في الإمارة أيضاً حين هاجم بيت الزهراء في أحداث السقيفة، واعتدى عليها بالضرب، وتسبب في إسقاط جنبينها محسن، بل في استشهادها؟!
وهل كان يريد رضا الله تعالى بذلك؟! والنبي (ﷺ) يقول عن فاطمة "عليها السلام": من أغضبها فقد أغضبني..
وكيف نفسر قول علي (عليه السلام) له حينئذٍ: احلب حلباً لك شطره؟!^(١).

١ - راجع: الإحتجاج ج ١ ص ٩٦ والصراف المستقيم ج ٢ ص ٢٢٥ وج ٣ ص ١١ و ١١١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١٧٣ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٨٥ و ٣٨٨ وج ٢٩ ص ٥٢٢ و ٦٢٦ ومناقب أهل البيت للشيرازي ص ٤٠٠ والسقيفة للمظفر ص ٨٩ والغدير ج ٥ ص ٢٧١ ونهج السعادة ج ٥ ص ٢١٠ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٧٠٨ وتثبيت الإمامة ص ١٧ وأنساب الأشراف ص ٤٤٠ والإمامة والسياسة (تحقيق زيني) ج ١ ص ١٨ وبيت الأحران ص ٨١ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج ١ ص ٢٥٧.

وكيف نفسر أيضاً قوله (عليه السلام) عنه وعن أبي بكر: لشد ما تَشَطَّرًا صَرَغِيهَا^(١)، أي الخلافة والإمارة. وهل يرضى محبوبه أن نقول: إنه حين قال: ما تمنيت الإمارة إلا يومئذٍ كان يقصدها قبل وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله). فلا مانع من أن تحلو الدنيا في عينيه بعد ذلك، ثم يفعل ذلك كله من أجل الإمارة! وألا يعدون ذلك طعناً فيه، وإهانة له؟!

ثالثاً: أليس قد منح النبيُّ عُمَرَ الفرصة مرة بل مرتين على بعض الروايات، وأعطاه الراية، وأمره على الجيش وأرسله لمهاجمة اليهود؟! فما معنى تمنيه لهذه الإمارة مرة أخرى.. وهو قد تأمر بالأمس، وهرب هو ومن معه؟!

ولماذا لم يتم بمقتضيات هذه الإمارة التي أذلها وأسقطها بهزيمته بمن معه؟! أم أنه أراد أن يظهر حرصه على الفوز بحب الله ورسوله.. ليرى

١ - نصح البلاغة (الخطبة الشقشقية) ج ١ ص ٣٣ ورسائل المرتضى ج ٢ ص ١٠٩ والإحتجاج ج ١ ص ٢٨٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١٦٧ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٩٠ ومناقب أهل البيت للشيرازي ص ٤٥٧ والنص والإجتهد ص ٢٥ والغدير ج ٧ ص ٨١ وج ١٠ ص ٢٥ والمعيار والموازنة لابن الإسكافي ص ٤٦ وشرح نصح البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ١٦٢ و ١٧٠ والدرجات الرفيعة ص ٣٤ وبيت الأحرار ص ٨٩ وحيات الإمام الحسين للقرشي ج ١ ص ٢٨٢ وشرح شافية ابن الحاجب للأسترآبادي ج ١ ص ٧٨.

الناس أنه ليس زاهداً بهذا الأمر، كما ربما يوحي به فراره بالأمس، فإن ذلك الفرار كان نزوة عارضة، هو يعمل على تلافي آثاره، وتصحيح مساره؟!

في حين أن عمر كان يعلم: أن النبي (ﷺ) واقف على حقيقة الحال.. وأن الفرار هو ديدن هؤلاء الناس، لأنهم لا يحبون الله بالمستوى المطلوب، وهو بسبب معرفته هذه لن يختاره مرة أخرى، لا هو ولا غيره من الفارين، فإن المؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين، كما أن نفس كلام النبي (ﷺ) وحديثه عن الفرارين من جهة، ثم حديثه عن الذين لا يخزيهم الله أبداً.. وغير ذلك يدل دلالة قاطعة على أنه (ﷺ) سوف لا يختار من هو فرار، ويولي الدبر.. و.. و.. بل سوف يختار الذي يحبه الله ورسوله..

فما معنى أن يتناول لها عمر، وأن يبادر إلى طلبها؟! إلا إن كان يريد أن يلقي بالتبعة في هزيمته على الذين كانوا معه، ويبرئ نفسه منها؟! أو أن هذه الدعاوى قد جاءت بعد ذلك بزمان، بهدف استعادة بعض ماء الوجه للخليفة الثاني، كما أشرنا إليه..

القبائلية تنغض رأسها:

وتصريح المؤرخين باسم قريش على أنها هي التي تناولت للراية يطرح سؤالاً عن سبب هذا الطموح القرشي القبائلي، ومتى كانت قريش بما هي قبيلة تهتم بأمر الجهاد والتضحية والعطاء؟! فإن القريشيين باستثناء بني هاشم لم يكونوا أكثر ولا أفضل عطاء من غيرهم..

إلا إن كانوا يقصدون تكريس هذه القرشية ليستعيضوا بها عن موضوع النص على علي (عليه السلام)، كما ظهر من كلماتهم يوم السقيفة.

أم يظنون: أن النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه هو الذي سوف يعود إلى عشائريته، ويكرس الإمتيازات لقومه وقبيلته؟! وما هي مبررات هذا التوقع الغريب والعجيب؟!

أم أنهم ظنوا: أنه (صلى الله عليه وآله) قد عاد إلى هذه العشائرية، حين رأوه يعطي الراية لأبي بكر، وهو قرشي، ثم يعطيها لعمر، وهو قرشي، رغم فرار القرشي الأول بها.. بل هو قد أعطاهما . حسب رواياتهم . مرة ثالثة لقرشي كان قد فر بها عن قريب، وهو عمر .. بعد أن فر بها صاحبه القرشي الآخر قبله، وهو أبو بكر.. ثم أعطاهما لقرشي ثالث مرة رابعة، وهو الزبير، كما ذكرته بعض الروايات، وقد فر هو الآخر بها، ثم طلبها مرة أخرى في اليوم الأخير، فلم يعطه إياها، بل قال: والذي كرم وجهه مُجَّد لأعطين الراية رجلاً لا يفر، هاك يا علي^(١).

١ - مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٤ وراجع: شرح الأخبار ج ١ ص ٣٢١ والعمدة ص ١٤٠ و ١٤٣ وفضائل الصحابة ج ٢ ص ٦١٧ ح ١٠٥٤ و ص ٥٨٣ ح ٩٨٧ وذخائر العقبى ص ٧٣ عن مسند أحمد ج ٣ ص ١٦ ومسند أبي يعلى ج ٢ ص ٥٠٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٠٤ و ١٠٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢١٢ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٣١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٢ وينايع المودة ص ١٦٤ ومصادر أخرى تقدمت.

هذا بالإضافة إلى أن مُجَّد بن مسلمة كان ممن فرَّ بالراية أيضاً^(١).

نعم.. هل فهموا بعد كل هذا: أن النبي (ﷺ) يعطيهم الراية لقرشيتهم؟! ولم لا يظنون: أنه (ﷺ) يريد أن يركز ويعمق شعور الناس بفرار القرشيين بالراية، وأنهم ليسوا أهل حرب، ولا يصح الإعتماد عليهم في المواقف الحساسة والصعبة، لكي يحصن الناس من دعايات قريش وإشاعاتها.

الإعلان المسبق، لماذا؟!:

كان من الممكن أن ينتظر النبي (ﷺ) إلى اليوم التالي، ثم يدعو علياً (عليه السلام) ويشفيه من الرمد، ثم يرسله إلى الحرب، كما أرسل غيره قبله.. ثم يعطيه الأوسمة بعد انتصاره.. ولكنه (ﷺ) لم يفعل ذلك.. وكان يمكنه أيضاً أن يعطيه الأوسمة لحظة إرساله بالراية.. ولكنه لم يفعل ذلك، بل أعلن الأوسمة قبل يوم من اعطاء الراية.. وقد بات الناس يتهامسون، ويقترحون الأسماء التي ستفوز بالراية: هذا تارة، وذاك

١ - أسد الغابة ج ٤ ص ٢١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٤١٣ وعن مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص ١٨٨ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧٠.

أخرى.. وتشربب الأعناق، وتنطلق الأمنيات من كل جهة وفي كل اتجاه، دون أن يمر في وهم أحد منهم اسم علي (عليه السلام)، لأنه كان أرمداً..

ولم يكن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أُخبرَ بحاله (عليه السلام) قبل استدعائه لأخذ الراية.. كما أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يسأل عن سبب غيبته، لأن الله تعالى هو الذي يرعى حركة رسوله في تلك اللحظات الحساسة والخطيرة.. واستقرت كلمات النبي (صلى الله عليه وآله) في وصف صاحب الراية في نفوسهم، وتجددت أمام أعينهم وعوده (صلى الله عليه وآله) بالنصر على يد صاحب الراية العتيد. وطبقوا الأوصاف التي أطلقها النبي (صلى الله عليه وآله) على هذا تارة وعلى ذاك أخرى.

ولعلمهم قارنوا بين الأشخاص، وتأملوا في ميزاتهم وأوصافهم التي ظهرت لهم فيهم. وقد ظهر خطوهم جميعاً في كل حساباتهم، وتقديراتهم، وفاجأهم القرار النبوي الصائب، وأعطيت الراية لصاحبها.. وكان ما كان..

ولو أنه (صلى الله عليه وآله) كان قد أجّل قراره، ولم يطلق الأوصاف لحامل الراية إلى اليوم التالي، فلربما لم يفكر أحد في شيء من ذلك، ولم يقم أحد منهم بأي بحث ومقارنة تطبيقية، كان يريد النبي (صلى الله عليه وآله) لهم أن يقوموا بها، ليكونوا أكثر واقعية، وأبعد عن العيش في أجواء الإدعاءات الباطلة، والإستعراضات الفارغة.. ولو أنه أجّل كلماته إلى اليوم الثالث لتخيل الكثيرون أنها مجرد مدائح

طارئة، وأوسمة تهدف إلى الحث والتشجيع، وشحن العزائم، وقد تكون فضفاضة على أصحابها بدرجة كبيرة..

رمد عينيه (عليه السلام) أسعد مناوئيه:

لقد أظهرت النصوص: أن رمد عيني علي (عليه السلام) في ذلك اليوم أسعد قريشاً، والتابعين لها، والمتأثرين بسياساتها، لأن ذلك أبعد علياً عن الساحة..

ولعلمهم ظنوا: أن كل الدور سيكون لهم، وإن كل الانتصارات والإنجازات ستحقق على أيديهم، وسيحصلون على الأوسمة، وينالون المقامات والمناصب، فإنهم وبعد أن قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله إلخ.."

غدت قريش يقول بعضهم لبعض: أما علي فقد كفيتموه، فإنه أرمد لا يبصر موضع قدمه (1).

ولكنه (عليه السلام) لما سمع مقالة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "اللهم لا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت".

١ - مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣١٩ وإعلام السورى ج ١ ص ٢٠٧ والدر النظيم = ص ٢٥٥ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢١ وج ٤١ ص ٨٥ عن ابن جرير، وابن إسحاق.

فهل تراهم يظنون أن النبي (ﷺ) يعطي الأوسمة جزافاً، وكيفما اتفق، ومن منطلق الهوى والعصبية؟! .
ويرون: أن وجود علي بينهم كان هو العائق لهم عن نيلها؟!
أو ظنوا: أن هذا النصر الذي وعدهم الله به سيكون سهلاً، ووجود علي (عليه السلام) هو المانع من تحقيقه .
أو ظنوا: أن الله سوف يصنع المعجزة لهم، من دون جهد أو جهاد منهم، وبلا تعب ولا نصب .. وسوف يعرضهم عن هذه النكسة التي حاقت بهم بأهزام إخوانهم في اليومين السابقين أكثر من مرة .
أو لعلهم اعتقدوا أن هذا الوعد النبوي سوف يشد من عزائم المقاتلين، ويجعلهم أكثر اندفاعاً في مهاجمة الحصن، الأمر الذي سوف ينتهي بفوز حاملي الراية بالنصر، ليكون بمثابة الغنيمة الباردة التي يحلم بها الضعفاء، والفرارون في مواقع القتال ..
أو أرادوا أن يكون مجرد التصدي لأخذ الراية، مع علمهم بعدم حصولهم عليها، كافياً لتبرئة ساحتهم، ويعرضهم عن هزيمتهم، ويحفظ بعضاً من ماء وجههم، حيث سيظن كثيرون أن الهزيمة لم تكن بسبب تقصير القادة، بل كانت بسبب المقاتلين أنفسهم ..
لعل كل ذلك قد دخل في حساباتهم .. ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن .

متى رمدت عينا علي (عليه السلام)؟! :
أما حديث: أن علياً "عليه السلام" تخلف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبقي في المدينة، فلما سار (صلى الله عليه وآله) إلى خيبر، قال (عليه السلام): لا، أنا أتخلف؟! :

فلحق برسول الله (صلى الله عليه وآله) .. فلا يصح؛ وذلك لما يلي:
أولاً: إذا كان علي (عليه السلام) يعاني من رمد في عينيه، حتى إنه لم يكن يبصر، وكان غير قادر على السير إلا بقائد يقوده، ومدبر يدبره، فإلى من أوكلت قيادة الجيش يا ترى في كل هذه المدة الطويلة؟! فإن كان قائده هو سلمة بن الأكوع، فإن الرواية قد صرحت: بأنه جاء به يقوده إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، في قضية قتل مرحب فقط ..

فكيف جاء (عليه السلام) من المدينة؟! وكيف كان ينتقل من حصن إلى حصن، ومن مكان إلى مكان لقضاء حوائجه؟! :

وبعد.. فإن تخلف علي (عليه السلام) في المدينة لا بد أن يكون بإذن وبمعرفة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ..
كما أن مسيره لا بد أن يكون بإذن منه، فهل استأذن (عليه السلام) في الخروج من المدينة؟! أم أنه فعل ذلك من عند نفسه؟! :

وإذا كان قد خرج بإذنه (صلى الله عليه وآله) وبعلمه، فلماذا لم يخرج معه، فإن حاله لم يختلف عما كان عليه؟! :

وإن كان قد أذن له بالخروج، فكيف أذن له وهو بهذه الحالة؟! وكيف؟! وكيف؟!
ثانياً: إنهم يقولون: إن سبب رمد عيني علي (عليه السلام) هو دخان الحصن الخيبري نفسه، وليس شيئاً آخر
عرض له في المدينة، فراجع^(١). فإذا صح هذا، فلا يكون ثمة مبرر لبقائه في المدينة، كما زعموا.
ثالثاً: صرحت الروايات المتقدمة: بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطى اللواء في غزوة خيبر إلى علي بن أبي طالب
(عليه السلام)^(٢).

وقد أعطاه إياها في أول حصن ورد عليه، وباشروا القتال فيه، وهو حصن ناعم، وقد هاجم هو نفسه
ذلك الحصن بالذات، فقتل معه (عليه السلام)^(٣) عبد يهودي اسمه ياسر، وكان قد أسلم آنفاً.
فكيف يعطيه اللواء، وهو لا يبصر طريقه؟!
رابعاً: قال المفيد: "كانت الراية يومئذٍ لأُمير المؤمنين (عليه السلام)، فلحقه رمد أعجزه عن الحرب"^(٤).

-
- ١- راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ والمسترشد للطبري ص ٢٩٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٠ ص ٩٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٤٠٦.
 - ٢- راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٤٨ والمطالب العالية ج ٢ ص ٤٢٠٢ والمغازي للواقدي ج ١ ص ٤٠٧ و ج ٢ ص ٦٤٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥.
 - ٣- راجع على سبيل المثال: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٤٩.
 - ٤- راجع: الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٢٦.

أي أن هذا الرمد قد عرض له بعد أن تسلم الراية..
خامساً: إن الرواية نفسها تدل على أن رمد عيني علي (عليه السلام) قد عرض له في تلك الفترة، وأنه لم يدم
برهة طويلة، بحيث يصل خبر ذلك إلى النبي (صلى الله عليه وآله).
ففي الرواية: أنه في يوم قتل مرحب: أصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله) فصلى الغداة، ثم دعا باللواء، ووعظ
الناس، فقال: أين علي؟!
قالوا: يشتكى عينيه.
قال: فأرسلوا إليه..
فلما جيء به قال له النبي (صلى الله عليه وآله): ما لك؟!
قال: رمدت، حتى لا أبصر ما قدامي.
فظاهر السياق يعطي: أن الناس كانوا يرون: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكن على علم بأمر الرمد، فأخبروه
به.. مع أن علياً (عليه السلام) كان مهتماً بالحضور المتواصل في مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله)..
وسؤال النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): ما لك؟ وجواب علي (عليه السلام) له يقطع كل عذر، ويزيل كل شبهة
في ذلك.
ولو كان علي (عليه السلام) غائباً عن ساحة القتال كل هذه الأيام، لعلم بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لا سيما
وأنه هو الذي يعتمد عليه في حروبه، وهو القريب منه، والذي يواصل الاتصال به، والتفقد له،

والحاضر عنده.. وهو حامل لوائه، وقائد جيوشه..

علي (عليه السلام) فاجأهم:

وفي البخاري وغيره: أن علياً (عليه السلام) رمدت عيناه في المدينة، فلما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لحق به، فوصل في لحظة إعطاء الراية.

فجاء حضور علي (عليه السلام) الناس، لأنهم كانوا لا يرجون حضوره، حتى إنهم حين رأوه قالوا بعفوية: هذا علي.

ونقول:

تقدم: أن رمد عيني علي (عليه السلام) إنما حصل في أواخر أيام الحصار، بل صرحت بعض الروايات: بأن الرمد أصابه بسبب دخان الحصن..

وأما الحديث عن أنهم فوجئوا بحضور علي (عليه السلام)، فقد يكون بعضه صحيحاً إذا كان أكثر الناس لم يلتفتوا، أو لم يسمعوا كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حين سأل عن علي (عليه السلام)، فتصدى عمار بن ياسر، أو سلمة بن الأكوع لإخباره أو إحضاره. فلما جاء به فوجئوا بحضوره.

أما إن كان المقصود: أنهم كانوا يعتقدون أن رمده قد منعه من الخروج مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة إلى خيبر، ثم لحق به..

فقد تقدم: أنه لم يفارق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ خروجه من المدينة..

كلهم يرجو أن يعطى الراية:

وقد حيرنا قول المؤرخين عن أولئك الذين هربوا بالأمس أكثر من مرة: كلهم يرجو أن يُعطى الراية!!
فهل يحسبون أن النبي (ﷺ) يتصرف عشوائياً، وبلا موازين، أو أنه قد نسي هزائمهم المتكررة، أو أنه لا يستفيد من التجربة التي تمر به، وهو القائل في غزوة بدر: لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين^(١) ..

١- راجع: مجمع الزوائد ج ٨ ص ٩٠ ومسنند ابن راهويه ج ١ ص ٣٩٥ والأدب المفرد ص ٢٧٢ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ٢٤٠ والديباج على مسلم ج ٦ ص ٢٩٩ وعن فتح الباري ج ١٠ ص ٤٣٩ و ٤٤٠ وصحيح ابن حبان ج ٢ ص ٤٣٨ والمعجم الكبير ج ٢ ص ٢٢٢ و ج ١٧ ص ٢٠ والمعجم الأوسط ج ٧ ص ٣٤ و ٨٣ و ج ١ ص ٣١ ومسنند الشاميين ج ١ ص ١٦١ ومعرفة علوم الحديث ص ٢٥٠ ومسنند الشهاب ج ٢ ص ٣٤ ورياض الصالحين ص ٧١١ وعن الجامع الصغير ج ٢ ص ٧٥٨ وعن كنز العمال ج ١ ص ١٤٧ و ١٦٦ وفيض القدير ج ٦ ص ٥٨٨ والفتوح لابن أعمش ج ٣ ص ٥٧ وسبل السلام للعسقلاني ج ٤ ص ٥٥ ومشكاة الأنوار ص ٥٥١ والصراط المستقيم ج ١ ص ١١٤ وعن بحار الأنوار ج ١١٠ ص ١٠ وعن مسند أحمد ج ٢ ص ١١٥ وسنن الدارمي ج ٢ ص ٣١٩ وعن البخاري ج ٧ ص ١٠٣ وعن مسلم ج ٨ ص ٢٢٧ وعن سنن = أبي داود ج ٢ ص ٤٤٨ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٧١٨ والسنن الكبرى ج ٦ ص ٣٢٠ وشرح النووي على صحيح مسلم ج ١٨ ص ١١٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٩٧ وقصص الأنبياء للجزائري ص ٢٠٧ وكشف الخفاء ج ٢ ص ١٨٥ و ٣٧٤ و ٣٧٥ والأحكام لابن حزم ج ٧ ص ٩٦٨ والضعفاء الكبير للعقيلي ج ١ ص ٧٤ والمجروحون لابن حبان ج ١ ص ٤٠ والكامل لابن عدي ج ٣ ص ٣٣١ و ٤٤٤ و ج ٤ ص ٦٥ والعلل للدارقطني ج ٩ ص ١٠٩ و ١١١ وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٤٢٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٥ ص ٣٧٢ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٤٠ و ٣٤٢ والذريعة ج ٢٥ ص ٥١ وتاريخ جرجان ص ٣١٤ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٨١ و ج ٤ ص ٥٣ وتنزيه الأنبياء ص ١١٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٥٤ و ٦١٨ والشفاء لعباض ج ١ ص ٨٠ والسيره النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٨٦ و ج ٣ ص ٩٢ وعن عيون الأثر ج ١ ص ٤٠١ .

أم ظنوا: أن الله يعطي معجزاته وكراماته لمن يستحق ولمن لا يستحق، خصوصاً أولئك الذين لم يلتقطوا أنفاسهم من عناء الهرب، الذي يريد (ﷺ) بنفس موقفه هذا أن يعالج سلبياته، وآثاره المقيتة والمزعجة؟! وكيف يتناول للراية من كان بفراره المقيت سبباً في اتخاذ النبي (ﷺ) هذا القرار الحاسم باعطاء الراية لكرار غير فرار؟!

التدخل الإلهي خارج دائرة الإختيار:

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: أنه حين ظهر إحجام هؤلاء الناس عن القيام بواجبهم الشرعي في دفع العدو، تدخل الله تعالى لحفظ دينه بصورة إعجازية، بشفاء علي (عليه السلام) من دون أن يؤثر ذلك على خيار واختيار

أعدائه تعالى، أي أنه تعالى لم يحل بينهم وبين ما يريدون، ولم يشل حركتهم، ولم يمنعهم من ممارسة حرياتهم، لكي يشعروا بأنهم قد ظلموا في ذلك..

كما أنه سبحانه وتعالى لم يقهر المسلمين ولا علياً (عليه السلام) على التصدي للحرب، بل اكتفى بإزالة الموانع من طريق علي (عليه السلام) بشفاء عينيه، وأفسح المجال له لكي يختار، فاختر ما يقتضيه حبه لله ورسوله بعد أن أساء الآخرون الإختيار، فاختروا الحياة الدنيا، وأنفسهم، وأظهروا: أن أنفسهم ومصالحهم أحب إليهم من الله ورسوله..

الني (ﷺ) يصنع المعجزة:

وشفاء عيني علي (عليه السلام) وإن كان معجزة صنعها رسول الله (ﷺ) لهم، ولكنها لم تكن المعجزة التي يتوقف عليها إقناع الناس بالنبوة؛ لأن معجزة النبوة هي القرآن الكريم.

وقد كان الناس مقتنعين بنبوته (ﷺ)، بالاستناد إليها، أو إلى غيرها من موجبات ذلك..

كما أن هذا الشفاء لم يأت قبل مباشرة النبي (ﷺ) لأفعال يراها الناس، ويرون آثارها.. أي أن الشفاء لم يحصل ابتداءً من الله تعالى، ليظهر سبحانه فضل النبي (ﷺ)، أو علي (عليه السلام)؛ بل هو أمر تعمد رسول الله (ﷺ) نفسه أن يفعل بعض المقدمات له. وقد اختاره، وقصد إلى إيجاد بعد أن لم يكن، مما يعني: أنه (ﷺ) عارف به، ومختار له، وواثق بالنتيجة قبل حصولها..

وعارف بأنه يملك القدرة على فعله، من خلال ما خوله الله تعالى إياه..
وهذا يشير إلى: أنه (ﷺ) يملك قدرات تمكّنه من التأثير التكويني في أمور واقعية ومادية، خارجية، من دون استخدام الوسائل المعتادة، بل من خلال هذه القدرات الغيبية التي يملكها، وأن القضية ليست مجرد دعاء، قد استجابها الله تعالى له.
وهذا يفسر ما روي، من أنه (ﷺ) قد تفل في عيني علي (عليه السلام)، وبزق في إلية يده، فذلك بها عينيه، أو نحو ذلك.
فتلخص: أنه (ﷺ) لم يكتف بالدعاء والطلب إلى الله تعالى أن يشفيه، بل قرن ذلك بممارسة عملية تؤكد: أنه يريد أن ينجز عملاً يقع تحت قدرته وباختياره.
لباس علي (عليه السلام) في الحر والبرد:
وروا عن علي (عليه السلام) أنه قال: إن رسول الله (ﷺ) بعث إليّ وأنا أرمد العين يوم خيبر، فقلت: يا رسول الله، إني أرمد!!
فتفل في عيني، فقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد، فما وجدت حرّاً ولا برداً منذ يومئذٍ.
وذكروا: أنه (عليه السلام) كان يلبس في الحر الشديد القباء المحشو الثخين، ويلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين^(١).

١ - مسند أحمد ج ١ ص ٩٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٦ وسنن ابن ماجة (ط المكتبة = التازية بمصر) ج ١ ص ٥٦ والخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص ٥ والعقد الفريد (ط مكتبة الجمالية بمصر) ج ٣ ص ٩٤ وكفاية الطالب (ط الغري) ص ١٣٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٩ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٢ وتذكرة الخواص ص ٢٥ والرياض النضرة (ط مجّد أمين بمصر) ج ٢ ص ١٨٨ والخصائص الكبرى ج ١ ص ٢٥٢ و ٢٥٣ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٤ و ٢٠ و ٢٩ عن الخرايج والجرايح، وعن الخصال ج ٢ وعن دلائل النبوة للبيهقي والميزان (تفسير) ج ١٨ ص ٢٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٢١٤ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ١٢١ عن ابن جرير، والبخاري، وأحمد، وابن أبي شيبه، والطيالسي، والمستدرک، والبيهقي، وغيرهم والمصنف لابن أبي شيبه ج ٧ ص ٤٩٧ ومناقب أمير المؤمنين ج ٢ ص ٨٨ و ٨٩ ومجمع البيان (ط سنة ١٤٢١هـ) ج ٩ ص ١٥٥.

ونقول:

أولاً: قد ذكروا: أن رجلاً دخل على علي (عليه السلام) وهو يردد تحت سمل قطيفة، (أي قطيفة خلقة) فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله جعل لك في هذا المال نصيباً، وأنت تصنع بنفسك هكذا. فقال: لا أرزؤكم من مالكم شيئاً، وإنما لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة^(١).

١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٦ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٧٧ وعن ينابيع المودة ج ٢ ص ١٩٥ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٣٣٤ والتذكرة = الحمدونية (ط بيروت) ص ٦٩ ومختصر حياة الصحابة (ط دار الإيمان) ص ٢٥٣ والأموال ص ٢٨٤ وقمع الحرص بالزهد والقناعة ص ٧٩ وصفة الصفوة ج ١ ص ١٢٢ وحلية الأولياء ج ١ ص ٨٢ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٢٩٥ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٢٨٤ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٧٣.

قال الحلبي: "قد يقال: لا مخالفة، لأنه يجوز أن تكون رعدته (عليه السلام) ليست من البرد، خلاف ما ظنه السائل، لجواز أن تكون لحمى أصابته في ذلك الوقت"^(١).

ويرد عليه: أن هذا تأويل بارد، ورأي كاسد، بل فاسد؛ فإن ظاهر الكلام: أن رعدته قد كانت بسبب رقة ما يلبسه، وهو قطيفة خلقة (أي بالية)، وأنه لو استفاد من نصيبه من المال، ولبس ما يدفع هذا البرد لم يكن ملوماً. فما يجري له كان هو السبب فيه، وهو الذي أورده على نفسه.. وقد أصر (عليه السلام) على عدم المساس بالمال الذي تحت يده.

ولعلمهم أرادوا في جملة ما أرادوه من هذا الحديث: أن يشككوا الناس بزهده (عليه السلام) في ملبسه، وأن يقولوا: إن ذلك بسبب عدم شعوره بحر ولا برد.

ثانياً: إننا لا نجد أي ارتباط بين شكوى علي (عليه السلام) من الرمذ، وبين الدعاء المنسوب للنبي (صلى الله عليه وآله) وهو: اللهم أذهب عنه

١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٦ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٥.

الحر والبرد، فإنه (ﷺ) لم يكن يشكو من حر ولا برد.

بل كانت شكواه من رمد عينيه، فهل هذا إلا من قبيل أن تقول لإنسان: إني عطشان، فيقول لك: نم على السرير؟!

ثالثاً: حتى لو كان قد دعا له بإذهاب البرد والحرق عنه.. فإنه لا يجب استمرار أثر ذلك حتى الممات، بل يكفي أن لا يشعر بالبرد أو الحر الذي كان يشعر به حين الدعوة في ذلك اليوم.

ويدل على ذلك: أنهم رووا عن بلال، قوله: أذنت في غداة باردة فخرج رسول الله (ﷺ) فلم ير في المسجد أحداً، فقال: أين الناس يا بلال؟!

قال: منعهم البرد.

فقال: اللهم أذهب عنهم البرد.

قال بلال: فرأيتهم يتروحون^(١).

فلماذا لم يستمر ذهاب البرد عنهم إلى أن خرجوا من الدنيا؟ كما يزعمونه بالنسبة لعلي (ﷺ)؟!

١- سبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٢١٤ عن البيهقي، وأبي نعيم، والطبراني ومجمع الزوائد للهيثمي ج ١ ص ٣١٨ والكامل لابن عدي ج ١ ص ٣٤٦ والموضوعات لابن الجوزي ج ٢ ص ٩٣ وأسد الغابة ج ١ ص ٢٠٩ وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٨٩ ولسان الميزان لابن حجر ج ١ ص ٤٨٢ والبداية والنهاية ج ٦ ص ١٨٥.

أم أن هذه هي القصة الواقعية، وقد استُفيد منها في قصة خير، لحاجة في أنفسهم؟!!

١	الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام)
٥	الباب الخامس
٧	الفصل الأول
٢٩	الفصل الثاني
٥٧	الفصل الثالث
٩٧	الفصل الرابع
١٢٦	الفصل الخامس
١٦٩	الفصل السادس
٢١٦	الفصل السابع
٢٥١	الباب السادس
٢٥٣	الفصل الأول
٢٧٣	الفصل الثاني
٢٩٩	الفصل الثالث
٣٤٢	الفهرس